المجلس الأعلى للثقافة

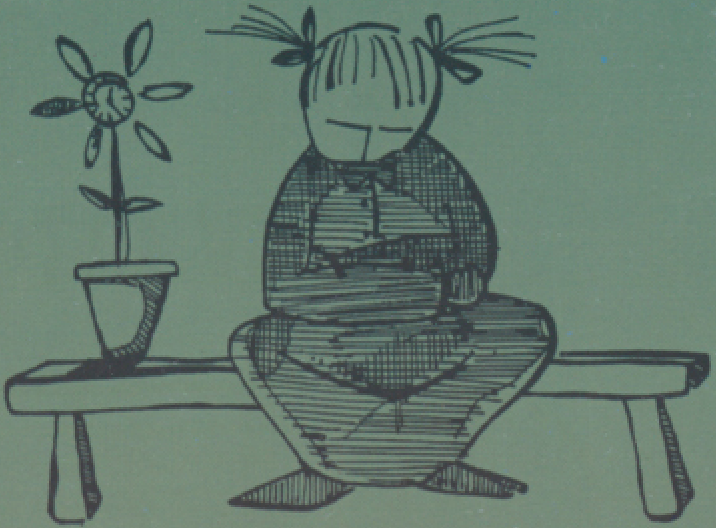

المشروع القومي للترجمة

مومو

رواية ألمانية

تأليف: ميشائيل انده • ترجمة: ماهر الجوهري

400

المشروع القومى للترجمة

مومو

(رواية أسطورية)

تأليف : ميشائيل إنده

ترجمة وتقديم : باهر الجوهرى

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد :
- " مومو " أوالقصة العجيبة للصوص الزمن
والطفلة التى أعادت للبشر الزمن المسلوب
رواية أسطورية
- ميشائيل إنده
- باهر الجوهرى

ترجمة كاملة لرواية :

Momo oder

Die seltsame Geschichte von den

Zeit Dieben

Und von dem Kind , das den

Menschen

Die gestohlene Zeit zurückbrachte

- تأليف :

Michael Ende

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة المجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 **Fax** : 7358084 **E. Mail** : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

إهـــــداء

إلى زوجتى

الدكتورة / سلوى محمد أنور الشبلى

وثلاثية الزهرات

منة الله

ويمنى

وسوسن

مقدمة

لغز الزمن :

يحاول الإنسان على مر العصور أن يفسر ماهية الزمن ويحددها ، ونظرًا لأن الزمن يتفاوت الإحساس به من شخص إلى آخر حسب المواقف والخبرات التى يعايشها والجو والبيئة المحيطة به ، حيث تمر الساعات بل الأيام والشهور والسنين مر السحاب على شخص لايشعر بانسيابها وجريانها ، بينما تمر الدقائق القليلة على شخص آخر وكأنها الدهر كله ، لهذه الأسباب لجأ الإنسان إلى محاولة الإمساك بالزمن - دون جدوى - عن طريق اختراع أشكال مختلفة من الأدوات التى تقيس الزمن وتحدده حسب تصور ذلك الإنسان الحائر أمام الزمن ، ذلك الكائن الذى يمر وينقضى ويسحب معه الأيام المعلومة للكائنات والكون ؛

فتارة يقيس الزمن عن طريق الظل الذى يطول ويقصر كلما ظهرت الشمس وارتفعت إلى كبد السماء ، ثم تغرب آخر النهار تاركة الإنسان غارقًا فى ظلام الليل حيث يتوقف قياس الزمن بهذه الوسيلة ، وتارة عن طريق رمال تنساب حباته من إناء بأعلى إلى إناء بأسفل ، وعندما يخلو الإناء الأعلى من الرمال ويتجمع كله فى الأسفل ، يعيد الإنسان الرمال إلى أعلى عن طريق قلب ساعته الرملية ، ليصبح السافل أعلى والأعلى سافلاً ليبدأ حساب الزمن من جديد ، وهو - أى الإنسان - بذلك

يحاول تفسير الأزل الذى لايلبث أن يبدأ عندما يعتقد البعض أنه قارب على الانتهاء .

وفى عصرنا الحاضر يعتقد الإنسان أنه توصل إلى أدق الدقائق فى حساب الزمن فاخترع ساعات تقيس الزمن بدقة متناهية تستطيع أن تحسب جزء من المليون من الثانية ، والإنسان يفتخر بقدرته هذه متباهيا أنه استطاع أن يقيس زمن دوران الأرض حول نفسها ، عن طريق قياس سرعة هذا الدوران الذى يحدد وقت الليل ووقت النهار وبالتالى زمن اليوم – ومع ذلك ظل الإنسان على وضعة الأزلى – المتفرج فقط الذى يشاهد ويرى ، وهو فى الحقيقة أيضًا لايشاهد ولايرى – لذلك يستعين الإنسان بما يحققه له عقله من إمكانية المشاهدة والرؤية من أدوات – إنه يشعر بالزمن يمر وينقضى دون أن يتمكن من إيقافه أو الإسراع به، وهو يشاهد تعاقب الليل والنهار وهما يتفاوتان فى الطول تارة والقصر تارة أخرى دون أن يكون له يد فى ذلك الطول والقصر .

تعالوا معى نشاهد ونرى محاولات أخرى للإنسان للتعبير عن الزمن ، لأن من عبر عن شىء فهمه ، ومن فهم شيئاً أدرك مغزاه وكنهه ، ومن أدرك المغزى عرف الأسباب ، ومن أدرك الأسباب توحد مع الكون والكائنات ، وعرف نفسه وكنه الوجود ، ومن توصل إلى كل ذلك ارتاح وهدأ ، وسكن سر أسراره

لكن أيان وأين للإنسان أن يصل إلى ذلك الهدف المنشود .. .. ..

اللون الرمادى لدى الألمان والأوروبيين بوجه عام :

يصادفنا فى رواية " مومو " الحديث عن "الرجال الرماديين " ويصورهم الكاتب على أنهم أشرار ، واختياره للون الرمادى للتعبير عن صفة الشر عند هؤلاء الرجال يرجع إلى تأثير البيئة فى التعبير اللغوى لدى الألمان والأوروبيين عامة ، فالشمس قليلة الظهور ، تخفيها السحب المتراكمة وكأنها الستار المنسدل على الدوام الذى يخفى وراءه الدفء والجمال ؛ لذا أصبحت الشمس رمزًا للجمال المشتاق إليه دائمًا ، وأصبح التعبير عن الغيوم - ذات اللون الرمادى - تعبيراً عن الظلمة والعتمة ، والمبشر بالكدر واختفاء النور ، فهم يصفون الجو الملبد بالغيوم بأنه جو رمادى ، أى مظلم وكئيب فالنور رسول الشمس بشير الحياة ، وانعدامها أو اختفاؤها نذير الظلام وباعث البرد ونذير السكون الأبدى ، وقد دخل اللون الرمادى لذلك إصطلاحاتهم وتعبيراتهم المجازية المنذرة بالشر والسوء ؛ فهم يقولون عن البؤس عندما يريدون وصفه وصفًا مبالغًا فيه بأنه بؤس رمادى " das graue Elend" ويصفون النفس الحزينة المكتئبة بأنها عكره بلون الرماد ، بل إن السويسريين يصفون الخبز العفن بقولهم أنه أصبح رماديًا .

"مومو" – ميشائيل إنده : القصة والأديب

تعال معى أيها القارئ العزيز ، تعال نحلق ونسمو فى الأعالى ، إلى سحابة تتهادى ، سحابة أجزاؤها من النور والزهور ، وقد تحررنا من القيود ، هناك حيث الزمن المعتوق ، الزمن الذى تخلص من قيده وأسره ، فلم تعد له حدود ، زمن أُطلق من عنانه فلم تكن له بداية ، زمن يسرى سرمدى إلى مالا نهاية ، تعال معى إلى صحبة " مومو" وهى تحلق وتعلو فوق المكان والزمان ، لتصل إلى درب اللامكان الذى تسلكه لتصل إلى بيت اللاوجود حيث مقر الزمن ، زمن يكمن فى رحم الأزل إلى أن تحين ساعة مولده ، ذلك الرحم الذى يصوره الأديب الألمانى ميشائيل إنده على شكل زهرة تكمن فى أعماق بحيرة رائقة رقراقة تعلوها قبة تشبه السماء فى صفائها وبهائها ، يتدلى منها ما يشبه البندول يدورفى محيط قبة السماء ويعلو ويهبط فى وقت معلوم ، ليصل إلى سطح البحيرة ، وما أن يلامسه حتى تصعد من الأعماق زهرة وليدة تطفو فوق سطح الماء ، وتتفتح بأبهى الألوان وتنشر جمالها الفريد وعبقها الزكى فى الأرجاء ، وكل من يراها يجزم أنه لم ير أجمل منها ، وعندما يدور البندول فى اللامكان ويرتفع إلى أعلى القبة الدائرية تأخذ الزهرة فى الذبول وتنذوى تمامًا عندما يصل البندول إلى أبعد مسافة له عن البحيرة ، وعندما يبدأ المشاهد فى الحزن على الجمال المفقود والزوال المشهود، سرعان ما يعود البندول للهبوط ويقترب من موضع

آخر فوق سطح الماء ، فتصعد زهرة وليدة أخرى من الأعماق وتصل للسطح الرقراق وتتفتح فى جمال أبهى من سابقتها وبألوان أزهى وأريج أكثر طيبًا ، ويدور البندول ويعلو عن سطح البحيرة إلى أعلى وأعلى فتذبل الأوراق وتنذوى الزهرة ويعود المشاهد إلى حسرته على البرعمة المتفتحة والزهرة الجميلة والأريج الفواح ، هكذا يصور لنا ميشائيل إنده لغز الزمن الذى يحير العقول منذ الأزل ، ذلك التصوير الذى بدا رمزيًا لكثير من النقاد الذين كانوا يعتقدون أن ميشائيل إنده حتى ذلك الوقت ، أى قبل ظهور "مومو" عام ١٩٧٣ أنه كاتب للشباب والأطفال ، فقالوا إنه أدخل " الرمز" إلى أدب الأطفال والشباب.

ولنقترب أكثر من" مومو" الرواية الأسطورية كما أطلق عليها النقاد إن لغز " الزمن" هو مايدور حوله هذا الكتاب ، إنه لغز يمكن أن يشغل بال الصغار والكبار على السواء ، وقصة مومو حدثت فى مملكة الخيال التى تقع فى اللامكان واللازمان ، ولكنها لا تحكى عن السحرة والجان لكنها تنهل لغتها التعبيرية من حياتنا المعاصرة ، هناك شركة يملكها "رجال الظلام " أو السادة الرماديون" يحرضون البشر على توفير وقتهم ، ولكنهم فى الحقيقة يحتالون عليهم ويسرقون وقتهم ، والوقت يعنى الحياة ، والحياة مقرها القلب الذى يدق دقات معدودة فى إطار الزمن الموعود ، وكلما ازداد الناس فى اقتصاد وقتهم كلما ازداد وجودهم فقراً وبرودة وتعجلاً ، وكلما ازدادوا هم غربة على أنفسهم وعندما تصل الأزمة إلى ذروتها ، ويبدو أن العالم سوف يصبح ملكًا "لرجال الظلام" يقرر السيد" أورا " وهو المدبر السرى للزمن " أن يتدخل ولكنه يحتاج إلى معونة طفل من أبناء البشر ، العالم كله يقف ساكنًا " مومو" تلك الطفلة الصغيرة ذات الشعر الأشعث تقاتل وحدها وليس معها سوى وردة فى يدها

وسلحفاة تحت إبطها ضد "رجال الظلام " وتنتصر بإعجاز وجميع أوقات الحياة التى نُصب على الناس فيها تعود إلى أصحابها ، ويصبح العالم قابلاً للشفاء بعد أن كان ميئوسًا من شفائه .

إنها قصة الفتاة التى تبدو غريبة فى مظهرها الخارجى عن عالمها التى سعت ونجحت فى إعادة الزمن المسروق إلى أصحابه بعد أن كادوا أن يقعوا فريسة فى حبائل "رجال الظلام" الذين يأخذون وقتهم – مدعين إدخاره لهم – ويعطونهم فى مقابله الهدايا المادية ، وكانت النتيجة أنهم كادوا يفقدون إنسانيتهم ، وكادت علاقتهم تتحطم وتنعدم وهم يسعون دائمًا للحصول على المزيد المادى فى مقابل توفير واقتصاد الوقت لدى "بنك الزمن" وأصحابه ، صحيح أن الرواية تبين مرض العصر الذى أصاب بلاد الغرب ومايسمى " بالعالم الحر " ، وجعل الناس هناك يرددون على الدوام حتى أمام أقرب الناس اليهم كلمة " ليس عندى وقت " ولكننا هنا أيضًا فى بلاد المشرق لم نسلم من جنون هذا المرض الذى وصلنا ومازالت تصلنا منه دفعات متزايدة فى الحجم والتأثير ، حيث مطالب الحياة المادية ، وصحيح أننا نحيا فى عصر نحتاج فيه إلى كل دقيقة وساعة للعمل وزيادة الإنتاج لرفع مستوى المعيشة لدى طبقات الشعب المختلفة – ولكننا فى نفس الوقت يجب ألاَننسى ما يميزنا نحن أبناء الشرق خاصة ، وما يتحلى به الجنس البشرى عامة من تواد وتؤدة التى تتولد عنها الرحمة والرأفة وصلة الرحم ، والصداقة والمروءة والشهامة وحسن الجوار ، فلا ينبغى أن ننسى أنفسنا ونحن فى غمار السعى نحو رفع مستوى المعيشة المادى أن ينهار وينخفض مستوى تعاملنا الإنسانى ، ولايصل سلوكنا لما يشبه الحيوان المندفع لرؤية مصدر العلف والغذاء ، فينطلق مسرعًا إلى ذلك الهدف ، داهسًا بحوافره دونما تمييز لكل ما يصادفه وهو فى طريقه للغذاء الوفير .

ميشائيل إنده – أديب وفنان :

ولد ميشائيل إنده فى ١٢ نوفمبر ١٩٢٩ بمدينة جارمش بارتنكرشن بجنوب ألمانيا ، ابنًا للفنان الرسام إدجار إنده (١٩٠١-١٩٦٥) الذى كان أحد أوائل الرسامين السرياليين الألمان ، وفى عام ١٩٣٥ انتقلت الأسرة إلى ميونخ ونشأ ميشائيل إنده فى وسط من الفنانين الرسامين والنحاتين والأدباء وبين أبنائهم ، وفى عام ١٩٣٦ التحق بالمدرسة الابتدائية ، وفى نفس العام أوقعت الغرفة الثقافية التابعة للرايخ الألمانى الحظر على ممارسة أبيه للعمل الفنى ، ولكنه واصل عمله فى السر دون أن يقيم معارض لأعماله ، وتمر الأسرة بوقت عصيب فتسعى الأم لتعلم مهنة الرياضة العلاجية والتدليك كى تكسب قوت أسرتها ، وفى عام ١٩٤١ أُستدعى والده للجيش ، وفى عام ١٩٤٣ أخليت مدارس مدينة ميونخ من الطلبة بسبب تزايد الغارات الجوية وأرسل التلاميذ إلى مدارس أخرى بالأقاليم ، وهكذا عاد ميشائيل إنده إلى جارمش مرة أخرى .

وفى عام ١٩٤٤ احترق مرسم الوالد فى ميونخ وبه حوالى ٥٠٠ لوحة ونقلت الأم إلى أحد المساكن بأطراف المدينة ، وفى السنة الأخيرة للحرب العالمية استدعى التلاميذ ذوى الأربعة عشر والخمسة عشر من العمر إلى الجيش لمواجهة الدبابات الأمريكية ، وفى اليوم الأول سقط ثلاثة من زملاء ميشائيل إنده فى الحرب .

وفى نهاية الحرب بقليل يعود الوالد من الأسر الأمريكى ، ويشترك مع فنان آخر فى فتح مرسم له ، وقد بدأ ميشائيل إنده الكتابة وهو فى الرابعة عشر من عمره وكانت غالبيتها أشعاراً وقصصاً قصيرة ، ولكنه

كان يرغب أن يصبح كاتبًا مسرحيًا ، ولم يستطع ميشائيل إنده الالتحاق بالدراسة الجامعية لأسباب مادية ، ولكنه التحق بإحدى مدارس التمثيل بميونخ وأنهى دراسته بها التى استمرت عامين سنة ١٩٥٠ ، وبدأ التمثيل بأحد مسارح مدينة ريندزبورج ، ولكن أمنيته فى أن يصبح كاتبًا مسرحيًا دعته للعودة إلى ميونخ ومعه مسرحية كوميدية من تأليفه ، وللأسف لم يقبلها منه أحد .

وفى ليلة رأس السنة عام ١٩٥١ يتعرف ميشائيل إنده على من تزوجها فيما بعد وهى الممثلة إنجبورج هوفمان وعن طريقها يتعرف على عدد من الفرق المسرحية الصغيرة ، ويكتب لها اسكتشات وأغان فردية ، ويعمل مخرجًا بالمسرح الشعبى لمدينة ميونخ (فولكستياتر) .

وفى عام ١٩٥٤ يعمل ناقدًا للأفلام لدى إذاعة بافاريا ، ولكن أجره لم يكن كافيًا لدفع إيجار مسكنه ومسكن والدته بعد أن انفصلت عن والده ، وازدادت الأحوال المادية سوءًا ، ومر بأزمة أدبية بسبب موقفه من كتابات برتولت بريشت عن نظريات الفن والمسرح ، وقرر ميشائيل إنده أن يتوقف عن الكتابة ، فقد كان يريد أن يكتب شيئًا مختلفًا تمامًا عما يمليه جمود الأديب المسرحى الكبير ، وطلب منه أحد معارفه ، وكان رسامًا ، أن يكتب له نصًا لرسوماته لتصدر فى كتاب ، فنشأ عنه مخطوط سميك بعنوان " جيم كنوبف ولوكاس سائق القاطرة "، وكان ذلك عام ١٩٥٨ ، وظل يعرض هذا المخطوط لمدة عامين ونصف على دور النشر ، وكان الرد بالاعتذار عن قبولها للنشر بدعوى أنه لايتوافق مع برامج الكتب التى تصدرها ، وأخيرًا وصل المخطوط إلى يد لوته فايتبريشت ، وكانت آنذاك تعمل مديرة لدار نشر تينمان ، وقبلت القصة

على شرط اختصارها إلى مجلدين اثنين فقط ، وصدر الجزء الأول عام ١٩٦٠ وحاز عام ١٩٦١ – عند صدور الجزء الثانى – على جائزة كتب الشباب الألمانية ، وقامت الإذاعة والتليفزيون بإعداده فى مسلسلات ، وتزايد الإقبال على الكتاب وتُرجم إلى العديد من اللغات ، ولهذا النجاح الأدبى والمادى ترك ميشائيل إنده عمله بالإذاعة وكرس نفسه للكتابة للمسرح . وفى عام ١٩٦٧ أقيم أول عرض لمسرحيته التراجى – كوميدية " مفسدى اللعبة " في مدينة فرانكفورت ، وكان الإخراج فاشلاً ، وفشل العرض فشلاً ذريعًا ، ولذلك لم يجرؤ أى مسرح آخر على عرض المسرحية .

وفى عام ١٩٧٣ صدرت روايته الأسطورية " مومو" ، وعمت شهرة الكتاب وتُرجم إلى عشرين لغة ، وحصلت عام ١٩٧٤ على جائزة كتب الشباب الألمانية أيضًا ، وقام ميشائيل إنده بالتعاون مع المؤلف الموسيقى مارك لوتار بإعدادها للأوبرا بعنوان " مومو ولصوص الزمن " ، وعرضت لأول مرة عام ١٩٧٨ .

وقد صدر للكاتب عام ١٩٧٦ " أسطورة المشعوذ " تمثيلية سحرية لمسرح العرائس والأقنعة ، وفى عام ١٩٧٧ سافر إلى اليابان وتأثر تأثرًا بالغًا بمسرح " كابوكى و اللامسرح " ، وفى نفس العام بدأ كتابة " قصة بلا نهاية " التى استغرقت عامين وصدرت فى خريف عام ١٩٧٩ ، ولاقت هذه الرواية نجاحًا منقطع النظير ، وتُرجمت إلى أكثر من عشرين لغة أيضًا ، وبيع منها مايزيد عن المليون ونصف نسخة ، وأُنتجت هذه الرواية إلى فيلم سينمائى ضخم تكلف ستين مليون مارك ألمانى ، وبذلك يكون أضخم إنتاج سينمائى ألمانى على الإطلاق ومن أكبر الأفلام التى أنتجتها السينما العالمية .

وصدرت لمشائيل إنده العديد من المؤلفات منها " أكل الأحلام الصغير " ، "يور أو المرآة فى المرآة " بسلسلة من القصص السريالية ، وقد توفى ميشائيل إنده فى ٢٨ أغسطس ١٩٩٥ .

ويشتهر ميشائيل إنده بالخيال الخصب الذى يقترب من الأسطورة ، وفى نفس الوقت لايبتعد عن الواقع ، لذا تكون مؤلفاته مزجًا متعادلاً من الخيال والواقع يكمل بعضهما الآخر ، ويدعو القارئ إلى سباحة بالفكر والروح إلى عالم الخيال الواسع ، ويعود به فى النهاية إلى واقع الحياة وقد انتعشت روحه من رؤى الخيال التى تمنح الواقع ثراءً ونماءً ، وتزيل عنه الكآبة والرتابة وتملأه بالأمل .

ويتألق ميشائيل إنده الفنان المبدع فى الوصف والرمز التفصيلى الموحى بعمق الفكر مع البساطة الظاهرة فى استخدام الألفاظ والكلمات ، ولكنها تدعو دائمًا للتدبر والتأمل ، وتصل بالقارئ إلى اللحظة التى يقول فيها : صدقت ، هذا هو الحق ، هذا ماكنت أشعر به ، هذا ماكنت أريد أن أعبر عنه ولاأجد الكلمات المناسبة ، أجل هذه هى الصورة التى أوصلتنى للفكرة التى كانت تحوم فى أعماقى باحثة عن الباعث لها إلى السطح . (مثلما نقرأ فى الفصل الثانى عشر من رواية " مومو " : مومو تأتى إلى المكان الذى يأتى منه الزمن) .

الأديب وفكرة تراوده :

لو تتبع القارئ مايكتبه ميشائيل إنده يتأكد له أن هذا الكاتب العبقرى تتملك منه فكرة كالخيط المستمر الذى يسرى عبر كل كتاباته : تأمله وتدبره فى الكون والحياة ، ونهايتها ومغزى الحياة ومغزى نهاية الحياة على أرض الدنيا ، ورغم تكراره الدائم لما يسمى " بالعدم " الذى

يتهدد الحياة يتأكد القارئ من أن ميشائيل إنده لم يكن ينظر إلى ذلك العدم الدنيوى على أنه خطر مخيف ، بل إنه كان يتصادق مع تلك النهاية الدنيوية مقتنعاً ومؤمناً بأنها مقدمة لحياة أخرى ، ربما ، بل من المؤكد أنها أجمل و أرقى - إنها حياة يتحول فيها الإنسان إلى نغمة من أنغام الكون - نغمة كانت فى أعماق الإنسان مكتومة فى نفسه وهو حى فى الحياة الدنيا ، تصبح مسموعة ومتناغمة مع الألحان الكونية ، عندما يكف القلب الدنيوى عن الخفقان ، ذلك القلب والقالب الدنيوى الذى كان يكتم اللحن الكونى ، الذى ينطلق بعد انقضاء الزمن على أرض الدنيا إلى فضاء الكون الفسيح ، فتتحول النفس البشرية إلى جزء متناغم مع اللحن الكونى العظيم (انظر أيضًا إلى الحوار بالفصل الثانى عشر من الجزء الثانى من رواية " مومو ") .

إن ماعبر عنه الكاتب ميشائيل إنده بحسه الخيالى وحوله إلى كلمات استطاع العلماء فيما بعد إثبات حقيقته ، و استطاعوا تحويل النور إلى نغم ، واستطاعوا بعلمهم الاستماع إلى لحن الكون ، فقد نشرت صحيفة " الأهرام " القاهرية فى الأحد ١٩٩٦/٧/٢٨ أن فريقًا من " علماء الطبيعة النووية بجامعة كاليفورنيا الأمريكية نجح فى تحويل أشعة الشمس إلى موجات كهرومغناطيسية وتسجيلها ، وعند إعادة إذاعتها تبين أنها أصوات وأنغام موسيقية تعلو فى شدتها وتنخفض كأنها سيمفونية ، والغريب أن هذه الموجات تعطى تناغمًا منظمًا ، وكأنه لحن موسيقى رائع الجمال" .

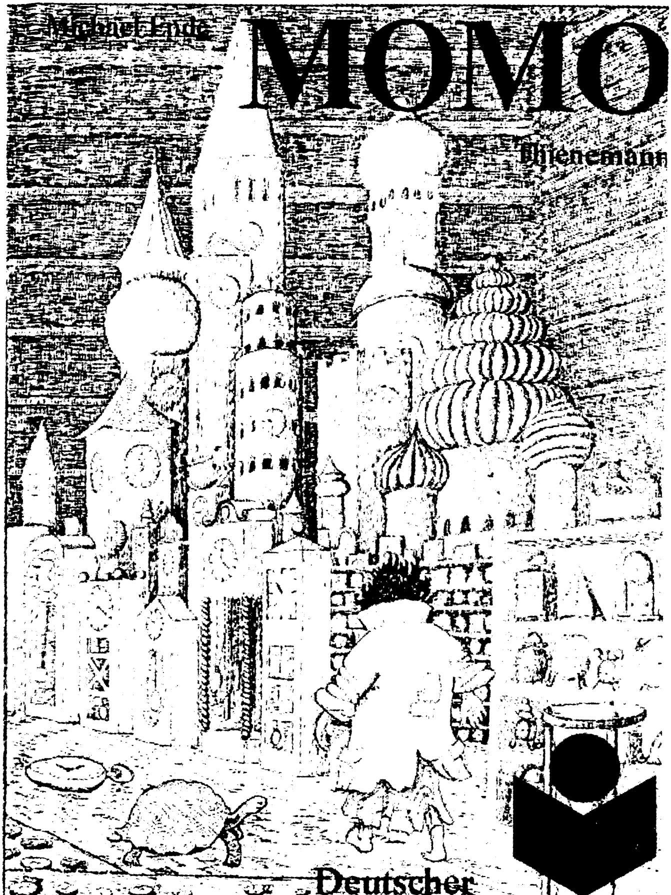
Michael Ende
MOMO
Thienemann
Deutscher
Jugendbuchpreis

فى الظلام نورك يضىء

لست أدرى من أين يجىء

من قريب يشع من قريب ، وهو بعيد بعيد

أنا لا أعلم ما اسمك

فمهما كنت أوتكون :

اسطع وتلألأ أيها النجم الصغير .

(عن أغنية أطفال أيرلندية قديمة)

الجزء الأول

" مومو وأصدقاؤها "

الفصل الأول

مدينة كبيرة وفتاة صغيرة

في سالف العصر وقديم الزمان ، عندما كان الناس يتكلمون لغات مختلفة تماماً ، كانت توجد في البلاد الدافئة مدن كبيرة ورائعة ، وهناك كانت قصور الملوك والأباطرة ترتفع عالياً، وكانت هناك شوارع فسيحة ، وحوارى ضيقة وأزقة كثيرة المنعطفات ، هناك كانت معابد رائعة بها تماثيل آلهة من ذهب ورخام ، وهناك كانت أسواق مختلفة الأنواع تباع فيها بضائع من جميع البلدان ، وميادين فسيحة وجميلة يجتمع فيها الناس ليتحدثوا عما يستجد من الأمور ويلقون فيها الخطب ويستمعون إليها ، وقبل كل شيء كانت توجد هناك مسارح كبيرة .

وكانت تبدو مثل سيرك في أيامنا هذه ، فقط مركبة كلها من كتل حجرية ، وكانت صفوف مقاعد المتفرجين على شكل درجات فوق بعضها مثل مخروط عظيم ، وعندما ينظر إليها من أعلى كانت بعض تلك المباني مستديرة كالحلقة والبعض الآخر يميل أكثر إلى الشكل البيضاوي وأخر تبدو كنصف دائرة فسيح ، وكانت تسمى بالمسارح المستديرة (*) .

بعضها كان كبيرا مثل إستاد كرة القدم ، وبعضها أصغر ويتسع لعدة مئات من المتفرجين فقط ، كانت هناك مسارح فخمة تزينها الأعمدة

* في الأصل "Amphitheater" : وهي كلمة أصلها يوناني وتعني الحلبات أو المسارح المستديرة .

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

والتـمـاثيل ، وأخـرى بسـيطة وبلا زخـارف ، ولم يكن لتلك المسـارح المستديرة أسقف ، وكان كل شيء يحدث في الهواء الطلق ، ولذلك كانت في المسارح الفاخرة بسط مطهمة من ذهب مشدودة فوق صفوف المقاعد كي تحمى الجماهير من وهج الشمس أو هطول المطر المفـاجي ، وفي المسارح البسيطة كانت حصر من الخوص والقش تقوم بنفس الغرض . باختصار : فقد كانت المسارح على قدر إمكانية الناس ، ولكنهم جميعًا كـانـوا يـريـدون مسـرحًا ، لأنهم كـانوا مـسـتـمـعين ومـشـاهـدين متحمسين مولعين .

وعندما كانوا ينصتون لأحداث مؤثرة أو مـضـحكة تـعـرض على خشبة المسرح ، كانوا يشعرون بأن تلك الحياة التي هي ليست سوى تمثيل هي حياتهم اليومية الخاصة كما لو كانت حقيقية بشكل سرى خفي .

لقد انقضت آلاف السنين على ذلك ، وتهاوت المدن العظيمـة لذلك الزمان ، وتهدمت المعابد والقصور ، والأحجار نخرتها الرياح والأمطار ، والحر والبرد ، وملأتها بالثقوب ، حتى المسارح الكبيرة لم يعد منها قـائمًا سـوى الأطلال ، وفي هذه الأطلال المتصـدعة أخـذت حـشـرات الجندب الصـرارة الآن تغنى لحنها الرتيب الذي يعطي انطباعًا عند سماعه كما لو كانت الأرض تتنفس في نومها .

ولكن بعض هذه المدن القديمة الكبيرة ظلت مدنًا كبيرة حتى يومنا هذا ، وطبعًا تغيرت الحياة فيها . فالناس تركب السيارات وعربات الترام ، وعندهم تليفون ونور كـهربائي ، ولكن لاتزال هناك في أمـاكن متـفرقة من بين المباني الجديدة عدة أعمدة أو بوابة أو قطعة من سور أو حتى مسرح من المسارح المستديرة لتلك الأيام القديمة .

وفى إحدى هذه المدن حدثت وقائع قصة مومو .

خارج هذه المدينة الكبيرة وفى أطرافها الجنوبية حيث تبدأ الحقول ، وحيث تزداد الأكواخ والبيوت بؤسًا باستمرار ، هناك ، وفى خبايا غابة صغيرة من أشجار الصنوبر ، توجد أطلال أحد المسارح المستديرة الصغيرة ، وهو لم يكن أيضًا فى تلك الأزمان القديمة من المسارح الفاخرة ، فهو على مايبدو كان فى ذلك الوقت مسرحًا للفقراء ،وفى أيامنا هذه ، المقصود في ذلك الوقت الذى بدأت فيه قصة مومو ، كانت هذه الأطلال تكاد قد نسيت تمامًا ؛ فقط عدة أساتذة فى علوم الآثار كانوا على علم بها ، ولكنهم لم يواصلوا اهتمامهم بها ، حيث لم يعد شيء يستحق البحث ، وهى لم تكن أيضًا من المعالم التى يمكن مضاهاتها بالمعالم الأخرى الموجودة بالمدينة الكبيرة ، فقط بين الحين والآخر يأتى بعض السائحين إلى هناك ويصعدون فوق صفوف المقاعد التى نمت فوقها الأعشاب ، ويحدثون ضجيجًا ، ويلتقطون صورة تذكارية وينصرفون مرة أخرى ، ثم تعود السكينة مرة ثانية إلى المكان الحجرى المستدير ، وتبدأ حشرات الجندب الصرارة المقطع التالى من لحنها اللانهائى الذى لايختلف بالمناسبة عن الألحان السابقة .

وفى الواقع ، فإن الناس من المنطقة المحيطة القريبة فقط كانوا يعرفون ذلك المبنى المستدير الغريب ؛ فقد يتركون عنزاتهم ترعى هناك ، والأطفال يستخدمون المكان المستدير بالوسط ، فى لعب الكرة ، وأحيانًا ما كان يلتقى العشاق هناك فى المساء ، ولكن فى يوم من الأيام سرى حديث بين الناس بأن أحدًا يسكن فى تلك الأطلال مؤخرًا ، وأنه طفل ، من المحتمل فتاة صغيرة ، ولايستطيع أحد فى الواقع أن يقول

ذلك بالضبط ؛ لأنها كانت ترتدى ملابس عجيبة إلى حد ما ، وأن اسمها مومو أو ما شابه ذلك .

وفى الواقع كان مظهر مومو الخارجى غريبًا بعض الشىء ، وربما يمكن أن يحدث انطباعًا مفزعًا قليلاً على أناس يهتمون اهتماما كبيرا بالنظافة والنظام ؛ فقد كانت صغيرة الحجم ونحيفة نوعًا ، لدرجة أنه لم يكن من المستطاع - مهما عظمت الرغبة - معرفة ما إذا كان عمرها ثمانى سنوات فقط أم وصلت للثانية عشرة من العمر ، وكان لها رأس ذو جدائل شعر حالكة السواد ، تبدو كما لو لم يلمسها مشط أو مقص على الإطلاق ، ولها عينان كبيرتان جداً رائعة الجمال حالكة السواد أيضًا ، وقدمان بنفس اللون ، لأنها كانت تمشى حافية دائمًا تقريبًا ، وأحيانًا كانت تلبس فى الشتاء فقط أحذية ، لكنها مختلفة ولاتتناسب مع بعضها وفوق ذلك كبيرة جداً عليها ، ويرجع ذلك إلى أن مومو لم تكن تمتلك إلا ما كانت تعثر عليه فى مكان ما أو تحصل عليه كهدية . رداؤها مخيط من رقع من كل لون ونوع ويصل إلى كاحليها ، وترتدى فوقه سترة رجالى قديمة واسعة للغاية قد شمرت أكمامها عند الرسغين ؛ فلم تكن مومو تريد قصهما لأنها تفكر فى احتياط أنها سوف تكبر ومن يمكنه أن يدرى إذا كانت ستعثر فى وقت من الأوقات على سترة جميلة وعملية ولها جيوب كثيرة كهذه ، تحت المنصة التى نمت فوقها الأعشاب لأطلال المسرح كانت توجد عدة غرف نصف متهدمة يمكن الدخول إليها عبر ثغرة من السور الخارجى ، وهناك هيأت مومو لنفسها منزلاً .

وفى ظهيرة أحد الأيام أتى إليها بعض الرجال والنساء من المنطقة القريبة وحاولوا استجوابها ووقفت مومو أمامهم وهى تنظر إليهم فى

خوف ، لأنها كانت تخشى أن يطردها الناس بعيداً ، ولكنها بسرعـان ما لاحظت أنهم أناس لطاف ، فقد كانوا أنفسهم فقراء ويعرفون الحياة .

وقال أحد الرجال : " إذن الحياة تعجبك هنا ؟ "

فأجابت مومو " نعم " .

– " وتريدين البقاء هنا ؟ "

– " نعم ، أحب ذلك " .

– " ولكن ألاينتظرك أحد فى مكان ما ؟ "

– " لا " .

– " أقصد ، ألا يجب أن تعودى مرة أخرى إلى البيت ؟ " ؛ فأسرعت مومو مؤكدة بقولها : " إننى هنا فى بيتى ".

– " من أين أتيت إذن يابنيتى ؟ " ؛ ففعلت مومو بيدها إشارة غير محددة مافى البعد ؛ فواصل الرجل استقصاءه قائلاً : " من هما والداك ؟ " فنظرت الطفله إليه وإلى الناس الآخرين فى حيرة ورفعت كتفيها قليلاً ، وتبادل الناس النظر إلى بعض وتنهدوا ؛ فاستطرد الرجل قائلا :

" لاداعى أن تخافى ، فإننا لانريد أن نطردك ، إننا نريد أن نساعدك " ؛ فهزت مومو رأسها فى صمت ، ولكن دون اقتناع تام .

– " أنت تقولين أن اسمك مومو ، أليس كذلك ؟ "

– " بلى " .

– " هذا اسم جميل ، ولكننى لم أسمعه أبداً من قبل ، من أعطاك هذا الاسم ؟ "

– فقالت مومو : " أنا " .

– " أنت سميت نفسك هكذا ؟ "

– " نعم " .

– " متى ولدت ؟ " ؛ ففكرت مومو وقالت أخيراً : " على قدر ما أذكر كنت موجودة دائماً ".

– " أليست لديك عمة ، عم ، جدة ، ولاعائلة يمكنك الذهاب إليها ؟ "؛ فنظرت مومو إلى الرجل فقط وصمتت برهة ، ثم تمتمت قائله : " إن موطنى هنا ".

فقال الرجل : " طيب ، لكنك لازلت طفلة ، ماهو عمرك ؟ "

فقالت مومو بشكل من عدم الثقة : " مائة واثنان ".

واستغرق الأمر برهة من الزمن إلى أن لاحظ الناس أن الطفلة تعرف عدداً من الأرقام كانت قد التقطتها من قبل ، ولكنها لم تكن تستطيع أن تتصور شيئاً محدداً عنها ؛ لأن أحداً لم يعلمها العد .

فقال الرجل بعد أن تشاور مع الآخرين : " اسمعى ، هل توافقين إذا ما قلنا للشرطة إنك هنا ؟ حينئذ ستذهبين إلى منزل تحصلين فيه على الطعام ولك فيه سرير وفيه تستطيعين أن تتعلمى الحساب والقراءة والكتابة وتتعلمين أكثر من ذلك ، ما رأيك فى هذا ، هيه ؟ "

فنظرت إليه مومو فى فزع .

وتمتمت قائلة : " لا ، لا أريد الذهاب إلى هناك ، لقد كنت فعلاً هناك وأطفال آخرون كانوا أيضًا هناك ، على النوافذ كانت قضبان ، وكل يوم علُق وضرب ، ولكن مع الظلم التام ، ولذلك جريت ليلاً هاربة من فوق السور ، لا أريد الذهاب إلى هناك مرة ثانية ؛ " فقال رجل عجوز وهو يهز رأسه : " إننى استطيع تفهم ذلك " ، والناس الآخرون أيضًا استطاعوا تفهم ذلك وأومأوا برؤوسهم ، وقالت سيدة :" طيب ، ولكنك لازلت صغيرة ، ولابد أن يرعاك أحد "؛

فردت مومو بارتياح : " أنا " .

فتساءلت السيدة : " أتستطيعين ذلك ؟ "

وصمتت مومو برهة ثم قالت بصوت منخفض : " أنا لاأحتاج الكثير " ؛ فتبادل الناس النظر مرة أخرى وتنهدوا وهزوا رؤوسهم .

وحينئذ عاد الرجل الذى تكلم فى بادئ الأمر إلى الحديث مرة أخرى :-

" أتعرفين يا مومو ، نحن نرى أنه ربما يمكنك التسلل والإقامة لدى واحد منا ، صحيح أننا أنفسانا لدينا مكان قليل فقط ، ولكن غالبيتنا عنده كوم من الأطفال لابد من إطعامهم ، ولكننا نرى أنه لايهم إذا زاد الأمر حينئذ واحداً أيضًا ، مارأيك فى ذلك ، هيه ؟ "

فقالت مومو وهى تبتسم لأول مرة :" شكراً ، شكرا جزيلاً : لكن ألاتستطيعون أن تتركونى أسكن هنا فقط ؟ "

وتشاور الناس فترة طويلة ، وأخيراً وافقوا لأن الطفلة فى رأيهم تستطيع إن تسكن هنا بنفس القدر كسكناها لدى واحد منهم ، والجميع يريدون رعاية مومو مشتركين ، حيث إن هذا على شتى الحالات أسهل للجميع سويا عنه بالنسبة لفرد واحد .

وبدأوا فوراً بأن قاموا أولاً بترتيب الغرفة الحجرية نصف المتهدمة التى كانت تقيم فيها مومو ويصلحونها بقدر الإمكان ، وفوق ذلك قام واحد منهم - وكان عامل بناء - ببناء موقد حجرى صغير، وأيضًا تم إحضار فرن صدئ للطهى، وقام نجار عجوز بإعداد منضدة صغيرة وكرسيين من عدة ألواح من صناديق خشبية، وأخيراً أحضرت النساء سريراً حديداً مستهكًا مزينًا بالزخارف ، ومرتبة ممزقة قليلاً فقط ، وغطاءين ، وتحولت الحفرة الحجرية أسفل خشبة منصة الأطلال إلى غرفة صغيرة ، وأخيراً قام عامل البناء الذى كان يمتلك قدرات فنية ، برسم لوحة زهور جميلة على الحائط ، وعلى جانب ذلك رسم حتى الإطار والمسمار الذى تعلق منة اللوحة ثم جاء أبناء الناس وأحضروا ما أمكن استبقاؤه من طعام ، واحد منهم أحضر قطعة من الجبن والآخر خبزاً صغيراً من القمح ، وثالث قليلاً من الفاكهة ، وهكذا ونظراً لأنهم كانوا أطفالاً كثيرين فقد تجمعت فى هذا المساء كمية مكنتهم جميعاً من عمل حفل صغير وصحيح تشريفًا لدخول مومو فى مسكنها ، وقد كان احتفالاً بهيجًا على مستوى فهم الناس الفقراء للاحتفالات ، وهكذا بدأت الصداقة بين مومو الصغيرة والناس من المنطقة المحيطة القريبة .

الفصل الثانى

خاصية غير عادية ونزاع عادى تمامًا

منذ ذلك الحين سارت الأمور لدى مومو الصغيرة على نحو طيب ، حسب رأيها على كل حال فقد كان عندها دائمًا شىء من الطعام وقتها ، تارة أكثر وتارة أقل ، كما هو متاح ، وعلى قدر ما يستغنى عنه الناس ؛ فقد كان لديها مأوى وعندها سرير ، وكانت تستطيع أن تشعل نارًا عندما يكون الجو باردًا ، وأهم شىء هو : أنه كان عندها أصدقاء كثيرون طيبون .

من الممكن الاعتقاد الآن أن مومو كان عندها حظ عظيم بالتقائها بمثل هؤلاء الناس اللطفاء، وكانت مومو نفسها على هذا الرأى تمامًا ، ولكن سرعان ما اتضح أن الناس لم يكونوا أقل حظ منها ؛ فهم كانوا يحتاجون إلى مومو ، ويتعجبون كيف كانوا فيما قبل يعيشون بدونها ، وكلما طال بقاء الفتاة الصغيرة لديهم كلما زاد إحساسهم بعدم الاستغناء عنها لدرجة أنهم كانوا يخافون فقط من احتمال قيامها فى يوم من الأيام بالانصراف عنهم .

وقد حدث أن قام بزيارة مومو أُناس كثيرون جدًا ، ويكاد يرى عندها دائمًا أحد يجلس ويتحدث معها باهتمام .

ومن كان يحتاج إليها ولا يستطيع الحضور ، يرسل إليها من يحضرها ، ومن لم يكن يلاحظ أنه محتاج إليها ، كان الآخرون يقولون له : " عليك بالذهاب إلى مومو ! "

لكن لماذا ؟ هل ربما كانت مومو ذكية بشكل غير معقول لدرجة أنها كانت تستطيع أن تعطى كل إنسان نصيحة طيبة ؟ هل كانت تعثر دائمًا على الكلمات الصحيحة عندما يحتاج أحد الناس العزاء و السلوى ؟ أكانت تستطيع إصدار أحكام عادلة ورشيدة ؟

كلا ، فاستطاعتها من كل ذلك كان بنفس القدر الضئيل مثل كل طفل آخر ؛ فهل كانت إذن ربما تتقن حسن الغناء بوجه خاص ؟ أم كانت تتقن العزف أى آلة موسيقية ؟

أم أنها أخيرًا كانت تستطيع القص أو تقديم عروض فنية أكروباتية ، نظرًا لأنها كانت تقيم فى نوع من السيرك ؟

لا ، لم يكن هذا أيضًا هو السبب .

أكانت تستطيع السحر ؟ هل كانت تعرف تعويذة سحرية ما يستطيع المرء أن يصرف بها جميع الهموم والأزمات ؟ أكانت تستطيع قراءة الكف أو تتنبأ بالمستقبل بشكل ما ؟ لاشىء من هذا ، إن ماكانت تتقنه مومو الصغيرة أكثر من أى شخص آخر هو : الاستماع ، ربما سيقول بعض القراء إن هذا ليس شيئًا فريدًا فى خصوصيته ، فكل فرد يستطيع الاستماع ، ولكن هذا خطأ ، فلا يستطيع الإستماع بحق إلا

أناس قليلون جداً فقط ، وإتقان مومو للاستماع ، كان شيئًا فريدًا من نوعه تمامًا . مومو كانت تستطيع الاستماع بحيث يصل أناس أغبياء فجأة إلى أفكار ذكية ، ليس لأنها قالت أو سألت شيئًا جلب للآخرين مثل هذه الأفكار ، فقد كانت تجلس هناك فقط وتستمع بكل الاهتمام وبكل المشاركة الوجدانية ، وأثناء ذلك تنظر للآخرين بعينيها الكبيرتين الداكنتين ، ويحس ذلك الشخص المعنى كيف تنشأ بداخله فجأة أفكار لم يكن يشعر أبدًا من قبل أنها بداخله ، لقد كانت تستطيع الاستماع بحيث يعرف فجأة أناس حيارى أو مترددين بدقة تامة ماذا يريدون ، أو يشعر أناس خجولين فجأة بالحرية والشجاعة ، أو بحيث يصبح التعساء والمهمومون وكلهم ثقة وبهجة ، وعندما يقول أحدهم بأن حياته فاشلة تمامًا وعديمة الأهمية ، وبأنه نفسه ليس سوى فرد من ملايين الأفراد ، فرد لايمثل شيئًا حاسمًا ، ويمكن تبديله بسرعة كإناء مكسور ، ويذهب إلى هناك ويحكى كل هذا لمومو الصغيرة فيتضح له بطريقة غير معلومة أنه كان فى غاية الخطأ ، وبأن وجوده بالضبط كما هو عليه ، شىء فريد فقط من بين كل البشر ، ولذلك فهو بالنسبة للعالم مهم بشكل خاص ، هكذا كان إتقان مومو للاستماع .

وفى يوم من الأيام أتى إليها رجلان إلى المسرح المستدير وقد وصل بهما الشقاق لدرجة مميتة ، ولم تعد لدى أحدهما الرغبة فى التحدث مع الآخر رغم أنهما كانا جارين .

ونصحهما أناس آخرون بالذهاب إلى مومو ؛ لأنه لايصح أن يعيش الجيران فى عداوة ، ورفض الرجلان فى بداية الأمر ، وأخيرًا رضخا لذلك رغمًا عنهما .

وجلسا الآن فى المسرح المستدير فى عداوة وصمت كل منهما يجلس على الجانب الآخر من صفوف المقاعد الحجرية وينظران أمامهما عابسين .

أحدهما كان عامل البناء الذى صنع الفرن ولوحة الزهور الجميلة فى " غرفة المعيشة " لمومو ، وكان اسمه نيكولا ، وكان فتى قوياً ذا شارب أسود مبروم ، والثانى كان يدعى نينو ، وكان نحيف القوام ويبدو عليه دائمًا أنه متعب قليلاً ، وكان نينو يؤجر إحدى الحانات الصغيرة عند طرف المدينة يجلس فيها بعض الرجال العجائز فقط الذين يقضون المساء كله فى شرب كوب واحد من النبيذ ويتحدثون عن ذكرياتهم ، وكان نينو وزوجته السمينة ينتميان لأصدقاء مومو ، وكثيرًا ما جلبوا لها أشياء طيبة من الطعام .

وعندما لاحظت مومو أن كليهما غضبان من الآخر لم تكن تدرى فى بادئ الأمر إلى من تتجه بالحديث أولاً ، ولكيلا تسبب إهانة لأحدهما ، جلست أخيرًا على مسافة متساوية منهما على حافة المنصة الحجرية ووجهت نظرها إليهما ، وانتظرت فقط لما سيحدث فبعض الأمور تحتاج إلى وقت – والوقت هو الشىء الوحيد الذى كانت مومو غنية به ، وبعد أن جلس الرجلان مدة طويلة هب نيكولا واقفًا فجأة وقال : " سأنصرف فلقد أبديت حسن نيتى بمجرد مجيئى ، ولكنك ترين يا مومو أنه منغلق عنيد ؛ فعلام انتظارى لمدة أطول ؟ "

واتجه فعلاً للانصراف .

فصاح نينو وراءه : " أجل ، فلتنصرف ! لم يكن هناك داع لمجيئك بالمرة ، إننى لن أتصالح مع أحد المجرمين ! "

فدار نيكولا حول نفسه ، ووجهه أحمر كعرف الديك الرومى من الغضب .

وتساءل مهدداً وهو يرجع مرة أخرى : " من هو المجرم هنا ؟ قلها مرة أخرى ! "

فصرخ نينو : " أكررها كما تريد ، اتعتقد – لأنك قوى ومتوحش – أنه لن يجرؤ أحد على أن يقول الحقيقة فى وجهك ؟ لكن أنا ، أنا أقولها لك ولجميع من يريدون سماعها ! نعم ، هيا تعال إلىَّ واقتلنى كما كنت تريد أن تفعل ! "

فزأر نيكولا وهو يضم قبضتيه : " ياليتنى فعلتها ! لكن انظرى يامومو كيف يكذب ويفترى ، لقد أمسكت بخناقه وألقيته فى بركة مياه الغسيل خلف ماخوره ، ولايمكن أن يغرق فيها حتى فأر " ، واتجه إلى نينو مرة أخرى قائلاً وهو يصرخ : " للأسف أنت لاتزال على قيد الحياة ، كما نرى ! "

وقد استمرت أفظع الشتائم فترة من الزمن ولم تستطع مومو أن تخرج من ذلك بمعرفة ماهو الأمر ولماذا كان كلاهما يشعر بالمرارة تجاه الآخر ، اتضح شيئًا فشيئًا أن نيكولا قد ارتكب تلك الفعلة الشنعاء ؛ لأن نينو قد سبق أن صفعه على وجهه فى حضور بعض العملاء .

وسبق ذلك مرة أخرى فى الحقيقة أن حاول نيكولا تحطيم أوانى نينو بالكامل .

– " هذا ليس صحيحًا ، على الإطلاق ! " هكذا دافع نيكولا عن نفسه بمرارة وقال :

– " لقـد رمـيت دورقًا واحـدًا إلى الحـائط ، وقد بـه كـان شـرخ على كل حال ! "

فرد نينو قائلاً : " ولكنه كان دورقي ، وليس من حقك على الإطلاق أن تفعل مثل هذا ! " وكـان نيكولا مقتنعًا تمامًا بأنه تصـرف فى حدود حقه المكتسب ، لأن نينو كان قد أهانه فى شرفه كعامل بنـاء .

وصاح متوجهًا إلى مومو قائـلاً : " أتدرين ماذا قال عنى ؟ إننى لا اسـتطيع بناء حائط معتدل لأننى مخمور طوال الليل والنـهار حتى جدى الأول كان على هذا النحو ، وأنه اشترك فى بناء برج بيزا المائل ! "

فرد نينو : " ولكن يا نيكولا ، إن هذا كان مجرد مزا ح ! "

فزمـجر نيكولا قـائـلاً : " جميل ! لايمكن للمرء الضـحك على شىء كهذا . "

ولكن اتضح أن نينو كـان يرد بذلك على مـزاح آخـر لنيكولا ؛ فـفي صبيحة أحد الأيام شوهدت كتابة على باب نينو بحروف حمراء فاقعة : " من لا يصـبح شيـئًا يصـبح نادلاً ، " ولم يعـتبـر نينو بدوره هـذا أمـرًا مضـحكًا على الإطلاق ، وتشـاجرا الآن فـترة من الزمن تشـاجـرا جادًا حـول من كان منهمـا أفضل مزاحًـا من الآخر وتحـادثا مرة أخـرى فى غضب ، ولكنهما توقفا فجأة .

ونظرت مـومو إليـهمـا بعينين واسـعـتين ولم يسـتطع واحـد منهمـا تفسـير نظرتـها تفسـيرًا صـحـيحًا ؛ فـوجـهـا لم يبح بذلك ، ولكن كلا الرجلين أحسا كما لو كانا يريان نفسيهما فى مرآة ، وبدآ يخجلان من نفسيهما ، وقال نيكولا : " حسن ، لم يكن يصح لى أن أكتب هذا على

بابك يا نينو ، وإنني أيضًا لم أكن سأفعل ذلك إذا أنت لم ترفض أن تصب لى كوبًا واحدًا فقط من النبيذ ، لقد كان هذا مخالفًا للقانون ، فاهم ؟ لأننى كنت أدفع الحساب دائمًا ولم يكن لديك سبب فى معاملتى على هذا النحو ".

فرد نينو قائلاً : " وأى سبب كان عندى ! ألم تعد تذكر مسألة القديس أنتونيوس ؟ آه ، الآن يصفر وجهك ! فقد نصبت علىَّ وكان نصبًا كبيرًا ولا أسمح لأحد أن يفعل بى ذلك" .

– أنا نصبت عليك أنت ؟ " قال نيكولا ذلك صائحًا وضرب مقدمة رأسه بشدة ،

– " لقد انقلب الحال ! أنت كنت تريد أن توقع بى ، ولكنك فقط لم تنجح فى ذلك ! " .

والموضوع كان كما يلى :– فى حانة نينو الصغيرة كانت هناك صورة معلقة على الحائط تبين القديس أنتونيوس ، كانت صورة مطبوعة بالألوان ، كان نينو قد قصها من إحدى المجلات فى وقت ما ووضعها فى برواز ، وفى يوم من الأيام أراد نيكولا أن يشترى هذه الصورة من نينو – بحجة أنه يجدها جميلة جدًا ، واستطاع نينو أخيرًا عن طريق المساومة الماهرة أن يقنع نيكولا بتقديم جهاز المذياع لديه فى مقابلها ، وضحك نينو فى سره حيث إن نيكولا بالطبع قد خرج عندئذ بنصيب سيئ نوعًا ، وتمت الصفقة .

ولكن اتضح الآن أن عملة ورقية كانت موضوعة بين الصورة والخلفية المصنوعة من الكرتون ، والتى لم يكن نينو يعرف عنها شيئًا ، وفجأة كان الآن هو الخاسر ، وهذا ما أغضبه ، وباقتضاب شديد طالب نيكولا بإعاده النقود ، لأنها لم تكن ضمن صفقة المبادلة ورفض نيكولا ، وبناء على ذلك لم يعد نينو يرغب فى إعطائه المشروبات ، هكذا بدأ النزاع ، وعندما استرجع كلاهما الأمر حتى بدايته صمتا برهة من الزمن ، ثم تساءل نينو : " قل لى بأمانة تامة الآن يا نيكولا – هل كنت تعلم قبل صفقة المبادلة شيئًا عن النقود أم لا ؟ "

– " الأمر واضح ، وإلا فإننى لم أكن قد أتممت المقايضة " .

– " إذن لابد لك أن تعترف بأنك قد احتلت على ! "

– " كيف ؟ ألم تكن حقًا تعلم شيئًا عن النقود ؟ "

– " كلا ، كلام شرف ! "

– " إذن ، فأنت كنت تريد أن تحتال علىّ ، وإلا فكيف استطعت أن تأخذ منى جهاز الراديو فى مقابل قطعة لا قيمة لها من ورق الصحف ، هيه ؟ "

– " وكيف علمت من أمر النقود ؟ "

– لقد رأيت فى مساعين قبل ذلك أحد الزبائن وهو يدخلها فيها هبة للقديس أنتونيوس " .

وعض نينو على شفتيه وقال : " هل كانت كثيرة ؟ "

فأجاب نيكولا : " ليس أكثر ولا أقل من جهاز الراديو ملكى ".

فقال نينو مفكراً : " إذن فكل النزاع بيننا يدور فى الواقع حول القديس أنتونيوس فقط الذى قصصته من الجريدة ".

وهرش نيكولا فى رأسه ودمدم قائلاً : " فى الواقع نعم ، يمكنك أن تأخذه مرة أخرى بسرور ، يانينو ؛ " فرد نينو بكرامة ووقار : " كلا ، لقد تبادلنا وتمت المقايضة ! والمصافحة على ذلك تصديق بين الرجال الشرفاء ! "

وفجأة بدآ يضحكان فى وقت واحد ، ونزلا متسلقين الدرجات الحجرية والتقيا فى وسط المكان المستدير الذى نبتت عليه الأعشاب ، وتعانقا سوياً ، وربت كل منهما على ظهر الآخر .

ثم احتضنا مومو وقالا : " شكراً جزيلاً ! وعندما انصرفا بعد برهة من الزمن ، لوحت لهما مومو بيدها لفترة طويلة ، وكانت مسرورة جداً أن صديقيها عادا إلى حسن التعامل مع بعضهما الآخر .

وفى مرة أخرى أحضر لها صبى صغير طائر الكنارية الذى لديه ولايريد الغناء ، وكانت هذه مهمة أكثر صعوبة لمومو فكان عليها أن تستمع له طيلة أسبوع كامل إلى أن بدأ مرة أخرى فى الابتهاج والتغريد .

وكانت مومو تستمع للجميع ، للكلاب والقطط ، للجداجد(*) والضفادع ، بل حتى للمطر والرياح بين الأشجار ، وكل شيء كان يتحدث إليها بطريقته .

* حشرة كالجراد أو الصرصار .

وفى بعض الأحيان ، وعندما يكون جميع أصدقائها قد ذهبوا لمنازلهم ، كانت تجلس وقتًا طويلاً وحدها فى المكان الحجرى المستدير الكبير من المسرح حيث قبة السماء المتلألئة بالنجوم من فوقه وتنصت للصمت العظيم .

عندئذ يتراءى لها كما لو كانت تجلس وسط أذن ضخمة تنصت إلى دنيا النجوم ، وتشعر كما لو كانت تسمع موسيقى خافتة ، ولكنها هائلة تصل إلى قلبها بشكل غريب تمامًا ، وفى مثل هذه الليالى كانت تحلم دائمًا أحلامًا جميلة بشكل خاص .

ومن لايزال حتى الآن يقول إن الاستماع ليس أمرًا مميزًا ؛ فعليه أن يحاول مرة إذا كان سيستطيع ذلك بنفس الطريقة الجيدة أيضًا .

الفصل الثالث

عاصفة فى تمثيلية وأنواء حقيقية

من البديهى أن مومو لم تكن تفرق عند استماعها بين الكبار والأطفال ، ولكن كان الأطفال يحبون الذهاب إلى المسرح المستدير القديم لسبب آخر تماماً ، فمنذ وجود مومو هناك استطاعوا اللعب جيداً بشكل لم يسبق له مثيل أبداً ، ولم تعد هناك لحظات مملة ، ولم يكن ذلك يرجع لأن مومو كانت تقدم مقترحات جيدة ، لا ، إن مومو كانت فقط موجودة هناك تشترك معهم فى اللعب ، وعن هذا الطريق - ولا أحد يعرف كيف - أتت للأطفال حتى أفضل الأفكار ؛ فكل يوم يبتكرون ألعاباً جديدة ، لعبة أجمل من الأخرى .

مرة ، فى يوم قائظ خانق كان حوالى عشرة أطفال أو أحد عشرطفلاً يجلسون على الدرجات الحجرية وينتظرون مومو التى كانت قد خرجت لبعض الوقت للتجول فى المنطقة كما كانت تفعل أحياناً ، وفى السماء كانت سحب كثيفة سوداء ، ربما كان سيأتى رعد ومطر عما قريب .

وقالت فتاة معها أختها الصغيرة : " من الأفضل أن أذهب للمنزل ، فإنى أخاف من البرق والرعد ؛ " فتساءل صبى يلبس نظارة : " وفى البيت ، ألا تخافين من ذلك وأنت فى المنزل ؟ "

وأجابت الفتاة : " بلى " .

فقال الصبى :" إذن يمكنك أن تبقى هنا بنفس القدر ."

فهزت الفتاة كتفيها ورأسها وقالت بعد برهة : " ولكن ربما لاتأتى مومو على الإطلاق ".

فتدخل فى الحديث ولد مظهره مهلهل بعض الشيء : " وما فى ذلك ؟ لهذا السبب نستطيع أن نلعب أى شيء رغم ذلك – وبدون مومو أيضًا ".

– " طيب ، لكن ماذا ؟ "

– " لا أعرف أيضًا ، أى شيء ".

– " أى شيء يساوى لاشيء ، من عنده اقتراح ؟ "

فقال صبى سمين له صوت عال كالفتيات : " أنا أعرف شيئًا ، يمكننا أن نمثل أن هذه الأطلال كلها سفينة كبيرة ، ونحن مسافرون فى بحار مجهولة ونعايش مغامرات ، أنا القبطان ، وأنت قائد الدفة الأولى ، وأنت عالم طبيعة ، أستاذ ، لأنها رحلة علمية ، أتفهمون ؟ والآخرون ملاحون .

– " ونحن البنات ، ماذا نكون ؟ "

– " بحارات ، إنها سفينة المستقبل . "

لقد كانت خطة جيدة وحاولوا اللعب ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتفقوا ولم تتطور لعبتهم ، وبعد فترة قصيرة جلسوا مرة أخرى على الدرجات الحجرية وانتظروا ، وبعد ذلك جاءت مومو .

هدرت موجة عالية عند مقدمة السفينة ، واهتزت سفينة الأبحاث " أرجو " بخفة على الأمواج إلى أعلى وإلى أسفل وهى تتقدم إلى الأمام فى سير هادئ بكامل قوتها تجاه بحر المرجان الجنوبى ؛ فمنذ ما يتذكره البشر لم تعد أية سفينة تجرؤ على الإبحار فى تلك المياه الخطيرة ، لأنها كانت تمتلئ بالأعماق السحيقة والشعب المرجانية والوحوش البحرية المجهولة ، وقبل كل شىء كان هناك مايسمى " بالإعصار الأبدى " وهو عاصفة دوامة لاتهدأ أبداً ؛ فقد كان دائم التجوال فوق هذا البحر يبحث عن فريسة مثل كائن حى ، ماكر فوق ذلك لم يكن ممكنا توقع خط سيره ، وكل مايمسك به هذا الإعصار بمخالبه العملاقة لايتركه إلا بعد أن يحطمه إلى شظايا فى سمك عيدان الكبريت .

ولكن سفينة الأبحاث " أرجو " كانت مهيئة بشكل خاص لمواجهة هذه " العاصفة الدوامة الجوالة " ، لقد كانت كلها مكونة من صلب " ألامونت أزرق " قابل للثنى وغير قابل للكسر مثل حد الخنجر ، وكانت مصبوبة من قطعة واحدة فقط بطريقة تصنيع خاصة ، بدون وصل أو لحام .

وبرغم ذلك كان من الصعب على قبطان آخر وأى فريق آخرالتعرض لهذه المخاطر التى لم يسمع عنها من قبل ، ولكن القبطان جوردون كانت لديه الشجاعة ؛ فقد كان ينظر إلى أسفل بكبرياء من فوق مركز القيادة إلى ملاحيه وبحاريه ، وقد كانوا خبراء محنكين فى تخصصاتهم .

وكان يقف إلى جانب القبطان قائد الدفة الأولى دون ميلو ، وهو بحار عجوز محنك مر بمائة وسبعة وعشرين إعصاراً ، ومن ورائها على

ظهر السفينة كان يُرى البروفسور آيزنشتاين ، الرئيس العلمى للبعثة ومعه مساعدتاه ماورين وسارة اللتان تقومان مقام دور كتب كاملة بما لديهما من ذاكرة هائلة ، وكان الثلاثة يقفون عاكفين على أجهزتهم الدقيقة ويتشاورن بصوت منخفض سويا بلغتهم العلمية المعقدة .

وكانت تجلس على مسافة بعيدة نوعًا مومو سان ، وهى من أهل البلد ، وقد وضعت رجليها أسفلها ، وبين الحين و الآخر كان الباحث يسألها عن تفاصيل خاصة للبحر ، وتجيبه بلهجة هولا ذات الوقع الحسن ، والتى لايفهمها سوى البروفسور .

وكان هدف البعثة هو العثور على سبب " الإعصار المتجول " ، وإزالته إن أمكن لكى يصلح هذا البحر لسير السفن الأخرى مرة ثانية ، ولكن كان كل شىء لايزال هادئا ولم يكن هناك أثر للإعصار .

وفجأة انتزعت صرخة رجل مركز المراقبة القبطان من أفكاره ، فقد صاح متجهاً إلى أسفل وقد وضع يده كالمخروط أمام فمه : " كابتن ، إما إننى مجنون ، أو إننى أرى فعلًا جزيرة من الزجاج أمامنا ! " ونظر القبطان ودون ميلو على الفور من خلال مناظيرهم المقربة ، وكذلك أتى بروفسور آيزنشتاين ومعاونتاه فى اهتمام ، فقط الفتاة من أهل البلد ظلت جالسة فى هدوء؛ فإن عادات شعبها كانت تحظر عليها إظهار الفضول ، وسرعان ما وصلوا لجزيرة الزجاج ونزل البروسفور على سلم الحبال من جدار السفينة الخارجى ووطأ بقدميه الأرض الشفافة ، وكانت زلقة للغاية وبذل البروفسور كل جهده كى يحافظ على وقوفه على قدميه والجزيرة كلها كانت مستديرة كالحلقة ويقدر قطرها بعشرين متراً ، وكانت ترتفع إلى ناحية الوسط مثل سقف القبة، وعندما وصل

البروفسور إلى أعلى منطقة استطاع أن يرى بوضوح شعاع ضوء ينبض فى العمق بداخل هذه الجزيرة .

وأخبر ما شاهده للآخرين الذين كانوا يقفون في شغف عند سور سطح السفينة فقالت المساعدة ماورين :"على ذلك لابد أن يكون أوجلمومف بيسترو تسينالس" فردت المساعدة سارة "محتمل ، ولكن من الممكن أيضًا أن يكون شلوكولا تابيتو تسيفيرا" ؛ فاعتدل بروفسور آيزنشتاين وأصلح من وضع نظارته وصاح إلى أعلى: " من رأيى أنه نوع من الشتروموفوس كفتشينيزوس العادى ، ولكننا يمكننا أن نحدد ذلك فقط عندما نفحص الأمر من أسفل . "

وبعد ذلك قفزت ثلاث بحّارات فى المياه ، وكن فوق ذلك من مشاهير العالم فى رياضة الغوص ، وكن قد ارتدين فى تلك الأثناء ملابس الغوص ، واختفين فى العمق السحيق ، ولفترة من الزمن لم تظهر على سطح البحر سوى فقاقيع هواء ، ثم طفت فجأة إحدى الفتيات واسمها ساندرا وصاحت وهى تلهث : " إنه قنديل بحر عملاق . الاثنتان الأخريان قد تعلقتا مشتبكتين بكلابيبه ولا يستطيعان تخليص نفسيهما ، يجب علينا مساعدتهما قبل فوات الأوان " ، ثم اختفت مرة أخرى .

مائة من الضفادع البشرية بقيادة رئيسهم الخبير فرانكو ، المسمى " بالدلفين " ألقوا بأنفسهم فى الأمواج على الفور، واشتعل قتال فظيع تحت الماء وقد اكتسى سطحه بالرغاوى ، ولكن حتى هؤلاء الرجال لم يوفقوا فى تخليص الفتاتين من الأسر المخيف ؛ فقوة هذا الحيوان الهلامى كانت زائدة عن الحد فى هولها .

فقال البروفسور لمساعدتيه وقد قطب جبينه : " يبدو أن شيئًا ما فى هذا البحر يسبب نوعًا من النمو العملاق ، إن هذا مثير للغاية ! "

وفى تلك الأثناء كان القبطان جوردون وقائد دفته الأولى دون ميلو قد تشاورا وتوصلا إلى قرار ما .

وصاح دون ميلو : " كما كنت ! جميع الرجال يعودون إلى سطح السفينة ! إننا سوف نقطع الوحش إلى قطعتين ، فلا يمكننا تخليص الفتاتين بشكل آخر . "

وصعد " الدلفين " وضفادعه البشرية عائدين إلى سطح السفينة ، وتحركت " أرجو " الآن إلى الوراء قليلاً فى بادىء الأمر ثم بكامل قوتها إلى الأمام ناحية قنديل البحر العملاق ، وكانت مقدمة السفينة المصنوعة من الصلب حادة كموس الحلاقة ؛ فشقت قنديل البحر العملاق نصفين بلا صوت وبلا اهتزاز تقريبًا .

ولم يكن ذلك بلا خطورة تامة على الفتاتين التى تأسرهما الأذرع الكلابة ، ولكن قائد الدفة الأولى دون ميلو كان قد حسب موقعها بدقة تامة وانطلق مخترقًا الحيوان بينهما ، وعلى الفور تدلى الذراعان الكلابان لنصفى قنديل البحر فى تراخ وضعف ، واستطاعت الأسيرتان أن ينتزعا نفسيهما من بينهما ، واستقبلا على السفينة بالبهجة والسرور ، وتقدم البروفسور آيزنشتاين إلى الفتاتين وقال : - " لقد كان هذا ذنبى ما كان يصح لى أن أرسلكما إلى أسفل ، اغفرا لى لتعريضكما للخطر ! " ؛ فردت فتاة منهما وهى تضحك بسرور : " ليس هناك مايدعو لمغفرتك ، بروفسور ، إننا سافرنا معكم لهذا الغرض ! "

وأضافت الفتاة الثانية قائلة :" إن الخطر وظيفتنا " ، ولم يبق هناك وقت لحوار أطول من ذلك ؛ ففى غمار أعمال الإنقاذ نسى القبطان وطاقم السفينة تماماً أن يراقبوا البحر .

وهكذا لاحظوا الآن فقط وفى آخر دقيقة أن " العاصفة الدوامة الجوالة " قد ظهرت فى تلك الأثناء فى الأفق واتجهت ناحية " أرجو " بسرعة جنونية .

وأمسكت أول موجة منقضة هائلة بالسفينة الحديدية وانتزعتها إلى أعلى وألقت بها على جانبها وقذفتها إلى أسفل إلى واد من الأمواج يبلغ عمقه أكثر من خمسين متراً ، ومما لاشك فيه فإنه عند حدوث هذا الارتطام الأول فإن بحارة أقل خبرة وشجاعة من بحارى السفينة " أرجو " كان نصفهم قد اكتسحته الأمواج من على ظهر السفينة ونصفهم الآخر كان سيقع مغشياً عليه ، ولكن القبطان جوردون وقف مباعدا بين رجليه على مركز القيادة كما لو لم يكن قد حدث شىء ، وكذلك فريق العمل معه وقف ثابتاً بلا حركة ، ولكن مomوسان الفتاة الجميلة والتى من أهل البلد ، والتى لم تكن معتادة على مثل هذه الرحلات البحرية الهوجاء فقد صعدت إلى أحد زوارق الإنقاذ ، وفى ثوان قليلة كانت السماء كلها سوداء مثل القار ، وحطت العاصفة الدوامة على السفينة مدوية ومزمجرة ، وقذفت بها عالياً فى ارتفاع الأبراج وإلى أسفل فى سحيق الأعماق ، وكانت كما لو أن غضبها يتزايد من دقيقة إلى أخرى لأنها لم تستطع أن تنال من السفينة الحديدية "أرجو " شيئاً ، وفى صوت هادئ أصدر القبطان تعليماته التى صاح بها بعدئذ رجل الدفة الأول بصوت عال، ووقف كل فى موقعه، وحتى البروفسور آيزنشتاين

ومساعدتاه لم يتركوا أجهزتهم ، وكانوا يحسبون المكان الذى يرجح فيه بالتأكيد قلب العاصفة الدوامة ؛ فهناك ينبغى أن يكون مسارهم ، وكان القبطان جوردون معجبًا بالبرود الهادئ لهؤلاء العلماء الذين لم يكونوا معتادين على البحر مثله ومثل رجاله، ومرق أول شعاع برق إلى أسفل وأصاب السفينة الحديدية التى شحنت بالطبع عن أخرها بالكهرباء ، وأينما أمسك أحد بشىء تقافز نحوه الشرر ، ولكن كل من على ظهر"أرجو"كان قد تمرن تمرينًا شديدًا على ذلك لشهور طويلة ، ولم يعد لذلك تأثيرعلى أحد. فقط لأن الأجزاء الرقيقة للمركب والحبال المعدنية والقضبان الحديدية بدأت تتوهج مثل السلك المعدنى داخل المصباح الكهربى ، فقد تسبب ذلك فى صعوبة العمل بعض الشىء لطاقم السفينة مع أنهم كانوا يرتدون قفازات مصنوعة من الأسبستوس ، ولكن لحسن الحظ سرعان ما أطفئ هذا التوهج مرة أخرى حيث انهمر مطر لم يعايشه من قبل أحد من المتواجدين - باستثناء دون ميلو – فقد كان مطرًا شديد الكثافة لدرجة أنه سرعان ما أزاح جميع هواء التنفس ، وكان على طاقم السفينة أن يرتدوا أقنعة الغواصين وأجهزة التنفس .

برق وراء برق ، ورعد تلو الرعد ! عاصفة مدوية ! وأمواج فى ارتفاع المنازل وزبد أبيض !

وجاهدت " أرجو " بكامل قوى آلاتها متقدمة مترًا مترًا إلى الأمام ضد القوة الهائلة لهذا الإعصار ، وقام عمال الغلايات والماكينات فى غرف المراجل فى العمق بجهد فوق طاقة البشر ، وكانوا قد ربطوا أنفسهم بحبال سميكة كيلا يقذف بهم اهتزاز وتأرجح السفينة إلى نيران المراجل ، وأخيرًا وصلوا بعد ذلك إلى قلب الدوامة ، لكن ياله من منظر انكشف أمامهم هناك !

على سطح البحر الذى أصبح مستوياً كصفحة المرآة لأن الأمواج كلها قد سوتها قوة العاصفة ، كان يتراقص هناك كائن عملاق ، كان يقف على رجل واحدة ويزداد سمكًا إلى أعلى ، وكان شكله يشبه فعلاً نحلة دوارة فى حجم الجبل ، وكان يدور بسرعة حول نفسه بحيث لايمكن التعرف على تفصيلاته .

وصاح البروفسور وهو يمسك بنظارته التى كان المطر المنهمر ينزلها باستمرار من على أنفه وقال بحماس : " إنه شوم - شوم جومى الاستيكوم ! "

فدمدم دون ميلو قائلاً : " تستطيعون أن تشرحوا لنا هذا بشكل أكثر وضوحاً ؟ فنحن بحارة بسطاء و . . . . "

فقاطعته المساعدة سارة قائلة :"دع البروفسور الآن فى أبحاثه دون إزعاج ، هذه فرصة فريدة ، فكائن النحله الدوارة هذا ربما يرجع أصله إلى الأزمنة الأولى من تطور الأرض ، فمن المؤكد أن عمره أكثر من مليار عام ، ويوجد منه فى يومنا هذا نوع ميكروسكوبى صغير فقط ، ويعثر عليه أحياناً فى صلصة الطماطم ومن النادر فى الحبر الأخضر ، ويبدو أنها النسخة الوحيدة التى لاتزال موجودة بهذا الحجم ! "

وصاح القبطان من خلال دوى العاصفة :"ولكننا هنا لكى نتخلص من أصل "الإعصار الأبدى" على البروفسور أن يقول لنا إذن كيف نسكت على هذا الشئ" فقال البروفسور : " ولكننى لاأعرف ذلك أيضاً ، فالعلم لم تتح له حتى الآن الفرصة فى بحث ذلك . "

فقال القبطان : " حسن ، إننا سوف نطلق علية النار أولاً ثم نرى ماسوف يحدث ."

فقال البروفسور شاكيًا : " إنه من المؤسف أن نطلق النار على النسخة الوحيدة من شوم ، شوم جومى إلاستيكوم ! "

ولكن المدفع المضاد للخيال كان قد وجه فعلاً تجاه النحلة الدوارة العملاقة ، وأصدر القبطان أمره قائلاً : " أطلقوا النار ! " .

وانطلق لهب أزرق بطول كيلو مترًا من فوهة المدفع المزدوجة ، وبالطبع لم يسمع شىء لأنه من المعروف أن المدفع المضاد للخيال له قذائف من بروتين .

وطارت القذيفة المضيئة إلى كائن الشوم - شوم ، ولكن الدوامة العملاقة أمسكت بها وغيرت مسارها فدارت حول ذلك الكيان عدة مرات بسرعة متزايدة ، وأخيرا جذبت إلى أعلى حيث اختفت فى سواد الغيوم؛ فصاح القبطان جوردن:" لافائدة ، لابد أن نقترب حتميًا من هذا الشىء !" فرد عليه دون ميلو صائحًا : " إننا لن نقترب أكثر من ذلك ؛ فالماكينات تدور فعلاً بأقصى قوتها ، ولكن هذا يكفى لكيلا تنفخنا العاصفة إلى الوراء " .

- " هل لديك اقتراح ، يابروفسور ؟ " قال القبطان ذلك وهو يريد المعرفة ، ولكن البروفسور آيزنشتاين هز كتفيه فقط ، ولم يكن لدى المساعدات نصيحة أيضًا ، وبدا الأمر كما لوأنه سيتحتم إنهاء هذه الرحلة دون توفيق .

وفى هذه اللحظة جذب البروفسور من كمه ، لقد كانت الفتاة الجميلة من أهالى البلد ، وقالت بتقاطيع وجه مليحة : " مالومبا ، مالومبا أويزتيوسونو ! إفاينى سامبا إنسالتو لولو بندرا كرامونا هوى بينى بينى سادوجاو . "

وتساءل البروفسور بدهشة : " بابالو ؟ ديدى ماها فانيوزى أنتو جيدونن مالومبا ؟ "

فهزت بنت البلد الجميلة رأسها بحماس وأجابت : " دودو أوم آوفو شولامار فافادا ؛ " فرد البروفسور وهو يتحسس ذقنه مفكراً : " أوى ، أوى " .

فقال رجل الدفة الأولى مستفسراً : " ماذا تريد ؟ "

فقال البروفسور : " إنها تقول ، لدى شعبها أغنية قديمة جداً يمكنها أن تجلب النوم إلى "الإعصار المتجول" ، إذا كان لدى أحد الشجاعة أن يغنيها أمامه . "

فدمدم ميلو قائلاً : " ياللسخرية ! أنشودة نوم لعاصفة ! "

فقالت المساعدة سارة راغبة فى المعرفة : " مارأيكم يابروفسور ؟ هل هذا سيكون ممكناً؟ "

فقال البرفسور آينشتاين : " لايجوز أن تكون لدى المرء أحكام مسبقة ؛ فغالباً ما تكمن نواة حقيقية فى موروثات أبناء البلاد الأصلين ، ربما توجد ذبذبات صوتية معينة لها تأثير على شو - شو جومى الإستيكوم " فمعلوماتنا عن ظروف معيشته لاتزال ضئيله للغاية . "

فقرر القبطان وقال : " الأمر لن يضر ، ولذلك ينبغى أن نجرب ، قل لها أن تغنى ، " واتجه البروفسور للفتاة الجميلة التى من أهل البلاد وقال : " مالومبا ديدى أويسافال هونا - هونا ، فافادو ؟ "

فهزت مومو سان رأسها وبدأت على الفور غناء غاية فى الغرابة يتكون من ألحان قليلة فقط تتكرر باستمرار :

" اينى مينى الوبينى

فنا تاى سوسورا تينى ! "

وكانت أثناء ذلك تصفق بيديها وتقفز على الإيقاع .

وكان اللحن بسيطًا والكلمات سهلة الحفظ ، واشترك الآخرون بالتدريج فى الغناء ، وسرعان ماغنى طاقم السفينة كله وصفق بيديه وقفز على الإيقاع ، وكان من المدهش حقًا أن يرى كيف كان دون ميلو البحار العجوز وحتى البروفسور يغنى ويصفق ، كما لو كانا طفلين فى أرض الملعب ، وفعلا حدث مالم يكن يصدقه أحد ! تباطأ دوران النحلة الدوارة العملاقة أكثر وأكثر ، وأخيرًا توقف ثم أخذت فى الغوص ، وانغلقت كتل المياه من فوقها بصوت كالرعد ، وفجأة تلاشت العاصفة تمامًا وانقطع المطر وصفت السماء وازرق لونها وهدأت أمواج البحر ، ووقفت " أرجو " فى سكوت على صفحة المياه المتلألئة كما لو لم يكن هناك من قبل أى شىء سوى الهدوء والسلام .

فقال القبطان جوردون وهو ينظر إلى كل فرد فى امتنان : " أيها الناس لقد أنهينا الأمر ! " وكان لا يتكلم كثيرًا أبدًا ، وهذا ما يعرفه الجميع ، وهذا ما جعلهم يقدرون أنه هذه المرة أضاف قائلاً : إننى فخور بكم ! "

وقالت الفتاة التى كانت قد أحضرت معها أختها الصغيرة " أعتقد أنها أمطرت حقًا ؛ فأنا أصبحت غارقة فى البلل ، وفعلاً كانت الأمطار المرعدة والمبرقة قد هطلت فى تلك الأثناء ، ودهشت بوجه خاص الفتاة ذات الأخت الصغيرة من أنها نسيت تمامًا خوفها من البرق والرعد

طوال تواجدها على السفينة الحديدية ، و تحدثوا فترة من الزمن عن المغامرة ، وحكوا لبعضهم عن التفاصيل التى عايشها كل فرد لنفسه، ثم افترقوا عن بعضهم كى يذهبوا إلى منازلهم ويجففوا أنفسهم ، واحد فقط لم يكن راضيًا تماما عن سير اللعب ذلك هو الصبى ذو النظارة ؛ فقد قال لمومو وهو ينصرف :" خسارة فعلاً ، إننا أغرقنا شوم - شوم الإستيكوم ، وهو آخر نسخة من فصيلته ، كنت أود فعلاً أن أجرى البحث عليه بمزيد من الدقة ."

ولكنهم كانوا جميعًا متفقين على شيء واحد كعهدهم دائمًا، ألا وهو : لايمكن اللعب فى أى مكان مثل اللعب مع مومو .

الفصل الرابع

عجوز صموت وشاب طليق اللسان

عندما يكون لدى المرء أصدقاء كثيرون جداً ، يكون أيضًا من بينهم دائمًا بعض القلائل المقربين بشكل خاص تمامًا ، ويكونون هم أحبهم إليه، وهذا ماكان أيضًا لدى مومو ؛ فقد كان عندها اثنان من أفضل الأصدقاء ، يأتيان إليها كل يوم ويشاركانها كل شيء يفعلانه : أحدهما كان صغير السن ، والثانى كان عجوزاً ، ولم يكن فى استطاعة مومو أن تقول أيهما كانت تحبه أكثر من الآخر .

العجوز كان يدعى بيبو كناس ، وفى الحقيقة له لقب آخر ، ولكن لأن مهنته كناس ولأن الناس كلهم كانوا يطلقون عليه هذا الاسم ، فقد سمى هو أيضًا نفسه هكذا "بيبو كناس" كان يسكن بالقرب من المسرح المستدير فى أحد الأكواخ التى بناها بنفسه بتجميع الطوب وقطع الصاج المتموج وورق الكرتون المطلى بالقار للسقف ، وكان صغير الحجم بشكل غير عادى ، وفوق ذلك كان يمشى دائمًا وهو محنى الظهر قليلاً لدرجة إنه كان يزيد عن طول مومو بقدر ضئيل فقط ، ورأسه الكبير الذى تعلوه كومة شعر بيضاء، كان دائمًا يميل به دائمًا، ويضع على أنفه نظارة صغيرة .

وكان بعض الناس يرون أن بيبوكناس لم يكن سليم العقل تمامًا ، وهذا يرجع إلى أنه كان يبتسم بلطف فقط ولايجيب على من يسأله ؛ فقد كان يتأمل، وعندما لايجد ضرورة للإجابة كان يصمت ، ولكن عندما يرى ضرورة لإجابة ما فإنه كان يفكر فى الإجابة ، و أحيانًا كان ذلك يستغرق ساعتين ولكن أحيانًا أيضًا يومًا كاملاً إلى أن يرد بشىء ، وفى تلك الأثناء يكون الشخص الآخر قد نسى طبعًا ماكان قد سأله ، وتبدو له كلمات بيبو تدعو للعجب .

مومو فقط كانت تستطيع أن تنتظر لمدة طويلة وكانت تفهم مايقول ، وكانت تعرف أنه أخذ وقتًا طويلاً جداً لكيلا يقول شيئًا غير حقيقى أبدًا ؛ لأن من رأيه أن كل شقاء العالم يأتى من الأكاذيب الكثيرة التى تنشأ عن قصد وأيضًا عن غير قصد بسبب التسرع أو عدم الدقة .

وكان يذهب كل صباح قبل حلول النهار بوقت طويل بدراجته القديمة التى تحدث صريراً مع دورانها إلى المدينة أو إلى أحد المبانى الكبيرة ، وهناك ينتظر مع زملائه فى فناء ما إلى أن يعطيه أحدهم مقشة وعربة جرارة ويحدد له شارعًا ليكنسه .

وكان بيبو يحب تلك الساعات قبل حلول النهار عندما تكون المدينة لاتزال نائمة ، وكان يقوم بعمله بسرور وبدقة ، وكان يعرف أنه عمل ضرورى جداً .

وعندما يكنس الشوارع كان يفعل ذلك ببطء ولكن بثبات ، فمع كل خطوة نفس ، ومع كل نفس ضربة مقشة ، خطوة – نفس – ضربة مقشة ، خطوة – نفس – ضربة مقشة ، وبين الأوقات يقف أحيانًا لبرهة من

الزمن ويحملق أمامه في تفكير ، ثم يستمر مرة أخرى – خطوة – نفس – ضربة مقشة . . . .

وبينما هو يتحرك على هذا النحو ، أمامه الشارع المتسخ ووراءه النظيف ، كان غالبًا ما تأتى إليه أفكار عظيمة ، ولكنها أفكار دون كلمات ، أفكار من الصعب الإخبار عنها ، مثل عطر معين يتذكره المرء فى تلك اللحظة فقط ، أو مثل لون جاء فى المنام ، وبعد العمل وعندما يجلس عند مومو كان يشرح لها أفكاره العظيمة ، ونظرًا لأنها كانت تستمع بطريقتها الخاصة فقد كانت تنحل عقدة لسانه ويجد الكلمات الصحيحة فى التعبير ، وكان يقول بعدئذ على سبيل المثال : " هل ترين فالأمر هكذا : أحيانًا ما يكون أمام المرء شارع طويل جدًا ، ويفكر أنه طويل بشكل مخيف ، ويعتقد أن المرء لن يستطيع إنجازه أبدًا . "

وينظر أمامه فترة من الزمن صامتًا ثم يواصل كلامه قائلاً : " ثم يبدأ المرء فى الإسراع ويزداد تسرع المرء باستمرار ، وكل مرة يرفع المرء بصره ، يرى أن الذى أمامه لم ينقص على الإطلاق ، ويبذل المرء مزايداً من الجهد ويصاب بالخوف ، وأخيرًا تنقطع أنفاسه ويفقد مقدرته ، ويظل الشارع أمامه ، ولايجوز للمرء أن يتصرف على هذا النحو . "

ويفكر بعض الوقت ثم يواصل كلامه قائلاً :" لايجوز أبداً التفكير فى الشارع كله مرة واحدة ، هل تفهمين ؟ لابد أن يفكر المرء فقط فى الخطوة التالية ، وفى النفس التالى ، وفى ضربة المقشة التالية ، ومرار وتكرارا فقط فى الخطوة التالية . "

وعاد للتوقف مرة أخرى وفكر قبل أن يضيف قائلاً : " عندئذ يكون هذا مجلبًا للسرور ، وهذا مهم ، عندئذ يقوم المرء بأداء مهمته بشكل طيب ، وهذا ما ينبغى أن يكون ".

ثم بعد فترة صمت طويلة أخرى واصل كلامه قائلاً : " وفجأة يلاحظ المرء أنه أتم الشارع كله خطوة خطوة ، ولم يلاحظ مطلقًا كيف هذا وأنه لم تنقطع أنفاسه ، " وهز رأسه إلى الأمام خاتمًا كلامه بقوله : " إن هذا مهم ".

أو فى مرة أخرى أتى وجلس صامتًا إلى جوار مومو ، ورأت أنه يفكر ويريد أن يقول شيئًا خاصًا جدًا ، وفجأة نظر إلى عينيها وبدأ يقول : " لقد تعرفت على أنفسنا مرة أخرى"، ومضى وقت قبل أن يكمل كلامه بصوت منخفض : " إن هذا يحدث أحيانًا وقت الظهيرة - عندما ينام الجميع فى القيلولة - عندئذ تشف الدنيا عما بها - مثل النهر ، أتفهمين ؟ - حيث يمكن النظر إلى القاع ".

وهز رأسه وسكت برهة ، ثم قال بصوت أكثر انخفاضًا : " وهناك أزمنة أخرى ، هناك فى القاع بأسفل ".

ومرة أخرى سرح بفكره طويلاً وجعل يبحث عن الكلمات الصحيحة للتعبير ، ولكن يبدو أنه لم يعثر عليها بعد لأنه شرح قوله فجأه بنبرة عادية تمامًا : " لقد كنت اليوم عند سور المدينة القديم كى أكنس ، فإذا بخمسة أحجار ذات لون مختلف بالسور هكذا أتفهمين ؟ "

ورسم بأصبعه فى التراب علامة كبيرة لحرف T وتأملها وهو يميل برأسه ، ثم همس فجأة : - " لقد تعرفت عليها مرة أخرى ، تلك الأحجار. "

وبعد فترة صمت أخرى أكمل كلامه متلعثما : - " لقد كانت مثل تلك الأزمان المختلفة ، فى ذلك الوقت ، عندما بنى السور كثيرون كانوا

يعملون هنـاك ولكـن كان اثنان هما اللذان وضعا الأحجار بالسـور – لقد كانت علامة ، أتفهمين ؟ – لقد تعرفت عليها مرة أخرى . "

ومسح عينيه بيده ، ويبدو أن ماكان يريد قوله قد أجهده فقد سمعت كلماته المتعبة : " إن مظهر كلا الاثنين آنذاك كان مختلفًا ، تمامًا "، ثم صاح وهو يكاد يكون غاضبًا خاتما كلامه قائلاً : " ولكننى تعرفت على أنفسنا مرة – عليك وعلى ، لقد تعرفت على أنفسنا مرة أخرى ! "

لايمكن أن نتضايق من الناس إذا ما ابتسموا عند سماعهم بيبو الكناس وهو يتحدث هكذا ، وبعضهم كانوا يخبطون على جباههم من وراء ظهره ، ولكن مومو كانت تحبه وتحتفظ بكلامه كله فى قلبها .

والصديق الثانى المفضل لدى مومو ، كان صغير السن وعلى العكس التام فى كل شىء من بيبو الكناس ، لقد كان صبيًا جميلاً ذا عينين حالمين ، ولكن له لسان غير معقول فى فصاحته ، وكان وجوده يمتلئ دائمًا بالدعابات والمبالغات ، ويستطيع أن يضحك فى خفة وخلو بال لدرجة أن المرء لابد أن يضحك معه إن أراد أو لم يرد ، وكان اسمه جيرولامو ، ولكن كان ينادى باسم جيجى .

مع أنه لم تكن لديه أية مهنة على الإطلاق فلنسمه إذن جيجى المرشد السياحى ، ولكن كما قلنا فإن المرشد السياحى كانت واحدة من المهن العديدة التى كان يمارسها حسبما يتفق ، ولكنه لم يكن كذلك بحكم وظيفته ، الشرط الوحيد الذى كان يتوفر لديه لممارسة هذا العمل كانت قلنسوة ذات رفرف ، وكان يرتديها فور أن يضل بعض السياح

طريقهم بالفعل ويصلوا لهذه الناحية ، حينئذ يتقدم إليهم بملامح جادة ويعرض عليهم القيام بإرشادهم وشرح كل شئ لهم ، وعندما يستجيب الغرباء لذلك فإنه ينطلق ويحكى لهم العجائب .

ويطيح بأحداث وأسماء وسنوات مختلفة لدرجة أن المستمعين المساكين يصابوا بارتباك تام فى أفكارهم ، البعض كان يلاحظ ذلك فينصرفوا غاضبين ، ولكن أغلبهم كانوا يصدقون كل شئ ويدفعون لذلك الأموال النقدية عندما يفرد جيجى أمامهم قلنسوته ذات الرفرف فى نهاية المطاف .

وكان الناس من المناطق القريبة يضحكون على خواطر جيجى ، ولكن أحيانًا ما كانت وجوههم تعبر أيضًا عن القلق ، ويقولون إنهم فى الحقيقة لا يصح أن يجعل الناس يعطونه أموالاً كثيرة أيضًا فى مقابل حكايات مختلقة ، عندئذ يقول جيجى : " إن هذا ما يفعله جميع الأدباء ، ألم يحصل الناس على شئ فى مقابل نقودهم ؟ أقول لكم إنهم حصلوا بالضبط على ما يريدون . وما هو الفرق إذا كان كل شئ مكتوب فى كتاب علمى أم لا ؟ ومن يقول لكم إذا كانت الحكايات الموجودة بالكتب العلمية ليست سوى حكايات مختلقة ، و ربما فقط لم يعد أحد يعرف ذلك ؟ " أو فى مرة أخرى أفصح عن رأيه قائلاً : " ما معنى حقيقى أوغير حقيقى ؟ من يعرف فعلاً ماذا حدث هنا منذ ألف أو ألفين من السنين ؟ أمن الجائز أنكم تعرفون ذلك ؟ ويعترف الآخرون قائلين : " لا " .

فيصيح جيجى المرشد السياحى قائلاً " أترون ! فكيف يمكنم إذن أن تزعموا بأن حكاياتى ليست حقيقية ؟ من الممكن بنفس القدر أن

تكون حدثت صدفة ، وعندئذ أكون قد قلت الحقيقة المحضة!" وكان من الصعب الاعتراض على ذلك ، أجل ، فيما يتعلق بالفصاحة ، لم يكن فى مقدور أحد أن يتغلب على جيجى بسهولة.

ولكن للأسف لم يأت سياح إلا نادراً جداً لمشاهدة المسرح الدائرى ، ولذا اضطر جيجى كثيراً إلى ممارسة مهن أخرى ؛ فقد كان حسب المناسبة حارساً بأماكن انتظار السيارات ، شاهد زواج ، قائماً على نزهة الكلاب ، ساعيا للبريد الغرامى ، مشاركا فى الجنازات ، تاجر تحف سياحية ، بائع طعام القطط ، ومهن أخرى كثيرة ، ولكن جيجى كان يحلم أن يصبح مشهوراً غنيًا فى يوم من الأيام ، وعندها سوف يسكن فى منزل أسطورى جميل تحيط به حديقة ، ولسوف يأكل من أطباق ذهبية وينام على وسائد من الحرير ، وكان يرى نفسه وهو فى بهاء شهرته بالمستقبل كالشمس التى تبعث أشعتها فيه الدفء الآن ولو من البعد وهو فى وضعه البائس ، وكان يصيح عندما يضحك الآخرون من أحلامه قائلاً :" ولسوف أحقق ذلك ، وكلكم سوف تذكرون كلامى ! " ولكن كيف سيحقق ذلك فهذا ما لم يكن هو نفسه يستطيع التصريح به لأنه لم يكن يهتم كثيراً بالاجتهاد الدؤوب ولا بالعمل الشاق ، وكان يقول لمومو :" إن هذا لايحتاج إلى مهارة ليصبح من يريد أن يكون غنيًا. انظرى كيف يبدو هؤلاء الذين باعوا حياتهم وأرواحهم من أجل قليل من الرفاهية ! كلا ، لن أشاركهم فعلهم ، ليس بهذه الطريقة ، حتى إن لم يكن معى فى كثير من الأحيان من النقود ما أدفع به ثمنًا لفنجال من القهوة - فإن جيجى سيبق جيجى ! " -

وفى الواقع كان لابد من التفكير فى أنه من المستحيل تمامًا أن يتصادق اثنان مختلفان من الناس لهم آراء مختلفة تمامًا عن الدنيا

والحياة مثل جيجى المرشد السياحى وبيبو الكناس ، ولكن ذلك كان ، ومن الغريب أن الشخص الوحيد الذى لم يلم جيجى على استهتاره كان بيبو العجوز ، وكذلك كان من الغريب أيضًا أن جيجى الفصيح الوحيد الذى لم يتهكم أبدًا على بيبو العجوز العجيب .

وربما يرجع ذلك أيضًا إلى الطريقة التى كانت مومو الصغيرة تنصت بها لهما ، ولم يكن واحد من الثلاثة يدرى أن ظلاً سيسقط عما قريب على صداقتهم ، وليس فقط على صداقتهم بل على الناحية كلها – ظل ينموا ويكبر وينتشر من الآن بظلامه وبرودته فوق المدينة الكبيرة ، وكان مثل الغزو الصامت غير الملحوظ يستمر فى تقدمه يومًا بعد يوم ، ولا أحد يدافع عن نفسه ضده لأن لا أحد كان يلاحظه بالفعل ، والغزاة – من كان هؤلاء ؟

حتى بيبو العجوز الذى كان يرى أشياء لا يراها الآخرون لم يلاحظ السادة الرماديين الذين كانوا يجوبون المدينة الكبيرة فى أعداد متزايدة على الدوام ، ويبدو أنهم فى انشغال لايكل ولا يتعب ، مع أنهم لم يكونوا بأى حال غيرمرئيين ، المرء كان يراهم ، ولا يرا هم بالفعل ؛ فقد كانوا يتقنون بشكل خفى جعلهم أنفسهم غير لافتين للنظر لدرجة أن المرء كان يتخطاهم ببصره أو ينسى منظرهم مرة أخرى على الفور ، وهكذا استطاعوا أن يعملوا فى السر ، لأنهم بالذات لم يعملوا على إخفاء أنفسهم ، ولأنهم لم يكونوا يلفتون نظر أحد فلم يتساءل كذلك أحد من أين أتوا ومازالوا يأتون فقد كانوا يتزايدون كل يوم ، وكانوا يسيرون فى الشوارع فى سيارات أنيقة رمادية ، ويذهبون إلى جميع المنازل ويجلسون فى جميع المطاعم ، وكثيرًا ماكانوا يكتبون أشياء فى

مفكراتهم الصغيرة. لقد كانوا سادة يرتدون ملابس كلها رمادية بلون نسيج العنكبوت ، وحتى وجوههم كان منظرها كالغبار الرمادى ، وكانوا يضعون على رؤوسهم قبعات مستديرة متصلبة ويدخنون سيجاراً صغيراً بلون الرماد ، وكل واحد منهم كان يحمل دائمًا حقيبة مستندات رمادية بلون الرصاص ، وحتى جيجى المرشد السياحى لم يلاحظ أن العديد من هؤلاء السادة الرماديين قد تجولوا فى المنطقة من حول المسرح الدائرى بضع مرات وكتبوا فى تلك الأثناء الكثير فى مفكراتهم .

مومو فقط هى التى لاحظتهم عندما ظهر شبحهم المظلم عند الطرف الأعلى للأطلال ، وأعطوا إشارات لبعضهم البعض وفيما بعد تقاربوا برؤوسهم كما لو كانوا يتشاورون ، ولم يسمع شىء ولكن مومو أحست فجأة بقشعريرة بشكل لم تشعر به من قبل أبدا .

ولم يفدها شىء أن التفَّت فى سترتها الكبيرة بإحكام أكبر ؛ فالبرودة لم تكن برودة عادية ثم انصرف السادة الرماديون مرة أخرى ولم يظهروا فيما بعد .

وفى ذلك الوقت لم تستطع مومو سماع الموسيقى الخافتة ولكن الهائلة كما تعودت من قبل ، ولكن فى اليوم التالى عادت الحياة لسيرها الدائم ، ولم تعد مومو تفكر فى الزائرين الغرباء ، حتى إنها نسيتهم .

الفصل الخامس

حكايات من أجل الكثيرين
وحكايات من أجل شخص واحد

شيئًا فشيئًا أصبحت مومو شخصًا لايمكن الاستغناء عنه بالنسبة لجيجى المرشد السياحى ، لقد تملكت منه،إذا ما استطعنا قول هذا على شخص صغير السن خفيف الروح لايهدأ فى مكان مثله، تملك منه حب عميق لتلك الفتاة الصغيرة منفوشة الشعر، وكان بوده لو يشدها معه إلى كل مكان يذهب إليه ، وكان مولعًا - كما نعرف - بحكاية القصص ، وقد حدث تغير لديه فى هذه النقطة بالذات ، وهذا ما شعر به هو نفسه بوضوح شديد ؛ فقد كانت حكايات فيما مضى أحيانًا ضحلة بعض الشىء ، ولم يكن يخطر على باله شىء ذو قيمة ، وكان يكرر بعض الأشياء أو يرجع إلى فيلم من الأفلام التى رآها أو قصة فى جريدة قرأها؛ فلنقل إن حكاياته كانت تسير على الأقدام ، ولكن فجأة نبتت لها أجنحة منذ أن عرف مومو ، وخاصة عندما تكون مومو موجودة تستمع إليه فإن خياله يزدهر كما فى مروج الربيع فيتزاحم حوله الأطفال والكبار ، لقد استطاع حينئذ أن يحكى قصصًا تمتد إلى أيام وأسابيع فى حلقات عديدة، وخواطر لاتنضب ، وبالمناسبة فإنه كان يستمع إلى

نفسه بشوق كذلك ؛ لأنه لم يكن يعرف إلى أى مدى سيقوده خياله ، وعندما أتى سياح مرة أخرى يريدون مشاهدة المسرح الدائرى (وكانت مومو تجلس بعيدة قليلاً على السلالم الحجرية) ، بدأ كلامه كما يلى : " حضرات السيدات والسادة المبجلين ! فكما هو أكيد معلوم لديكم ، أن الإمبراطورة شترابتسيا أوجستينا قد قامت بحروب لاتعد ولاتحصى لتدافع عن مملكتها ضد الهجمات المستمرة للتسيترن والتساجن(*) .

وعندما هزمت هذه الأقوام مرة أخرى كان الغضب قد تملكها من هذه المضايقات التى لا تنتهى لدرجة أنها هددت بإبادة هؤلاء المهاجمين جميعًا صغيرًا وكبيرًا إذا لم يتنازل لها ملكهم كساكسوتراكسولس عن سمكته ذهبية اللون على سبيل العقاب .

فقد كانت ، سيداتى وسادتى ، السمكات ذهبية اللون فى ذلك الوقت غير معروفة لدينا هنا فى البلاد، وكانت الإمبراطورة شترابتسيا قد علمت من أحد السياح أن ذلك الملك كساكسوتراكسولس يمتلك سمكة صغيرة ، والتى عندما يكتمل نموها ستتحول إلى ذهب خالص ، وأرادت الإمبراطورة حينئذ أن تمتلك هذا الشئ النادر بأى شكل ، وضحك الملك كساكسوتراكسولس فى خبث ، فسمكته الذهبية التى كان بالفعل يمتلكها ، خبأها تحت سريره ، وبدلا منها أمر بإحضار حوت صغير فى طبق حساء مزين بالجواهر للإمبراطورة ، صحيح أن الإمبراطورة فوجئت قليلاً من حجم الحيوان ، لأنها كانت تتخيل السمكة الذهبية أصغر من ذلك ، ولكن - هكذا قالت فى سرها - كلما كانت أكبر كلما

(*) هذه أسماء من خيال المؤلف اشتقها من فعلين بمعنى يرتعد ويتردد = Zittern,Zagen بقصد التهكم والسخرية (المترجم) .

كان أفضل ، حيث إن السمكة سوف تعطى ذهبًا أكثر ، ولكن هذه السمكة الذهبية لم تلمع بلون ذهبى ولو بالقدر الضئيل ، وهذا ما بعث فيها القلق ، ولكن رسول الملك كساكسوتراكسولس أبان لها أن السمكة ستتحول إلى ذهب فقط عندما يكتمل نموها ، وليس قبل ذلك ، ولذلك فإنه من الضرورى والحتمى عدم إعاقتها عن النمو ، واقتنعت الإمبراطور شترابتسيا بذلك ، ونمت السمكة الصغيرة يومًا بعد يوم ، وكانت تستهلك كميات هائلة من الطعام ، ولكن الإمبراطورة شترابتسيا لم تكن فقيرة ، وحصلت السمكة على كل ما استطاعت التهامه وأصبحت بدينة وسمينة ، وسرعان ما صغر عليها طبق الحساء ، وقالت الإمبراطورة شترابتسيا : " كلما كانت أكبر ، كلما كان أفضل " ، وأمرت بنقلها إلى حوض استحمامها، ولكن بعد ذلك بقليل لم يعد حوض الاستحمام أيضًا يناسب حجمها ، وكبرت ثم كبرت ، وعندئذ نقلت إلى حوض السباحة الإمبراطورى ، وكان هذا النقل فى حد ذاته معقداً ، حيث إن السمكة كانت تزن حينئذ وزن الثور ، وقد تزحلق أحد العبيد الذين كانوا مكلفين بزحزحتها فأمرت الإمبراطورة على فور بإلقائه للسباع ، لأن السمكة كانت تعنى بالنسبة لها كل شىء ، وكل يوم كانت تجلس لساعات طويلة على حافة حوض السباحة وتشاهدها وهى تنمو ، ولم تكن تفكر فى شىء غير الذهب الكثير ، لأنها كانت - كما هو معلوم - تعيش حياة غاية فى الترف ولذلك لم تكن تستطيع أن تستكفى من الذهب أبداً ، وكانت تتمتم مراراً وتكراراً:

" كلما كانت أكبر كلما كان أفضل " ، وأعلنت هذه الجملة مبدأً عامًا وكتبت بأحرف من فولاذ على جميع مبانى الدولة .

وآخر الأمر ضاق حوض السباحة الإمبراطورى هو أيضًا على السمكة ؛ فأمرت شترابتسيا بإقامة هذا المبنى الذى ترون أطلاله أمامكم ، سيداتى وسادتى ، لقد كان حوضًا هائلاً للسمك ومستدير وملىء بالماء حتى حافته العليا ، واستطاعت السمكة أخيرا أن تتمدد فيه بشكل صحيح ، وعند ذلك كانت الإمبراطورة شخصيًا تجلس ليلاً ونهارًا فى ذلك المكان هناك تراقب السمكة العملاقة لعلها تتحول إلى ذهب ، فهى لم تعد تثق فى أحد من عبيدها ولا أقاربها ، وكانت تخاف من احتمال أن تسرق منها ، وهكذا كانت تجلس هناك وقد أصابها الهزال المتزايد من الخوف والانشغال ، ولم يغمض لها جفن وهى تحرس السمكة التى كانت تبلبط فى الماء فى مرح ولا تفكر فى التحول إلى ذهب ، وازداد إهمال شترابتسيا لشئون حكمها أكثر فأكثر .

وكان التسيترن والتساجن لا ينتظرون سوى هذا بالضبط ، وبقيادة ملكهم كساكسوتراكسولس شنوا آخر حروبهم وغزوا المملكة كلها فى غمضة عين ، ولم يلاقوا أى جندى على الإطلاق ، وعلى كل حال فقد كان سيان عند الشعب من يحكمهم ، وعندما علمت الإمبراطورية شترابتسيا أخيرًا بالأمر صاحت قائلة كلماتها المشهورة :- " ياويلى ! ياليتنى ... " وللأسف لم يصلنا بقية الحديث ، ولكنه من المؤكد أنها ألقت بنفسها فى حوض السمك هذا وغرقت إلى جوار السمكة التى كانت مقبرة لجميع آمالها ، وأمر الملك كساوتراكسولس بذبح سمكة الحوت احتفالاً بنصره وحصل الشعب كله على شرائح السمك المشوى طوال ثمانية أيام ، ومن ذلك ، يا حضرات السيدات والسادة ، ترون إلى أى مدى يمكن أن تؤدى إليه السذاجة .

وبهذه الكلمات أنهى جيجى حكايته الإرشادية وقد ظهر التأثر على المستمعين وتطلعهم إلى الأطلال بنظرات الإجلال ، واحد فقط بدا متشككًا وقال : " ومتى حدث كل هذا ؟ " ولكن جيجى لم يكن أبدًا يحرج لعدم وجود الرد ، وقال : " من المعروف أن الإمبراطورة شترابتسيا كانت معاصرة للفيلسوف المشهور نيوزيوس الكبير .

وبالطبع لم يستطع الشخص المتشكك أن يعترف حينئذ بأنه لا يعلم متى عاش الفيلسوف المشهور نيوزيوس الكبير ، ولذلك قال فقط : "أهكذا ، شكرًا جزيلاً ."

وكان جميع المستمعين غاية فى الرضا ، وقالوا إن هذه الزيارة كانت مثمرة بحق وأنه لا أحد من قبل قدم لهم عرضًا لتلك الأزمنة القديمة بمثل هذا التوثيق ، بعد ذلك فرد جيجى بتواضع قلنسوته ذات الرفرف وأظهر الناس كرمهم بما يناسب المقام وحتى الشخص المتشكك ألقى بعض قطع النقود ، وبالمناسبة جيجى لم يكن يحكى أبدًا نفس الحكاية مرة أخرى منذ وجود مومو هناك ، وإلا كان ذلك باعثًا للملل الشديد لديه .

وعندما تكون مومو من بين المستمعين فإنه يشعر كما لو أن هويسا قد انفتح فى أعماقه، فتنساب اختلاقات جديدة باستمرار وتتدفق دون أن يضطر إلى التفكير على الإطلاق .

وعلى العكس، فغالبًا ما كان يضطر لمحاولة كبح جماح نفسه كيلا يذهب بعيدًا أكثر من اللازم مرة أخرى كما حدث عندما قبلت خدماته السيدتان الأمريكيتان كبيرتا السن فهو لم يصبهما بالفزع السىء عندما قص عليهما مايلى :-

"من البديهى حتى عندكما فى أمريكا الجميلة الحرة أن يكون معروفًا ، أيتها السيدتان المبجلتان، أن الطاغية شديد التوحش ماركسنتيوس كومونوس(*) ، المسمى بالأحمر، قد أعد خطة لتغيير جميع أنحاء العالم فى ذلك الوقت طبقًا لتصوراته ، ولكن ما فعله هو أيضًا كما اتضح أن الناس ظلوا كما هم تقريبًا رغم كل شىء وأنهم لم يجعلوا أحدا يغيرهم بسهولة .

وعندئذ هوى ماركسنتيوس كومونوس فى أيام شيخوخته إلى منحدر الجنون ، ففى ذلك الوقت، كما تعلمون بالطبع أيتها السيدات ، أنه لم يكن هناك أطباء نفسانيون يستطيعون شفاء مثل هذه الأمراض ، ولذلك لم يكن هناك من بد من ترك هذا الطاغية يتجنن كما يريد ، وأثناء جنونه خطرت على ماركسنتيوس كومونوس الفكرة أن يترك الدنيا الموجودة لنفسها ومستقبلها ، وأنه من الأفضل أن يقيم دنيا جديدة تمامًا ؛ فأمر تصنيع كرة أرضية مساوية تمامًا فى الحجم للأرض القديمة فى كل شىء ، كل بيت وكل شجرة وجميع الجبال والبحار والمياه ، لابد وأن يطابقها فى طبيعتها تمامًا ، وأجبر الناس كلهم فى ذلك الوقت تحت تهديد عقوبة الإعدام ، على المشاركة فى هذا العمل الهائل ، وقد بنيت أولاً قاعدة لتقف عليها هذه الكرة الأرضية العملاقة ، وأنتما تريان أطلال هذه القاعدة أمامكما هنا .

وبعد ذلك راح الناس يبنون الكرة الأرضية نفسها ، وكانت كرة عملاقة فى مثل حجم الأرض وعندما كملت هذه الكرة أخيرًا ، أقيم عليها

(*) من المرجح أن المؤلف يلمح بطريقته الساخرة المعهودة إلى Marx –der Kommunist أى ماركس – شيوعى.(المترجم) .

كل شيء بعناية ما يماثل ما كان موجوداً على الأرض ، وبالطبع احتاج المرء لمواد كثيرة جداً من أجل هذه الكرة الأرضية ، وهذه المواد لم يستطع المرء أن يأخذها من أى مكان آخر سوى من الأرض نفسها ، وهكذا أخذت الأرض تتناقص فى بطء وباستمرار ، بينما كانت الكرة الأرضية تزداد فى النمو على الدوام .

وعندما اكتملت الدنيا الجديدة أخيراً ، كان على المرء أن ينزع آخر حجر صغير لا يزال باقياً من الأرض القديمة ، وبالطبع كان أيضاً جميع الناس قد انتقلوا إلى الكرة الأرضية الجديدة ، حيث إن القديمة كانت قد استهلكت بالفعل ، وعندما تحتم على ماركسنتيوس كومونوس أن يعلم بأن كل شيء رغم ذلك ظل فى الواقع كما كان ، لف رأسه فى ردائه وانصرف ، ولم يعرف أبداً إلى أين ؟ انظرا ، أيتها السيدتان ، إلى هذه الفجوة ذات الشكل المخروطى التى تشكلها هذه الأطلال حتى اليوم ، لقد كانت فيما مضى الأساس الذى كان عليه سطح الأرض القديمة ، وعليكما إذن أن تتخيلا الشكل كله بالعكس ، واصفر وجه السيدتين المتأنقتين الأمريكتين المتقدمتين فى العمر وسألت إحداهما :-

" وأين الكرة الأرضية ؟ " .

فأجاب جيجى : " إنك تقفين عليها ، إن الدنيا الجديدة ، أيتها السيدتان ، هى بالفعل الكرة الأرضية الجديدة " ؛ فرضخت السيدتان المتأنقتان الكبيرتان فى السن بفزع ولاذتا بالفرار ، وفرد جيجى قلنسوته بلا جدوى - ولكن أفضل ما كان يستحسنه جيجى أن يحكى قصصه على مومو وحدها ، عندما لا يكون هناك أحد من المستمعين غيرهما ، وغالبًا ما كانت أساطير حيث إن هذه هى أفضل ما كانت تحب أن

تسمعه مومو . وتقريباً كانت دائمًا تدور حول جيجى ومومو نفسهما ، وكانت أيضًا مخصصة لهما فقط وكان وقعها مختلفًا تمامًا عن كل ما كان يحكيه جيجى ، وفى أحد الأمسيات الدافئة الجميلة كان الاثنان يجلسان فى سكون إلى جانب بعضهما على الطرف العلوى لدرجات السلالم الحجرية ، وكانت أوائل النجوم قد بدأت تتلألأ فى السماء وطلع القمر كبيرًا وفضيًا فوق الملامح السوداء لأشجار الصنوبر ، وقالت مومو بصوت خافت برجاء : " أتحكى لى أسطورة ؟ " .

فقال جيجى : " حسن ، عن من ؟ "

فردت مومو : " من الأفضل عن مومو وجيرولامو " .

ففكر جيجى قليلاً وسأل : " وما عنوانها ؟ "

– " ربما – أسطورة المرآة السحرية ؟ "

فهز جيجى رأسه فى تأمل وقال : " اسم له وقع طيب على الأذن ؛ فلنرى كيف تسير " ، ووضع ذراعه حول كتف مومو وبدأ قائلاً : " فى يوم من الأيام كانت هناك أميرة جميلة اسمها مومو ، كانت تمشى فى المخمل والحرير وتسكن فى قصر من الزجاج متعدد الألوان فى مكان عال من الدنيا فوق قمة أحد الجبال التى يغطيها الجليد .

وكانت تمتلك كل ما يمكن أن يتمناه المرء ، وكانت لا تأكل إلا أرقى الأطعمة ولا تشرب إلا أحلى النبيذ ، وكانت تنام فوق وسائد من الحرير و تجلس على كراسى من العاج ، لقد كان عندها كل شىء ، ولكنها كانت وحيدة تمامًا ، فكل ما حولها ، من الخدم والوصيفات والكلاب والقطط والطيور ، وحتى الزهور ،كل شىء لم يكن سوى صور منعكسة .

وقد كان لدى الأميرة مومو مرآة سحرية كانت كبيرة و مستديرة ومصنوعة من أنقى أنواع الفضة ، وكانت تبعث بها كل يوم وكل ليلة إلى الدنيا ، والمرآة الكبيرة كانت تحوم فوق البلاد والبحار فوق المدينة والحقول ، والناس الذين كانوا يرونها لم يظهروا أقل قدر من التعجب من ذلك فقد كانوا يقولون : " إن هذا هو القمر " ، وفى كل مرة تعود فيها المرآة السحرية ، تسكب أمام الأميرة جميع الصور المنعكسة التى التقطتها أثناء رحلتها " فقد كانت صوراً جميلة و قبيحة ، شيقة ومملة أى كيفما تجدها ، والأميرة تختار لنفسها ما يعجبها ، وتقذف بالأخريات فى جدول الماء وبأسرع بكثير عما يمكنك التفكير فيه ، فإن الصور المنعكسة التى أطلقت تهرع فى صمت عائدة عبر مياه الأرض إلى أصحابها ، ولذلك يحدث أن صورة المرء المنعكسة لذاته تظهر له كلما انحنى المرء على عين ماء أو حفرة بها ماء ، ولقد نسيت الآن أن أقول إن الأميرة مومو كانت غير قابلة للموت فهى لم تر نفسها أبداً فى المرآة السحرية ؛ لأن من كان يرى صورة نفسه المنعكسة فيها فإنه يصبح قابلاً للموت من جراء ذلك ، وهذا ما كانت تعلمه الأميرة مومو جيداً ، ولذلك لم تفعله ، وهكذا عاشت مع كل الصور المنعكسة التى لديها تلعب وتلهوا معها وكانت راضية تماماً حتى ذلك الوقت ، ولكن فى يوم من الأيام حدث أن أحضرت المرآة السحرية صورة أثارت اهتمامها أكثر من جميع الصور الأخرى ، لقد كانت صورة منعكسة لأمير شاب ، وعندما رأتها شعرت بشوق كبير إليه لدرجة أنها رغبت رغبة ملحة فى الذهاب إليه ، ولكن كيف لها أن تبدأ فى ذلك ؟ فهى لم تكن تعرف من

هو ولا أين يقيم ، وهى لم تكن تعرف حتى اسمه ، ونظرًا لأنه لم يكن لديها رأى آخر فقد قررت حينئذ أن تنظر فى المرآة السحرية ، لأنها ظنت ربما تستطيع المرآة أن تنقل صورتها إلى الأمير ، وربما ينظر فى تلك اللحظة بالصدفة إلى الأعالى عندما تحوم المرآة فى السماء ، وعندئذ سيرى صورتى ، وربما يتبع المرآة فى مسيرتها فيجدنى هنا.

ثم نظرت فى المرآة السحرية طويلاً وأرسلتها محملة بصورتها إلى الدنيا ، ولكنها بذلك أصبحت الآن قابلة للموت طبعًا .

وسوف تسمعين حالاً ماذا جرى لها فيما بعد ، ولكننى الآن لابد أن أحكى لك أولاً عن الأمير ، هذا الأمير كان اسمه جيرولامو ، وكان يحكم مملكة كبيرة هو الذى كان قد ابتدعها لنفسه ، وأين كانت هذه المملكة ؟ إنها لم تكن فى الأمس ولا فى اليوم ، ولكنها كانت تقع دائمًا لمدة يوم واحد فى المستقبل ، ولذلك كان اسمها مورجن – لاند (*) ، وكل الناس الذين يعيشون هناك ، كانوا يحبون الأمير ويعجبون به ، وفى يوم من الأيام قال الوزراء لأمير مورجن – لاند : " ياصاحب الجلالة ، لابد لكم أن تتزوجوا فهذا ما ينبغى أن يكون " .

ولم يكن لدى الأمير جيرولامو شىء يعترض به على ذلك ، ولذلك أحضرت أجمل الشابات فى مورجن – لاند إلى القصر ، كى يستطيع

(*) كلمة morgen بالألمانية تعنى غدًا ، وقد كتبها المؤلف على شكل كلمتين Morgen – Land أى بلاد الغد ولو كتب هذا الاسم بالألمانية فى كلمة واحدة دون فاصل بينها أى Morgenland فتعنى بلاد المشرق (أى بلاد الصباح أو البلاد التى يبدأ الصباح – المشرق فيها) فى مقابل Abenhland بلاد الغرب أو بلاد المساء أى التى يبدأ المساء – المغرب منها . (المترجم) .

أن ينتقى واحدة منهن ، وجميعهن تجملن على قدر استطاعتهن ، لأن كل واحدة طبعًا كانت تريده لها .

ولكن جنية شريرة تسللت إلى القصر أيضًا بين الفتيات ، ولم تكن فى شرايينها دماء دافئة حمراء ، بل دماء باردة خضراء ، ولكن لم يستطع أحد روية ذلك عليها ؛ لأنها كانت تضع على نفسها مواد تجميل بشكل غاية فى الافتعال ، ولكن عندما دخل أمير بلاد مورجن - لاند قاعة العرش الذهبية الكبرى لكى يوقع اختياره أسرعت تهمس بتعويذة سحرية ، فلم يعد جيرولامو المسكين يرى أحدًا غيرها فقط ، ولا أحدًا سواها ، وبدت له على قدر كبير من الجمال لدرجة أنه سألها على الفور إذا كانت تريد أن تصبح زوجته .

فهمست الجنية الشريرة بصوت كالفحيح قائلة : " بسرور ، ولكن عندى شرط " .

فأردف الأمير جيرولامو بدون تفكير : " سوف أنفذه " ؛ فأجابت الجنية الشريرة وهى تضحك ضحكة حلوة جعلت الأمير المسكين يصاب بالدوار الشديد : " حسن ، ممنوع عليك لمدة سنة أن تنظر إلى المرآة الفضية التى تحوم فى الأعالى ؛ لكن إذا فعلت ذلك فلابد أن تنسى على الفور كل ماهو ملك لك ، لابد أن تنسى من أنت فى الواقع ، ولابد أن تذهب إلى بلاد - اليوم حيث لا يعرفك فيها أحد ، وهناك يتحتم عليك أن تعيش عيشة صعلوك مسكين ؛ فهل أنت موافق على ذلك ؟ "

فصاح الأمير جيرولامو : " إذا كان الأمر على هذا النحو فقط ؛ " فإنه شرط سهل ! "

ماذا حدث فى ذلك الوقت للأميرة مومو ؟ لقد راحت تنتظر وتنتظر ، ولكن الأمير لم يحضر ، فقررت أن تخرج بنفسها إلى الدنيا وتبحث عنه ، وأطلقت سراح جميع الصور المنعكسة التى كانت حولها ، ثم سارت وحدها تماماً بنعليها الرقيقين من قصرها المصنوع من الزجاج متعدد الألوان عبر الجبال المغطاة بالجليد إلى أسفل إلى الدنيا ، وسارت عبر بلاد الله ، إلى أن أتت إلى بلاد - اليوم ، وتقطعت نعالها من المشى واضطرت إلى السير حافية القدمين ، ولكن مرآتها السحرية ظلت تحلق بصورتها عالياً فوق الدنيا .

وفى إحدى الليالى كان الأمير جيرولامو يجلس فوق سطح قصره الذهبى يلعب لعبة الهانم (*) مع الجنية صاحبة الدم الأخضر البارد ، وفجأة سقطت قطرة ماء صغيرة على يد الأمير .

فقالت الجنية ذات الدم الأخضر : " سوف يبدأ المطر " .

فرد الأمير قائلاً : " كلا ، إن هذا غير محتمل فلا توجد أية سحابة من السماء " .

رفع بصره إلى أعلى ونظر فى وسط المرآة السحرية الفضية الكبيرة التى كانت تحوم هناك فى الأعالى ، فرأى صورة الأميرة مومو ، ولاحظ أنها تبكى ، وأن دمعة من دموعها قد سقطت على يده ، وفى نفس اللحظة عرف أن الجنية قد خدعته ، وأنها لم تكن فى الحقيقة جميلة ، وأن لديها دماء خضراء باردة تسرى فى عروقها ، والأميرة مومو هى التى كان يحبها فى الحقيقة ؛

فقالت الجنية الخضراء وقد تشوه وجهها فبدا يشبه وجه الحية : "لقد حنثت بوعدك الآن ، وعليك أن تدفع لى ! "

(*) لعبة تشبه لعبة النرد (الطاولة) (المترجم) .

ومدت أصابعها الخضراء الطويلة إلى صدر الأمير جيرولامو الذى اضطر للبقاء فى جلسته كالمتحجر ، وربطت عقدة فى قلبه ، وفى نفس اللحظة نسى أنه كان أميراً البلاد - الغد مورجن - لاند وخرج من قصره ومن مملكته مثل اللص أثناء الليل ، وتجول بعيداً فى الدنيا إلى أن وصل إلى بلاد - اليوم ، وهناك استمر فى العيش كصعلوك مسكين ومجهول وأطلق على نفسه فقط اسم جيجى ، والشىء الوحيد الذى أخذه معه كانت الصورة المأخوذ من المرآة السحرية ، والتى أصبحت منذ ذلك الوقت فارغة .

وفى تلك الأثناء كانت ملابس الأميرة مومو المخملية والحريرية قد تهلهلت تماماً ، وكانت ترتدى حيئذ سترة رجال قديمة كبيرة جداً وجونلة من الرقع الملونة .

وسكنت فى إحدى الأطلال القديمة ، وهناك إلتقى الاثنان فى يوم من الأيام الجميلة ، ولكن الأميرة مومو لم تتعرف على الأمير القادم من بلاد - الغد ، لأنه كان حينئذ صعلوكاً مسكيناً ، وكذلك جيجى لم يتعرف على الأميرة لأن مظهرها لم يعد كأميرة بالفعل .

ولكنهما تصادقا مع بعضهما وهما فى تعاستهما المشتركة وقدما لبعضهما العزاء والسلوى ، وفى إحدى الأمسيات ، عندما عادت المرآة السحرية الفضية التى كانت حينئذ فارغة تحوم فى السماء ، أحضر جيجى الصورة المنعكسة وأراها لمومو ، وكانت قد امتلأت بالثنايا ومسحت معالمها ، ولكن الأميرة عرفت أن وراء قناع الصعلوك المسكين جيجى الأمير جيرولامو التى كانت تبحث عنه دائماً والتى أصبحت من أجله قابله للموت ، وحكت له كل شىء .

ولكن جيجى هز رأسه فى حزن وقال : " إننى لا أستطيع فهم شىء مما تقولين لأن فى قلبى عقدة ، ولذلك لا أستطيع أن أتذكر شيئًا " .

فمدت الأميرة مومو يدها إلى صدره وفكت فى سهولة تامة عقدة قلبه ، وحينئذ عرف الأمير جيرولامو فجأة مرة أخرى من هو ومن أين جاء ، وأخذ بيد الأميرة وذهب بها إلى بعيد - بعيد حيث تقع بلاد - الغد .

وبعد أن انتهى جيجى من كلامه ، صمت الاثنان برهة ثم سألت مومو : " وهل أصبحا فيما بعد زوجًا وزوجة ؟ " فقال جيجى : " أعتقد بالفعل - فيما بعد " .

- " وهل هما الآن قد توفيا ؟ "

فقال جيجى مؤكدًا : " لا فبالصدفة أنا أعرف ذلك بالضبط ؛ فالمرآة السحرية تجعل الشخص قابلاً للموت فقط عندما ينظر إليها وحده، ولكن عندما ينظر إليها اثنان فإنهما يعودان غير قابلين للموت مرة أخرى ، وهذا ما فعله كلاهما " .

وبدا القمر كبيرًا وفضيًا فوق أشجار الصنوبر السوداء وجعل الأحجار العتيقة للأطلال تلمع فى شكل ملىء بالأسرار ، وجلست مومو وجيجى إلى جوار بعضهما فى سكون ونظرا إليه بأعلى لوقت طويل ، وشعرا بكل وضوح أنهما لمدة هذه اللحظة لم يعودا قابلين للموت .

الجـزء الثانـى

السـادة الرماديـون

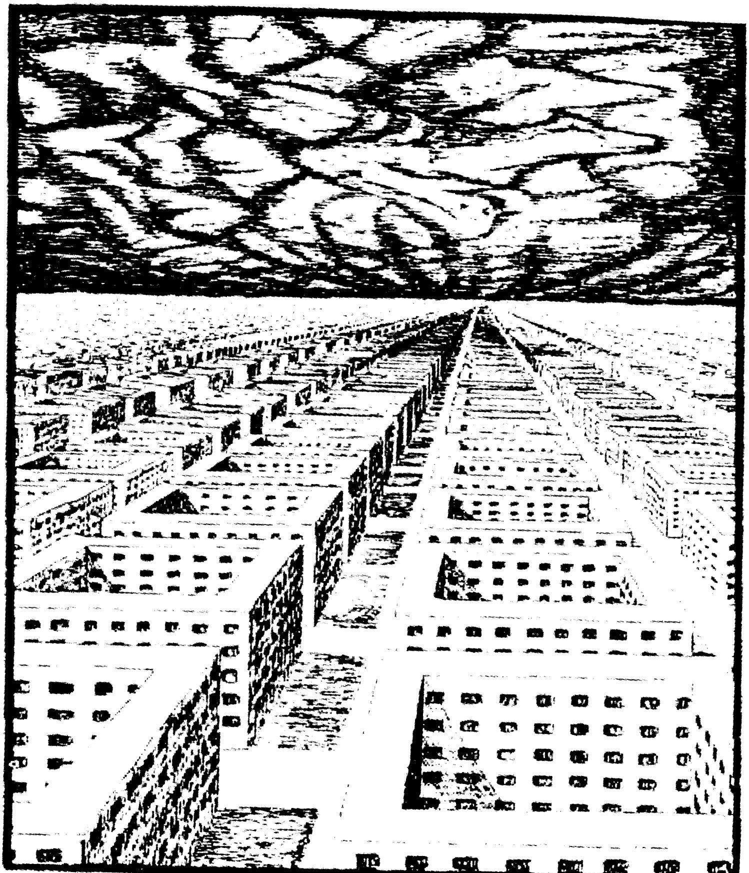

الفصل السادس

الحسبة خاطئة ولكن ناتجها صحيح

هناك سر كبير ولكنه عادى تماماً ، كل الناس يشاركون فيه وكل فرد يعرفه ، ولكن أقل القليل من يمعن التفكير فيه ، معظم الناس يتقبلونه كما هو ولا يتعجبون لأمره ولو بالنذر اليسير ، وهذا السر هو الزمن .

هناك تقاويم وساعات كى تقيسه ولكن هذا يعنى القليل ، لأن كل واحد يعرف أنه من الممكن أن تبدو ساعة واحدة لشخص كما لو كانت هى الأزل ، ولكنها أحياناً يمكن أن تمر أيضاً وكأنها لحظة واحدة - حسبما يعايشه المرء فى هذه الساعة .

إن الزمن حياة ، والحياة مقرها القلب .

وهذا بالضبط مالم يكن يعرفه أحد أفضل من السادة الرماديون ، لم يكن أحد يعرف قيمة الساعة الواحدة أو الدقيقة بل الثانية الواحدة من الحياة مثلهم ، ومن المؤكد أنهم كانوا متمكنين من ذلك بطريقتهم الخاصة ، كما تتمكن العَلقة من مصها للدماء، وتبعًا لذلك كانوا يتصرفون بطريقتهم ،

لقد كانت لديهم خططهم الخاصة بزمن الناس ، لقد كانت خططاً بعيدة المدى ومعدة بعناية .

وكان أهم شىء عندهم ألا يلاحظ أحد عملهم ، وبدون لفت الأنظار التصقوا بالحياة بالمدينة الكبيرة وسكانها ، وخطوة خطوة وبدون أن يلاحظ أحد ، ازداد توغلهم يومًا بعد يوم ، وتملكوا من الناس وعرفوا كل شخص يأتى فى دائرة أغراضهم ، منذ زمن طويل قبل أن يشعر الشخص المعنى نفسه بذلك ، فقد كانوا فقط ينتظرون اللحظة الصحيحة التى يتمكنون فيها من الإمساك به ، وكانوا يعملون من جانبهم على قدوم هذه اللحظة .

فقد كان على سبيل المثال السيد فوزى الحلاق ، صحيح أنه لم يكن من مشاهير مصففى الشعر ، ولكن كان مرموقًا بشكل طيب فى شارعه ، ولم يكن فقيرًا ولا غنيًا ، وكان محله الذى يقع وسط المدينة ، صغيرًا ويشغل صبيًا .

وفى يوم من الأيام كان السيد فوزى يقف بباب دكانه ينتظر الزبائن ، وكان الصبى فى أجازة والسيد فوزى وحده ، ورأى المطر وهو ينهمر على الشارع ، وكان يومًا رماديًا ملبدًا بالغيوم ، وداخل نفسية السيد فوزى أيضًا كان الجو عكرًا وكئيبًا .

وكان يفكر فى نفسه ويقول : " إن حياتى تنقضى بين جلبة المقصات والثرثرة ورغاوى الصابون . ماذا جنيت من وجودى بالفعل ؟ وإذا ما متُ يومًا فسوف يكون الأمر كما لو لم يكن لى وجود أبدًا ، " ولم يكن الأمر يتعلق على الإطلاق بأعتراض السيد فوزى فى شىء على الثرثرة ، بل إنه فوق ذلك كان يحب جدًا أن يعرض آراءه بالتفاصيل على الزبائن ويسمع منهم آراءهم عنها ، وكذلك لم يكن لديه ما يعترض به على جلبة المقصات ورغاوى الصابون ؛ فقد كان عمله يسبب له بهجة

عظيمة ، وكان يعلم أنه يؤديه بشكل جيد ، وخاصة فى حلاقة أسفل الذقن عكس اتجاه الشعر لم يكن أحد يفوقه فى سلاسة عمله ، ولكن هناك أحيانًا لحظات لا يكون لكل هذا أى وزن وأهمية ، وهذا يحدث لكل إنسان ، وفكر السيد فوزى فى نفسه وقال : " إن حياتى فاشله تماماً ، وأنا من أكون ، حلاق صغير ، هذا ما أصبح عليه حالى ، لو أننى أستطيع أن أعيش الحياة الصحيحة لكنت إنسانًا مختلفًا تماماً ".

ولكن لم يكن واضحا للسيد فوزى ماهى الصفات التى ينبغى للحياة الصحيحة أن تتصف بها ، لقد كان يتخيل فقط أى شىء هام ، شىء فاخر ، شىء كالذى يراه المرء دائمًا فى المجلات المصورة ، وفكر فى نفسه وقال متبرماً : "ولكن عملى لا يترك لى وقتًا لمثل ذلك ، لأن المرء يجب أن يكون لديه وقت للحياة الصحيحة ، لابد للمرء أن يكون حراً . ولكننى سأظل طول عمرى سجين جلبة المقصات والثرثرة ورغاوى الصابون ، "وفى هذه اللحظة سارت سيارة راقية رمادية اللون إلى الأمام ووقفت بالضبط أمام صالون السيد فوزى للحلاقة ، ونزل سيد رمادى اللون ودخل الدكان ، ووضع حقيبته الرمادية كالرصاص على المنضدة أمام المرآة ، وعلق قبعته المستديرة المتصلبة على شماعة الملابس ، وجلس على كرسى الحلاقة ، وأخذ مفكرته من جيبه وبدأ يقلب صفحاته ، وهو يدخن سيجاره الرمادى الصغير .

وأغلق السيد فوزى باب الدكان لأنه أحس كما لو أصبح الجو فجأة بارداً بشكل غير عادى فى الغرفة الصغيرة ، وتساءل فى اضطراب : " بأى شىء يمكننى خدمتك ؟ حلاقة ذقن أم قص شعر ؟ " وفى نفس اللحظة لعن نفسه لعدم ذوقه ، حيث إن السيد كانت له صلعة

كالمرآة ، فقال السيد الرمادى دون أن يبتسم ، وبصوت عديم الخاصية وغريب ، أو كما نقول بأنه أغبش كلون الرماد : " لا هذا ولاذاك "إننى قادم من بنك – توفير– الزمن ؛ فإننى الوكيل رقم ب ٣٤٨ ك ق ونحن نعلم أنك تريد أن تفتح لدينا حساب توفير ؛ " فأعلن السيد فوزى وقد ازداد اضطراباً: " إن هذا أمر جديد على ، وبصراحة أنا لم أكن أعرف حتى ذلك الوقت أن هناك مؤسسة مثل هذه على الإطلاق ".

فأجاب الوكيل فى اقتضاب : "والآن أنت تعرف ، " وقلب فى صفحات مفكرته الصغيرة وأضاف قائلاً : " أنت السيد فوزى ، الحلاق ؟ "

فرد السيد فوزى : " سليم جداً أنا هو ذا ".

وقال السيد الرمادى وهو يقفل مفكرته الصغيرة : " إذن فأنا فى المكان الصحيح ، إن لك حقوقاً عندنا ".

فسأل السيد فوزى وهو لا يزال مندهشاً : " كيف هذا ؟ "

فقال الوكيل :– " انظر يا عزيزى السيد فوزى ، إنك تضيع حياتك بين جلبة المقصات والثرثرة ورغاوى الصابون ، وإذا مت فى يوم من الأيام فسوف يكون الأمر كما لو لم يكن لك وجود أبداً ، ولو كان لديك الوقت لتعيش الحياة الصحيحة كما تتمنى ، لكنت إنساناً آخر تماماً . إن كل ما تحتاجه إذن هو الوقت ؛ أليس معى حق ؟ "

فتمتم السيد فوزى وهى يرتعش حيث إن شعوره بالبرد كان يتزايد على الدوام رغم إغلاق الباب : " لقد كنت أفكر فى ذلك فى هذه اللحظة . "

فرد السيد الرمادى وهو يشد نفساً من سيجاره الصغير قائلاً وهو مسرور : " ألم أقل لك ! ، ولكن من أين يحصل الإنسان على الوقت ؟

على الإنسان أن يدخره ، أنت ، يا سيد فوزى تضيع وقتك بشكل ليس فيه إحساس بالمسئولية تمامًا ، أريد أن أبرهن لك على ذلك بواسطة حسبة صغيرة ، إن الدقيقة بها ستون ثانية ، والساعة بها ستون دقيقة ، هل تستطيع متابعتى ؟ "

فقال السيد فوزى : " بالتأكيد . "

الوكيل رقم ب ٣٨٤ ك ق بدأ يكتب بقلم رمادى الأعداد على المرآة :
" ستون فى ستون يساوى ثلاث آلاف وستمائة . إذن فالساعة فيها ثلاث آلاف وستمائة ثانية ، واليوم به أربع وعشرون ساعة ، إذن ثلاث آلاف وستمائة فى أربع وعشرين ، حاصله ست وثمانون ألف وأربعمائة ثانية فى اليوم .

ولكن السنة فيها، كما هو معلوم ثلاثمائة خمسة وستون يومًا . وهذا حاصله واحد وثلاثون مليون وخمسمائة وست وثلاثون ألف ثانية فى السنة، أو ثلاثمائة وخمس عشرة مليونًا وثلاثمائة ألف وستون ثانية فى عشر سنوات .

كم تقدر ياسيد فوزى مدة عمرك ؟"

فقال السيد فوزى متلعثمًا ومضطربًا : " إننى آمل أن أصبح حوالى سبعون أو ثمانون سنة ، إن شاء اللّه . "

فأردف السيد الرمادى قائلاً :– " طيب ، فلنفترض لأجل الحرص والحذر سبعين عامًا ، إن هذا سيعنى ثلاثمائة وخمس عشرة مليونًا وثلاثمائة وألف وستون فى سبعين ، هذا يعطينا اثنين مليار ومائتين وسبع مليون وخمسمائة وعشرين ألف ثانية . "

وكتب بخط كبير على المرآة هذا الرقم ٠٠٠ ٥٢٠ ٢٠٧ ٢ ثانية ثم وضع عدة خطوط تحته وأعلن قائلاً : " هذه إذن يا سيد فوزى الثروة التى فى حوزتك . " وابتلع السيد فوزى ريقه ومسح جبينه بيده ؛ فالقيمة الإجمالية أصابته بالدوار ؛ فهو لم يكن يفكر على الإطلاق أنه بهذا الثراء ، وقال الوكيل وهو يهز رأسه وسحب مرة أخرى نفسًا من سيجاره الرمادى الصغير : " أجل ، إنه رقم له تأثيره ، أليس كذلك ؟ ولكن دعنا نرى المزيد ، كم عمرك ياسيد فوزى ؟ "

فقال متلجلجًا وقد شعر فجأة بذنب كما لو كان قد ارتكب جريمة الاختلاس : " إثنان وأربعون " وواصل السيد الرمادى استفساره قائلاً : " ما متوسط ساعات نومك كل ليلة ؟ "

فاعترف السيد فوزى قائلاً : " حوالى ثمان ساعات ."

فحسب الوكيل بسرعة البرق وكان القلم يحدث صريرًا على المرآة مما أصاب السيد فوزى بقشعريرة فى جلده ." اثنان وأربعون سنة - يوميًا ثمان ساعات - إن حاصله ربعمائة وأربعون مليونًا وخمسمائة وأربعون ألفًا ، هذه القيمة لنا أن نعتبرها بحق مفقودة وكم من الوقت يتحتم عليك التضحية به فى عملك يوميًا ، يا سيد فوزى ؟ "

فاعترف السيد فوزى وقد أصابه الحرج : " أيضًا حوالى ثمان ساعات ، "وواصل الوكيل كلامه بلا هوادة قائلاً : " إذن لابد لنا أن نضيف مرة أخرى نفس القيمة الإجمالية على حساب الفاقد ، وبعد ذلك يضيع منك أيضًا مقدار من الوقت بسبب ضرورة أن تغذى نفسك ، كم إجمالى الوقت الذى تحتاجه لجميع وجبات اليوم ؟ "

فصرح السيد فوزى بخوف قائلاً : " ربما ساعتين . "

فقال الوكيل : " إن هذا يبدو لى أقل مما يجب ، ولكن فلنفترض ذلك ، فتكون النتيجة فى عشرين سنة قيمتها مائة وعشرة ملايين وثلاثمائة ستة وسبعون ألفًا ، وفوق ذلك عندك ببغاء صغير ، تكلفك العناية به ربع ساعة يوميًا ، وهذا يعنى حسابيًا ثلاثمائة مليون وسبعمائة سبعة وستون ألفًا . "فاعترض السيد فوزى متضرعًا بقوله : "ولكن . . . "

فصرخ فيه الوكيل آمرًا وهو يحسب بسرعة أكثر وأكثر : " لا تقاطعنى ، ونظرًا لأن والدتك معوقة ، فيجب عليك يا سيد فوزى ، أن تؤدى جزءًا من الأعمال المنزلية بنفسك ، ويجب عليك أن تتسوق وتنظف أحذيتك وكثيرًا من مثل هذه الأشياء الثقيلة كم من الوقت يكلفك هذا يوميًا ؟ "

" ربما ساعة ، لكن . . . . "

" هذا حاصله ، خمسة وخمسون مليونًا ومائة وثمانية وثمانون ألفًا فاقد آخر يا سيد فوزى، ونحن نعلم كذلك أنك تذهب إلى السينما مرة كل أسبوع ، ومرة أسبوعيًا تشارك فى اتحاد المنشدين ، ولديك مكان دائم ترتاده مرتين فى الأسبوع ، وتتقابل فى الأيام التالية مع أصدقائك مساءً أو أحيانًا ما تقرأ كتابًا ، باختصار إنك تقتل وقتك بأشياء عديمة الفائدة ، وذلك لمدة ثلاث ساعات يوميًا ، وهذا حاصله مائة خمسة وستون مليونًا وخمسمائة أربعة وستون ألفًا - ألست على ما يرام ، يا سيد فوزى ؟ "

فأجاب السيد فوزى : " كلا ، لاتؤاخذنى من فضلك . . . "

فقال السيد الرمادى : " سننتهى حالاً ، لكن يجب أن نتحدث عن رأسمال خاص من حياتك ، إن لديك – كما تعلم – ذلك السر الصغير " .

وبدأت أسنان السيد فوزى تصتك ببعضها ، بسبب ما أصبح عليه شعوره بالبرد ، وتمتم قائلاً بصوت خائر : " أتعرف هذا أيضًا ؟ كنت أعتقد أن لا أحد غيرى وغير الآنسة داريا ... "

فقاطعه الوكيل رقم ب ٣٨٤ ك ق قائلاً : " إن الأسرار فى عالمنا الحديث لم تفقد من جوهرها شيئًا فلننظر إلى الأمور بشكل موضوعى وواقعى يا سيد فوزى ، أجب لى عن سؤال : هل تريد أن تتزوج الآنسة داريا ؟ "

فقال السيد فوزى : " لا ، هذا لا يمكن . . . . " فأضاف السيد الرمادى قوله : " سليم جداً ، لأن الآنسة داريا ستظل طيلة حياتها مكبلة بكرسيها المتحرك بسبب كساح رجليها ، وبرغم ذلك أنت تزورها نصف ساعة يوميًا لكى تحضر لها وردة ، لماذا ؟ "

فأجاب السيد فوزى مختنقًا بالدموع : " إنها تسعد دائمًا . "

فرد الوكيل بقوله : " ولكن موضوعيًا فإنها بالنسبة لك يا سيد فوزى وقت ضائع ، أى إجماليًا سبع وعشرون مليونًا وخمسمائة وأربع وتسعون ألف ثانية ، وإذا ما حسبنا فوق ذلك أنك معتاد أن تجلس كل مساء ربع ساعة قبل النوم أمام النافذة وتفكر فى اليوم المنتهى ؛ فإننا نحصل مرة أخرى على قيمة إجمالية مخصومة قدرها ثلاث عشرة مليونًا وسبعمائة سبع وتسعون ألفًا ، والآن فلننظر كم يتبقى لك فعليًا يا سيد فوزى " .

وعلى المرآة كانت الحسبة التالية :

نوم	٤٤١ ٥٠٤ ٠٠٠	ثانية
عمل	٤٤١ ٥٠٤ ٠٠٠	ثانية
تغذية	١١٠ ٣٧٦ ٠٠٠	ثانية
الوالدة	٥٥٠ ١٨٨ ٠٠٠	ثانية
ببغاء صغير	١٣ ٧٩٧ ٠٠٠	ثانية
تسوق وخلافه	٥٥ ١٨٨ ٠٠٠	ثانية
أصدقاء وإنشاد وخلافه	١٦٥ ٥٦٤ ٠٠٠	ثانية
سر	٢٧ ٥٩٤ ٠٠٠	ثانية
النافذة	١٣ ٧٩٧ ٠٠٠	ثانية
الإجمالى	١ ٣٢٤ ٥١٢ ٠٠٠	ثانية

وقال السيد الرمادى وهو ينقر بالقلم عدة مرات عل المرآة بشدة جعل وقعها كطلقات المسدس: " هذا الرقم الإجمالى إذن هو الزمن الذى خسرته حتى الآن ؛ فما قولك فى ذلك يا سيد فوزى ؟ " و لم يقل السيد فوزى شيئًا على الإطلاق ، وجلس على كرسى فى الركن يمسح جبينه بمنديل ، لأنه تصبب عرقًا رغم البرودة القارصة كالثلج .

وهز السيد الرمادى رأسه بجدية ، وقال : " أجل ، إن ما تراه صحيح تمامًا ، إنها بالفعل أكثر من نصف مجموع ثروتك الأصلية

يا سيد فوزى ، ولكن الآن دعنا نرى ماذا تبقى لك بالفعل من الاثنين وأربعين سنة ، سنة واحدة تعنى واحد وثلاثين مليونًا وخمسمائة وست وثلاثين ألف ثانية ، كما تعلم ، وهذا مضروب فى اثنين و أربعين ينتج مليار وثلاثمائة وأربع وعشرون مليون وخمسمائة واثنا عشر ألفًا . "

و كتب الرقم تحت إجمالى الزمن الضائع :

١٣٢٤٥١٢٠٠٠ ثانية

–

١٣٢٤٥١٢٠٠٠ ثانية

٠٠٠٠٠٠٠٠ ثانية

و أدخل الرقم فى جيبه وصمت فترة طويلة ، لكى يحدث منظر الأصفار الكثيرة أثره على السيد فوزى فى نفسه وهو محطم : " هذا إذن هو ناتج حساب حياتى كلها حتى الآن . "

لقد أثرت فيه الحسبة الدقيقة التى لم ينتج عنها أى باقى لدرجة أنه تقبل كل شىء دون اعتراض و الحسبة نفسها كانت صحيحة ، وقد كانت هذه إحدى الحيل التى يخدع بها السادة الرماديون الناس فى آلاف المناسبات .

و بدأ الوكيل ب ٣٨٤ ك ق عندئذ الكلام مرة أخرى بنبرة ناعمة : " ألا تدرى أنك لا تستطيع أن تستمر فى استثمارك على هذا النحو،يا سيد فوزى؟ ألا تريد أن تبدأ فى التوفير أفضل لك" ؟

وهز السيد فوزى رأسه وقد تجمدت شفتاه و ازرق لونها .

ووقع صوت الوكيل فى أذن السيد فوزى كوقع له لون الرماد وهو يقول : " لو أنك على سبيل المثال قد بدأت منذ عشرين عامًا توفر يوميًا ساعة واحدة فقط ، لكان لديك الآن رصيد قدره ست وعشرون مليون مائتان وثمانون ألف ثانية ، وفى حالة إقتصادك ساعتين يوميًا لكان لديك بالطبع الضعف ، أى إثنتان وخمسون مليون وخمسمائة وستون ألف ، و أرجوك يا سيد فوزى ما قيمة ساعتين تافهتين صغيرتين فى مقابل مثل هذا الرقم الإجمالى" ؟

فصاح السيد فوزى : " لا شىء ، إنه شىء تافه مضحك ! "

واستطرد الوكيل كلامه بلا مبالاة : " يسعدنى أنك فهمت ذلك ، وإذا ما حسبنا كذلك ما يمكن أن تكون قد وفرته تحت نفس الظروف فى عشرين سنة أخرى لحصلنا على ناتج إجمالى عظيم قدره مائة وخمس ملايين ومائة وعشرون ألف ثانية ، رأس المال هذا كله سيكون تحت تصرفك الحر فى سنة عمرك الثانية و الستين ".

فقال السيد فوزى متلعثمًا وقد فتح عينيه : " رائع ! " .

واستطرد السيد الرمادى قائلاً : " انتظر فما سيأتى أفضل بكثير، نحن ، أى بنك توفير الزمن ، لا نحافظ فقط على وقتك الذى توفره ، بل إننا ندفع لك فوق ذلك أرباحًا عليه ، هذا يعنى ، أنه سيكون لديك فى الواقع أكثر من ذلك بكثير . "

فتساءل السيد فوزى ، لاهثًا " أكثر بكم " ؟ فأبان الوكيل قائلاً : " هذا يتوقف عليك ، حسب ما سوف تقتصده وحسب المدة التى تودع

فيها الرصيد المقتصد لدينا ، " فقال السيد فوزى متسائلاً : " أودعه ؟ وما معنى هذا ؟ "

فقال السيد الرمادى : " فى منتهى البساطة ، إذا لم تطلب منا استرداد الوقت التى وفرته لدينا قبل مضى خمس سنوات فإننا عندئذ ندفع لك نفس المبلغ الإجمالى مرة أخرى ، فتتضاعف ثروتك كل خمس سنوات ، هل فهمت ؟ بعد عشر سنوات أربع أضعاف القيمة الأصلية ، وبعد خمسة عشر عاماً ثمانية أضعاف ... وهكذا ، ولو أنك بدأت لدينا من عشرين سنة تقتصد ساعتين فقط يوميًا ، لكان تحت تصرفك فى السنة الثانية و الستين من عمرك ، أى بعد إجمالى أربعين سنة مائتان وستة وخمسون ضعفًا من الزمن الذى اقتصدته ، وكان هذا ستة وعشرون مليار وتسعمائة وعشرة ملايين وسبعمائة وعشرون ألفًا . "

وتناول مرة أخرى قلماً رمادياً من جيبه وكتب كذلك هذا الرقم على المرآة : ٢٦٩١٠٧٢٠٠٠٠ ثانية

ثم قال وهو يبتسم لأول مرة ابتسامة خفيفة : " أنت ترى بنفسك يا سيد فوزى ، إن هذا كان يعنى أكثر من عشرة أضعاف إجمالى زمن عمرك الأصلى ، هذا فى حالة ساعتين توفير يوميًا فقط فكر فيما إذا كان هذا عرضًا جديرًا أم لا . " فقال السيد فوزى وقد أصابه الإرهاق : " هو هذا ، هو هذا تمامًا ولا شك . إننى منحوس لأننى لم أبدأ فى التوفير منذ وقت طويل ، الآن أدرك ذلك تمامًا ، ولابد أن أعترف أننى يائس ! "

فرد السيد الرمادى فى نعومة : " لا يوجد أى داع لذلك ؛ فالأوان لا يفوت أبدًا ، و إذا أردت يمكننا أن نبدأ اليوم ، وسوف ترى أن الأمر يستحق " .

فصاح السيد فوزى : " و أى إرادة ! ماذا يجب على أن أفعله ؟ "

فأجاب الوكيل وهو يرفع حاجبيه عاليًا : " ولكن يا أعز الأعزاء لسوف تعرف كيف يوفر المرء الزمن! عليك على سبيل المثال أن تشتغل بسرعة أكبر ، و أن تترك كل ما هو غير لازم ، وبدلاً من أن تخصص نصف ساعة لزبون خصص له ربع ساعة فقط ، تتفادى الأحاديث التى تسرق الزمن ، وتختصر الساعة لدى أمك العجوز إلى نصف ساعة ، والأفضل أن ترسلها إلى دار للمسنين جيدة ورخيصة ، حيث تكون الرعاية لها ، وعندئذ تكون قد كسبت ساعة كاملة يوميًا ، استبعد الببغاء الصغير عديم الفائدة ، زُرْ الآنسة داريا فى كل أربعة عشر يومًا فقط إذا كان هذا لازمًا ، أسقط الربع ساعة التى تستغرقها مشاهدة أحداث اليوم فى التليفزيون ، و قبل كل شىء لا تضيع وقتك الثمين بعد ذلك كثيرًا فى الغناء أو القراءة أو حتى على من يسموا بأصدقائك ، وبالمناسبة أوصيك بالمرة أن تعلق ساعة كبيرة جيدة فى توقيتها فى محلك كى تستطيع مراقبة عمل صبيك بدقة ، " فقال السيد فوزى " طيب ، كل هذا يمكن عمله ، لكن الوقت الذى يتبقى بهذه الطريقة – ماذا علىّ أن أفعل به ، أيجب علىّ أن أورده ؟ و أين ؟ أم ينبغى علىّ أن أحتفظ به ؟ كيف تسير الأمور كلها ؟ "

فقال السيد الرمادى و هو يبتسم مرة ثانية ابتسامة خفيفة : " فقط لا تشغل بالك بهذا الموضوع أتركه لنا ولا تبالى ، و تستطيع أن تتأكد أن أقل القليل من وقتك المتوفر لن يضيع ، و سوف تلاحظ أنه لن يتبقى لك شىء . "

فرد السيد فوزى مضطربًا : " طيب سوف أعتمد على ذلك "

و قال الوكيل و هو يهب واقفًا : " افعل ذلك ولا تبالى يا أعز الأعزاء ، إذًا يجوز لى بذلك أن أرحب بك عضوًا جديدًا فى البنك الكبير لتوفير الزمن بالحى ، و الآن أنت أيضًا إنسان متحضر بحق ومودرن يا سيد فوزى ، أهنئك ".

و بذلك أخذ حقيبته وقبعته ؛ فصاح السيد فوزى قائلاً : " لحظة ، ألا يجب أن نبرم أية عقد ؟ ألا يجب على أن أوقع شيئًا ؟ ألا أحصل على أى مستند ؟ و استدار الوكيل ب ٣٨٤ ك ق عند الباب و تفحص السيد فوزى بامتعاض خفيف ، و سأل قائلاً : " لماذا ؟ إن توفير الزمن لا يقارن بأى نوع آخر من التوفير ، إنها مسألة ثقة كاملة من كلا الجانبين ! يكفينا موافقتك فلا يمكن التراجع عنها ، ونحن سنهتم بودائعك ، ولكن ما مقدار ما توفره فهذا أمر يرجع إليك أنت تمامًا ، إننا لا نجبرك على شىء . وداعًا يا سيد فوزى ! "

و بهذا ركب الوكيل سيارته الأنيقة الرمادية وانطلق من هناك .

وتابعه السيد فوزى بنظره وهو يدعك جبهته ، و عاد الدفء إليه ببطء ، ولكنه شعر بالبؤس و المرض ، و الدخان الأزرق للسيجار الصغير للوكيل ظل عالقًا لفترة طويلة فى سحابات كثيفة بالغرفة لا تريد أن تنقشع . فقط عندما انقشع الدخان شعر السيد فوزى بتحسن مرة أخرى ، ولكن بنفس قدر اختفاء الدخان بهتت الأرقام من على المرآة ، وعندما اختفت فى النهاية تمامًا ، انمحت كذلك ذكرى الزائر ، الرمادى من ذهن السيد فوزى - ذكرى الزائر ، ولكن ليس القرار ! فقد اعتبره أمرًا خاصًا به ؛ فعزمه على أن يوفر الزمن كى يستطيع فى وقت ما فى المستقبل أن يبدأ حياة أخرى ، ثبت فى نفسه كشوكة ذات خطاف

لا يسمح بالرجوع ، ثم أتى أول زبون فى هذا اليوم ، وتعامل معه السيد فوزى متبرمًا ، و أغفل له كل ما ليس له لزوم وكان صامتًا و إنتهى فعلاً بعد عشرين دقيقة بدلاً من نصف ساعة ، وبنفس القدر بالضبط كان سلوكه من الآن فصاعداً مع كل زبون ، و لم يعد عمله بهذا الشكل يسبب له أية بهجه على الإطلاق ، ولكن هذا لم تعد له أهمية ، وشغل إلى جانب صبيه اثنين آخرين من المساعدين وحرص بشدة على ألا تضيع ثانية واحدة فكل حركة يد كانت محددة طبقًا لجدول زمنى دقيق ، وتدلت الآن فى محل السيد فوزى لافتة مكتوب عليها :

الزمن المقْتَصَد هو زمن مضاعف !

وكتب إلى الآنسة داريا خطاباً موضوعيًا مقتضبًا بأنه للأسف لم يعد يستطيع الحضور لقلة الوقت ، و باع ببغاءه الصغير لمحل تاجر حيوانات ، و أمه أودعها فى دار للمسنين جيدة لكن رخيصة ، و كان يزورها هناك مرة كل شهر ، خلاف ذلك اتبع جميع نصائح السيد الرمادى التى اعتبرها حينئذ على أنها قراراته الخاصة ، و أصبح أكثر عصبية و قلقًا باستمرار ؛ لأن شيئًا كان غريبًا : فمن كل الزمن الذى وفره لم يتبق له فعلاً أى شىء أبداً ؛ فقد كان يختفى بشكل غامض و لا يكون له وجود ، و أصبحت أيامه أقصر و أقصر فى البداية بشكل غير ملحوظ و لكن بعد ذلك بوضوح ملموس ؛ و قبل أن يدرك من أمره شيئًا يكون أسبوع آخر قد فاته ، و شهر وسنة و سنة أخرى و سنة أخرى ، ونظراً لأنه لم يعد يتذكر زيارة السيد الرمادى كان عليه بالأحرى أن

يسأل نفسه بجدية أين يذهب كل وقته ، و لكن هذا السؤال قلما سأله لنفسه مثله كمثل جميع مقتصدى الزمن الآخرين ، لقد كان كمن تملكه ولع أعمى و عندما يدرك أحياناً بفزع كيف تسرع أيامه و تتزايد سرعتها على الدوام كلما إزداد عناداً فى توفيره .

وهكذا كان حال كثير من الناس بالمدينة الكبيرة مثلما كان حال السيد فوزي ، وكل يوم تزايدت أعداد الذين بدأوا يفعلون ما يسمونه بـ " توفير الوقت " ، وكلما ازدادوا أعداداً تزايد من يتبعهم لأن حتى هؤلاء الذين لم تكن لديهم الرغبة لم يبق لهم شىء سوى أن يشاركوهم فيما يفعلون ، و فى كل يوم يعلن بالمدح فى الإذاعة و التليفزيون و الصحف عن مميزات مؤسسات توفير الوقت التى ستمنح الناس فى وقت ما الحرية من أجل الحياة " الصحيحة " فلصقت على جدارن المنازل وأعمدة الملصقات إعلانات تشاهد عليها كل الصور الممكنة للسعادة ، و أسفلها كتب بحروف مضيئة ما يلى : -

مقتصدو الزمن حالهم أفضل

أو : المستقبل لمقتصدى الزمن !

أو : اجعل من حياتك مزيداً من القيمة - اقتصد فى الزمن !

و لكن الواقع كان يختلف عن ذلك اختلافاً تاماً ؛ فصحيح كان مقتصدو الزمن يرتدون ملابس أفضل من الناس الذين كانوا يسكنون بالقرب من المسرح الدائرى ، وكانوا يكسبون مالاً أكثر و يستطيعون

إنفاق أكثر ، ولكن وجوههم بها تعب وضجر ومرارة ونظراتهم غير ودية . وطبعًا لم يكن معروفًا لديهم الاصطلاح القائل " عليك بالذهاب إلى مومو" ؛ فلم يكن لديهم أحد يمكنه الاستماع لهم بحيث تستنير بذلك عقولهم وتتسامح أو حتى تبتهج نفوسهم ، حتى و إن كان هناك واحد، وهذا أمر مشكوك فى وجوده غاية الشك ، فإن ذهابهم إليه كان يرتبط بشرط - أن ينجز الأمر فى خمس دقائق، و إلا اعتبروا ذلك وقتًا ضائعًا ، و حتى ساعات فراغهم كان يجب استغلالها حسب رأيهم - و يجب أن تعطيهم بكل سرعة أكبر قدر من البهجة و الاسترخاء ، و هكذا لم يعد فى استطاعتهم الاحتفال بأعياد حقيقية سواء كانت أعيادًا بهيجة أو جادة ؛ وكانت الأحلام تكاد تعتبر جريمة لديهم ، أما الصمت فقد كان أقل ما يمكن أن يتحملوه ؛ فعند الصمت ينتابهم الخوف ؛ لأنهم كان يشعرون بما حدث لحياتهم في الحقيقة ، و لذلك كانوا يفعلون ضجيجًا كلما هددهم الصمت ، و لكن بالطبع لم يكن ضجيج مبتهج مثل الضجيج فى ملاعب الأطفال ، و لكنه كان ضجيجًا غاضبًا ضجرًا ملأ المدينة الكبيرة أكثر صخبًا يومًا بعد يوم . و لم يكن من المهم إذا كان العمل يؤديه المرء بسرعة أو بحب فيه - على العكس فهذا أمر لا يؤدى إلا إلى العطلة ؛ فقد كان من المهم أنه يشتغل فى أقصر وقت ممكن و بأكبر قدر ممكن ، و لذلك علقت فوق أماكن العمل بالمصانع و المبانى والمكتبة الكبرى لافتات كتب عليها :

الوقت غالٍ - لا تضيعه !

أو الوقت (مثل الـ) ذهب - ولذلك اقتصد !

و علقت لافتات مشابهة أيضًا – فوق مكاتب رؤساء العمل – فوق كراسى المديرين ، فى غرف معالجة المرضى لدى الأطباء ، فى المحلات ، في المطاعم و المتاجر وحتى فى المدارس ودور الحضانة ، ولم يستثن من ذلك أحد ، وفى النهاية إزداد على الدوام تغير شكل المدينة الكبيرة أيضًا ؛ فقد هدمت الأحياء القديمة و أقيمت بيوت جديدة ألغى منها كل ما اعتبره المرء حينئذ

لا لزوم له و اقتصد المرء الجهد فى بناء البيوت بحيث تناسب الناس الذين يسكنون فيها ، لأنه فى هذه الحالة كان المرء سيضطر لبناء بيوت مختلفة .

و قد كان الأرخص كثيرًا و قبل كل شىء الأكثر اقتصادًا للوقت أن تبنى البيوت كلها مشابهة لبعضها وفى شمال المدينة الكبيرة انتشرت أحياء من المبانى الجديدة العملاقة ؛ فهناك ارتفعت فى صفوف لا نهائية مجتمعات سكنية للإيجار عديدة الطوابق مشابهة لبعضها البعض كتشابه البيضة لأختها ، ولأن البيوت كلها كانت متشابهة المنظر فقد تشابهت بالطبع الشوارع كلها أيضًاوكبرت هذه الشوارع ذات الشكل

الواحـد ، و امـتـدت فى خط مـسـتـقـيم حـتى الأفق - إنـهـا صـحـراء من النظام ! و على نفس الشكل صارت حياة الناس المقيمة هناك :

في خط مـسـتـقـيم حـتى الأفق ! فـهـنا كـان كل شـىء مـحـسـوبًا ومـخـطـطًا له بدقة كل سنتيمتر كل لحظة ، و يبدو أن أحدًا قد لاحظ أنه وهو يوفر فى الوقت كان يوفر في الحقيقة شيئًا آخر تمامًا ، و لم يكن أحد يريد أن يدرك أن حياته تتزايد فقرًا باستمرار ، و رتابة على الدوام و برودة دائمًا ، ولكن الذين أحسوا بذلك بوضوح كانوا الأطفال ، لأنهم لم يعد أحد لديه وقت لهم آنذاك .

و لكن الزمن حياة ، و الحياة مقرها القلب .

و كلما أكثر الناس من اقتصادهم فيه ، كلما قل ما لديهم منه .

الفصل السابع

مومو تبحث عن أصدقائها ، ويزورها أحد الأعداء

في يوم من الأيام قالت مومو : لا أعرف ، يبدو لى كما لو كان أصدقاؤنا القدامى يندر باستمرار قدومهم إلىّ و بعضهم لم أعد أراه منذ وقت طويل .

وكان يجلس إلى جوارها جيجى المرشد السياحى و بيبو الكناس على درجات السلالم التى نمت فوقها الأعشاب للأطلال وهم ينظرون إلى غروب الشمس .

و قال جيجى وهو يفكر : " نعم ، يبدو لى نفس الشيء ، يتناقص باستمرار عدد من يستمع إلى حكاياتى ، لم يعد الحال كما كان فى الماضى ، شيء ما قد حدث . "

فتساءلت مومو : " لكن ماذا ؟ "

وهز جيجى كتفيه ومسح بدعابة متأملاً بعض الحروف التى خطها على لوح قديم من الإردواز ، وكان بيبو العجوز قد عثر على لوح من الإردواز منذ عدة أسابيع فى صندوق كبير للقمامة و أحضره معه ، و لم يكن بالطبع جديداً تماماً ، وكان في وسطه شرخ كبير ، ولكن كان لا يزال قابلاً للاستعمال بشكل جيد ، ومنذ ذلك الوقت وجيجى يعرض على

مومو كيفية كتابة هذا الحرف أو ذلك ، مومو كان لها ذاكرة جيدة فقد تمكنت فى هذه الأثناء من القراءة بشكل جيد تمامًا ، فقط الكتابة لم تكن تسير معها بشكل سليم .

بيبو الكناس ، الذي يفكر في سؤال مومو ، هز رأسه ببطء وقال : " نعم هذا حقيقي ، أنه يزداد اقترابًا ، و هو في كل مكان بالمدينة ، لقد لفت نظرى منذ وقت طويل ."

فسألت مومو " ماذا ؟ "

و تفكر بيبو برهة ثم أجاب : " شىء ليس به خير " .

و بعد برهة أخرى أضاف قائلاً : " الجو سيصبح باردًا ".

فقال جيجى ووضع ذراعه حول كتف مومو مواسيًا : " وما فى ذلك! فى مقابل هذا يأتى إليك الآن مزيد من الأطفال دائمًا " .

فقال بيبو : " نعم ، لهذا السبب ، لهذا السبب ".

فسألت مومو " ماذا تقصد بذلك ؟ "

فتفكر بيبو طويلاً وأجاب أخيرًا :"إنهم لا يأتون من أجلنا نحن ، إنهم يبحثون فقط عن مأوى لهم." ونظر الثلاثة إلى أسفل إلى مساحة الحشائش الخضراء المستديرة وسط المسرح المستدير ، حيث يلعب عديد من الأطفال لعبة جديدة للكرة ابتكروها فى عصر ذلك اليوم فقط .

وكان من بينهم بعض أصدقاء مومو القدامى الصبى ذو النظارة الذى كان يدعى باولو ، الفتاة ماريا مع أختها الصغيرة ديدى ، الصبى السمين ذو الصوت العالى واسمه ماسيمو ، والصبى الآخر الذى كان

منظره دائمًا مهلهلاً بعض الشيء والذى كان يدعى فرانكو ، ولكن خلاف ذلك كان هناك أطفال آخرون انضموا إليهم منذ بضعة أيام فقط ، وصبى صغير آخر أتى عصر هذا اليوم فقط ، وفعلاً يبدو الأمر كما قال جيجى : فهم يتزايدون يومًا بعد يوم .

وفى الحقيقة كان لمومو أن تسعد لذلك ، ولكن معظم هؤلاء الأطفال لم يكن فى استطاعتهم اللعب ؛ فقد كانوا يجلسون فقط فى كدر وملل وينظرون إلى مومو وأصدقائها ، وأحيانًا كانوا يتعمدون الإزعاج ويفسدون كل شىء ، ولم يكن من النادر الآن حدوث النزاع والعراك ، ولكن الأمر لم يظل على هذا النحو ، لأن حضور مومو أحدث مفعوله أيضًا عند هؤلاء الأطفال ، وسرعان ما أخذوا فى التوصل إلى أحسن الأفكار بأنفسهم والمشاركة فى اللعب بحماس .

ولكن كان يأتى كل يوم تقريبًا أطفال جدد، وكانوا يأتون حتى من أحياء أخرى من مدينة بعيدة ، وهكذا كان كل شىء يبدأ كل يوم من جديد ، لأنه كما هو معلوم ، يكفى فى الغالب فرد واحد مفسد للعب كى يحطم كل شىء للآخرين ، ثم كان هناك فوق ذلك شىء آخر لم تستطع مومو أن تدركه إدراكًا صحيحًا ، وكان قد بدأ منذ زمن وجيز جداً ، فقد تكرر باستمرار الآن أن أحضر الأطفال مختلف أنواع اللعب التى لم يكن المرء يستطيع بالفعل أن يلعب بها مثل دبابة يجرى التحكم فيها من البعد ويمكن تسييرها فى كل اتجاه ولكنها لم تكن تنفع فى شىء آخر ، أو صاروخ مركبة فضاء ينطلق في شكل دائرى من عامود ، أو إنسان آلى صغير يهز عينيه المتوهجتين و يدير رأسه – و لكنه لم يكن يصلح للاستعمال فى شىء آخر ، لقد كانت بالطبع لعبًا غالية الثمن لم يمتلكها

أصدقاء مومو أبداً وحتى مومو نفسها لم يكن عندها مثلها ، وقبل كل شيء كانت هذه الأشياء متكاملة فى أصغر تفاصيلها لدرجة أنه لم يكن هناك حاجة للمرء أن يستعمل حتى تخيله الشخصى فيها ، وهكذا كان الأطفال يجلسون غالباً لساعات طويلة و ينظرون مشدودين لكن بملل إلى مثل هذا الشيء الذى يصرصر أو يهتز أو يندفع فى دورانه - و لكن لم تكن تخطر ببالهم أى فكرة أثناء ذلك ، ولذلك كانوا يعودون فى آخر الأمر إلى ألعابهم القديمة حيث كانت تكفيهم بعض العلب أو مفرش مائدة ممزق أو كومة حيوان حفار الغيط (*) أو حفنة من الأحجار الصغيرة ، و أثناء ذلك يمكن تخيل كل شيء .

و يبدو أن هناك شيئًا ما في مساء ذلك اليوم أيضًا جعل اللعب لا ينجح نجاحًا حقيقيًا ؛ فالأطفال لم يشارك منهم طفل بعد الآخر فى اللعب ، إلى أن جلس الجميع فى آخر الأمر حول جيجى ومومو ، وكانوا يأملون في أنه ربما سيبدأ جيجى يحكى قصصه ، ولكن هذا لم يحدث ، و الصبي الصغير الذي ظهر اليوم لأول مرة ، كان معه راديو متنقل ، وجلس بعيداً بعض الشيء عن الآخرين وقد أدار الجهاز بصوت عال تماماً ، وكان يذيع برنامج إعلانات ، فتساءل الصبي المهلهل ، الذي كان يدعى فرا نكو ، بنبرة مهددة " ألا يمكنك أن تخفض من صوت صندوقك الغبي قليلاً ؟ " فقال الصبى الغريب وهو يفتعل الابتسام :- " أنا لا أستطيع أن أفهمك ، الراديو صوته عال " فصاح فرا نكو وهو ينهض واقفاً :- " اخفض من صوته على الفور ! " .

* بالألمانية Maulwurf : وهو حيوان فى حجم فأر الغيط يتغذى على الحشرات ويحفر لنفسه أنفاقاً أسفل الحقول ويجعل لنفسه تلاً صغيراً به ثقب صغير يخرج منه ، وفى المعاجم يطلق عليه "الخلد" (المترجم) .

فشحب وجه الصبى الغريب بعض الشىء ورد فى عناد : " ليس لك ولا أحد له أن يقول لى شيئًا . وبإمكانى أن أرفع صوت الراديو ملكى كما يحلو لى . "

وقال بيبو العجوز : " إن الحق معه ، فليس فى إمكاننا أن نحرم عليه ذلك ، نحن نستطيع على أقصى تقدير أن نرجوه ذلك . "

وجلس فرا نكو مرة أخرى ، وقال بمرارة : " عليه أن يذهب إلى مكان آخر ، إنه يفسد علينا كل شىء طوال عصر اليوم . "

فرد بيبو وهو ينظر إلى الصبى الغريب بود وانتباه من خلال نظارته الصغيرة : " لابد و أن يكون لديه سبب لذلك ، مؤكد عنده سبب "، و سكت الصبى الغريب ، وبعد برهة قصيرة أخفض صوت الرا ديو و نظر إلى الاتجاه الآخر ، وذهبت مومو إليه وجلست إلى جواره فى صمت ، و أغلق الراديو ، وعم السكون برهة من الزمن .

فطلب أحد الأطفال الجدد راجيًا : " أتحكى لنا شيئًا ، يا جيجى ؟ "

فصاح الآخرون " نعم ، من فضلك ، حكاية مضحكة : – لا ، بل حكاية مثيرة : – كلا ، أسطورة ! – مغامرة " ،

ولكن لم تكن لدى جيجى الرغبة فى ذلك ، وكانت هذه أول مرة تحدث ، و أخيرًا قال " أفضل كثيرًا أنكم أنتم تحكون لى عن أنفسكم وعن منازلكم وما تصنعون ، ولماذا أنتم هنا " ، وظل الأطفال صامتين ، وفجأة أصبحت وجوههم جامدة حزينة ، و أخيرًا سمع صوت أحدهم يقول : " نحن عندنا الآن سيارة جميلة ، وفى يوم السبت عندما يكون عند بابا وماما وقت ، يقومان بغسلها ، و إذا كنت مؤدبًا ومطيعًا

فيسمح لى بالمساعدة فى ذلك ؛ فأنا أريد أن تكون لـى مثلها فيما بعد ، " وقالت فتاة صغيرة : " أما أنا ، فمسموح لى الآن أن أذهب إلى السينما كل يوم إذا أردت ، لكى أكون فى الحفظ و الصون ، لأنه للأسف ليس لديهما وقت . "

و بعد صمت قليل أضافت قائلة : " و أنا أريد أن أكون في الحفظ و الصون ، ولذلك فإننى آتى فى السر إلى هنا وأوفر النقود لنفسى ، وعندما يكون لدى النقود الكافية فسأشترى لى تذكرة ، و أسافر إلى السبعة أقزام . "

فصاح طفل آخر : " أنت غبية ؛ فهذه لا وجود لها " .

فقالت الفتاة الصغيرة فى عناد : " بلى هى موجودة ، لقد رأيتهم أيضا فى إحدى النشرات السياحية : " و أعرب صبى صغير عن نفسه قائلاً :- أنا عندى إحدى عشرة أسطوانة عليها أساطير ، و بإمكاني الاستماع إليها كثيراً كما يحلو لي . فيما مضى كان أبى يحكى لى بنفسه دائمًا في المساء عندما يرجع من عمله ؛ وكان هذا جميلاً . أما الآن فهو لم يعد موجوداً أبداً ، أو أنه متعب وليست لديه الرغبة فى ذلك ؛ " فتساءلت الفتاة ماريا : " وماذا عن أمك ؟ " .

" إنها هي أيضا غير موجودة طوال النهار دائمًا " ، فقالت ماريا : " أجل ، عندنا نفس الشىء ، ولكن لحسن الحظ عندى ديدى ،" و أعطت أختها الصغيرة التى تجلس على حجرها ، قبلة واستمرت قائلة : " عندما آتى من المدرسة فإننى أقوم بتسخين الطعام ، ثم أعمل واجباتى ، ثم .... (وهى تهز كتفيها) ، ثم نجرى هنا وهناك إلى أن يأتى المساء ،

وغالبًا ما نحضر إلى هنا ، " وهز جميع الأطفال رؤوسهم ، لأن الحال عندهم كان مماثلاً إن قل أو كثر .

وقال فرا نكو وهو يبدو غير سعيد بالمرة : " فى الحقيقة أنا مسرور ؛ لأن والديّ لم يعد لديهما وقت لى ، و إلا لأخذا يتشاجران ، ثم آخذ أنا العلق ".

وعندئذ التفت إليهم فجأة الصبى ذو الراديو المتنقل وقال : " أما أنا ، فأنا أحصل الآن على مصروف جيب أكثر بكثير عن ذى قبل ! "

فرد فرا نكو : " هذا واضح ، فهم يفعلون ذلك لكى يتخلصوا منا ! إنهم لم يعودوا يحبوننا ، ولكنهم لم يعودوا يحبون أنفسهم أيضا .إنهم لم يعودوا يحبون أى شىء على الإطلاق، هذا رأيى "؛

فصرخ الصبى الغريب غاضبًا : " هذا ليس صحيحًا . إن والدايّ يحباني جداً ، ولكن ليس ذنبهم أنه لم يعد لديهما وقت ، فالأمر هكذا ، ولهذا أهدونى الآن هذا الراديو المتنقل أيضًا ، لقد كان غالى الثمن ، أليس هذا برهانًا على ذلك ؟ وصمت الجميع ، وفجأة بدأ الصبي ، الذي كان طيلة العصر مفسداً للألعاب ، فى البكاء ، وحاول أن يكتم البكاء ومسح عينيه بقبضتيه المتسختين ، ولكن الدموع سالت فى خطوط فاتحة اللون من خلال البقع المتسخة على خديه ، و نظر الأطفال الآخرون إليه بلا مبالاة و أخفضوا بصرهم إلى الأرض ؛ فقد فهموه الآن ، ففى الحقيقة كان كل واحد منهم لديه نفس الإحساس ؛ فقد كانوا يشعرون بأن الجميع قد خذلوهم ، وقال بيبو العجوز بعد برهة أخرى : " نعم ، الدنيا ستصبح باردة ".

وقال باولو ، الصبى ذو النظارة : " ربما لن يسمح لى بالحضور عما قريب بعد ذلك " .

فسألت مومو متعجبة : " ولماذا ؟ "

فأعرب باولو قائلاً : " لقد قال والداى ، ما أنتم إلا كسالى وخاملون إنكم تسرقون الزمن من ربنا العزيز ولذلك عندكم منه الكثير ، وقالوا ، ولأنه يوجد من نوعياتكم الكثير و أكثر من اللازم ، فقد قل الزمن باستمرار عند أناس آخرين ، وقالوا ينبغى علىّ عدم الحضور إلى هنا بعد ذلك ، وإلا سوف أصبح مثلكم تماماً " ، وعاد بعض الأطفال الذين قيل لهم ما يشبه ذلك إلى هز رءوسهم ، ونظر جيجى إلى الأطفال ، كل حسب دوره وقال . " أتظنون أيضاً أن فينا هذا ؟ أو لماذا تأتون رغم ذلك ؟ " و بعد فترة صمت قصيرة قال فرا نكو : " الأمر سيان عندى ؛ فأبى يقول دائماً إننى على كل سأصبح فيما بعد قاطع طريق ، أنا معكم ؛ " فقال جيجى وهو يرفع حاجبيه عالياً : " أهكذا ؟ إذن أنتم أيضاً تعتبروننا خاملين ؟ "

ونظر الأطفال إلى الأرض محرجين ، و أخيراً نظر باولو نظرة فاحصة فى وجه بيبو العجوز وقال بصوت خافت : " إن والداىّ لا يكذبان " ، ثم سأل بصوت أكثر انخفاضا " ألستم هكذا ؟"

ونهض الكناس العجوز واقفاً بكامل طوله غير بالغ الضخامة ، وفرد ثلاثة من أصابعه عالياً وقال : " إننى لم أسرق أبداً على الإطلاق في حياتى من ربنا العزيز أو من أحد الناس ولا أقل القليل من الزمن . إننى أقسم على ذلك و اللّه على ما أقول شهيد ! " .

و أضافت مومو قائلة : " و أنا أيضًا " .

وقال جيجى فى جدية : " و أنا أيضًا " .

وصمت الأطفال في تأثر ، و لم يشك واحد من بينهم فى كلام الأصدقاء الثلاثة ، وواصل جيجى كلامه قائلاً : " وعلى الإطلاق ، و الأن أريد أن أقول لكم شيئًا ، كان الناس فيما مضى يأتون بسرور إلى مومو كى تستمع إليهم ، وعندئذ كانوا يجدون أنفسهم ، إذا ما كنتم تفهمون ما أقصده ، أما الآن فلم يعد يسأل الكثير منهم عن ذلك ، وكان الناس فيما مضى أيضًا يأتون بسرور كى يستمعوا إلىّ ، وعندئذ ينسون أنفسهم ، ولم يعد يسأل الكثير منهم أيضًا ، لم يعد لديهم وقت لذلك ، وهكذا يقولون ، و لم يعد لديهم وقت لكم كذلك ، ألا تلاحظون شيئًا ؟ إنه لأمر غريب لأى شىء لم يعد لديهم وقت ! "

وضيق من عينيه وهز رأسه ثم أكمل كلامه قائلاً : " لقد قابلت مؤخرًا بالمدينة صديقًا قديمًا حلاقًا يدعى فوزي وكنت لم أره منذ فترة ، وكدت لا أتعرف عليه ، فقد تغير كثيرًا ، عصبي سيئ المزاج ، متكدر ، وقد كان فيما مضى إنسانًا لطيفًا ، يستطيع أن يغنى غناء جميلاً وكانت لديه أفكار متميزة تمامًا حول كل شىء ، وذلك لم يعد لديه وقت ، الرجل أصبح فقط شبح نفسه ، إنه لم يعد فوزى على الإطلاق ، أتفهمون ؟ و لو كان هو وحده فقط لظننت عندئذ أنه جن قليلاً. ولكن أينما ينظر المرء يرى مثل هؤلاء الناس ، وهم يتزايدون على الدوام ، و الآن يبدأ حتى أصدقاؤنا القدامى أيضًا ! و إننى أتساءل فعلاً ، إذا كان هناك جنون معدى ؟ "

وهـز بـيبو العـجـوز رأسـه قـائلاً : " أكيد لابد من وجود نوع من العدوى . "

فـقـالت مـومـو وهـى فى غـاية الذهـول : " إذن علينا أن نسـاعـد أصدقاءنا ! "

وفى ذلك المساء اشترك الجميع فى التشاور وقتًا طويلاً فيما يمكن أن يفعلوه ، ولكنهم لم يعلموا شيئًا عن السادة الرماديين ولا عن نشاطهم الذى لا يهـدأ ، وفى الأيام التـاليـة راحت مـومـو تبحث عن أصـدقـائها القدامى لكى تعرف منهم ماذا حدث ، ولماذا لم يعودوا يأتون إليها .

وذهبت أولاً إلى نيكولا البنَّاء ، وكـانت تعرف منزله جيداً حـيث كـان يسكن بـأعلى فى حـجـرة صـغـيـرة أسـفل السطح ، ولـكنه لم يكن مـوجـوداً ، و النـاس الآخرون بالمنزل كانوا يعرفـون فـقط أنه الآن يعـمل هناك فى الأحـيـاء الكبيرة من العمـائر الجـديدة على الجـانب الآخـر من المدينة ، و أنه يكسب نقوداً كثيرة ، و أنه لم يعد يأتى المنزل إلا نادراً ، و إذا حـدث فـغـالبًا ما يكون في وقت مـتـأخـر جـداً وهـو أيضًـا غـالبًا ما لا يكون فـي وعيـه تمامًـا ، و أن المرء لم يعـد يسـتطيع أن يطيـقـه ، وقـررت مـومـو أن تنتظر ، وجلست على السلم أمـام باب حـجـرتـه ، و حل الظلام شـيئًا فشيئًا وراحت في النوم ، ولابد أن يكون الوقت كان مـتـأخـراً من الليل عندما أيقظها دبيب وقع أقدام وغناء مبحوح خشن لقد كـان نيكولا الذي يترنح صـاعداً السلم ، وعندمـا رأى الطفلة ظل واقفًا فى اضطراب وتقدم قائلاً وقد أصابه الحـرج أن رأته على هذه الحال ! " هيه ، مومو ! ألا زلت موجودة ! عما تبحثين هنا ؟ "

فأجابت مومو فى خجل : " عنـك " .

فقال نيكولا وهو يهز رأسه مبتسمًا : " يالك من فتاة ! تأتى إلى هنا فى منتصف الليل كى تسأل عن صديقها القديم نيكولا ، نعم ، أنا أيضًا كدت أزورك منذ وقت طويل ، ولكن لم يعد لدى وقت لمثل هذه ... الأشياء الخاصة . "

وأشـار بيده إشارة مضطربة وجلس فى تثاقل إلى جوار مومو على السلم .

" ماذا تقصدين بما حدث لى الآن ، ياطفلتى ! لم تعد الأمور كما كانت سابقًا ، الزمن يتغير، هناك حيث أتواجد حاليًا يتحدد إيقاع آخر من السرعة ، والسير فيها كسير العفريت ، كل يوم نبنى طابقًا كاملاً طابقا بعد الآخر ، نعم إنه أمر مختلف عما سبق ! فكل شىء منظم ، كل حركة يد ، أتفهمين ، حتى أدق التفاصيل ... " .

واستمر فى كلامه ومومو تستمع إليه بانتباه ، وكلما طالت المدة كلما قل الحماس من كلامه وفجأة توقف عن الكلام ومسح وجهه بيديه الخشنتين ، وقال فى حزن مفاجئ : " كل ما أقوله هنا كلام فارغ ، إنك ترين يا مومو أننى شربت مرة أخرى زيادة عن اللزوم ، إننى أعترف ، إننى أعترف ، إننى كثيراً ما أشرب زيادة عن اللزوم ولكننى لا أستطيع تحمل ما نفعله بشكل آخر فهذا يخالف ضمير البناء الشريف ، رمل زيادة بكثير فى المونة ، أتفهمين ؟ سوف يتحمل كل شىء لمدة أربع أو خمس سنوات ثم ينهار كل شىء إذا سعل شخص ما ، كله شغل

ردىء ، وسافل ! ولكن هذا ليس أسوأ ما فى الأمر ، أسوأ الأشياء هى تلك البيوت التى نبنيها ، إنها ليست بيوتًا على الإطلاق إنها صوامع للنفوس ! إنه أمر يقلب المعدة من الغثيان ! ولكن ما شأنى بكل هذا ؟ إنى أحصل على نقودى ، وكفى أن الزمن يتغير، فى الماضى كان الأمر مختلفًا عندى ، فقد كنت فخوراً بعملى عندما كنا نبنى شيئًا نباهى به . ولكن الآن ... فى يوم ما عندما أكتفى بما كسبت ، فسوف أترك مهنتى وأعمل شيئًا آخر " .

وطأطأ رأسه حزنًا وحملق أمامه فى كدر ، ولم تقل مومو شيئًا ، فقط كانت تستمع إليه وأكمل نيوكولا كلامه بعد برهة بصوت خافت قائلاً : " ربما كان ينبغى علىّ فعلاً أن آتى إليك مرة أخرى وأحكى لك كل شىء . أجل ، حقًا ، هذا ما ينبغى علىّ؛ فلنقل غداً على الفور ، موافقة ؟ أم من الأفضل بعد غد ؟ لابد أن أرى كيف أرتب ذلك ، ولكنى من المؤكد أنى سأحضر ، إن ، اتفقنا ؟ "فردت مومو وهى مسرورة " اتفقنا " ثم افترقا ، لأنهما كانا فى غاية التعب ، ولكن نيكولا لم يحضر لا فى اليوم التالى ولا فى اليوم الذى يليه ، إنه لم يحضر مطلقًا ، ربما لم يعد لديه وقت بالفعل أبداً والشخص التالى الذى زارته مومو كان صاحب الحانة نينو وزوجته السمينة ، البيت الصغير العتيق ذو الطلاء الذى لطخته الأمطار وتكعيبة العنب أمام الباب كان يقع عند أطراف المدينة ، وذهبت مومو كما كانت تفعل فى الماضى إلى الخلف إلى باب المطبخ ، وكان مفتوحًا ، وسمعت مومو من بعيد نينو وزوجته ليليانا يتبالان كلمات شديدة اللهجة ،

وكانت ليليانا مشغولة بالأوانى والطاسات فوق الموقد ، وكان وجهها السمين يلمع من العرق ، وكان نينو يتحدث إلى زوجته ملوحًا بيديه ، وطفلهما الرضيع كان يجلس فى تقفيصة مجدولة بركن الحجرة ويصرخ ، وجلست مومو بهدوء إلى جانب الرضيع وأخذته على حجرها وهدهدته ببطء إلى أن سكت ، وقطع الزوجان تشاجرهما ونظرا إلى هناك ، وقال نينو وابتسم إبتسامة خاطفة : " أهذا أنت يا مومو ، لطيف أن نراك مرة أخرى " ،

وتساءلت ليليانا بقليل من الضيق :" أتريدين أن تأكلى شيئًا " ، فهزت مومو رأسها فتساءل نينو فى عصبية قائلاً :" ماذا تريدين ؟ ليس لدينا بالفعل وقت لك الآن " ،

فردت مومو بصوت خافت : " أردت فقط السؤال لماذا لم تعودا تأتيان إلىّ لفترة طويلة ؟ " فقال نينو فى عصبية " أنا أيضًا لا أعرف فلدينا الآن هموم أخرى " ،

وصاحت ليليانا وهى تحدث ضجيجًا بالأوانى: " نعم ، إنه لديه الآن هموم مختلفة تمامًا ، مثلاً ، كيف يتخلص من الزبائن القدامى ، هذا هو همه حاليًا : أتتذكرين الرجال كبار السن يامومو ، الذين كانوا يجلسون دائمًا على المائدة فى الركن ؟ لقد طردهم ! قذف بهم بعيدًا "؛ فقال نينو مدافعًا عن نفسه : " أنا لم أفعل ذلك ! لقد طلبت إليهم فى أدب أن يبحثوا عن حانة أخرى ، وأنا كصاحب الحانة من حقى ذلك " ،

فرددت ليليانا بغضب : " الحق ، الحق ! لا يصح أن يفعل المرء ذلك ، هذا عمل غير إنسانى ووضيع ، أنت تعلم جيداً أنهم لن يجدوا حانة أخرى وهم لم يزعجوا أى إنسان عندنا ! "

وصاح نينو : " طبعًا هم لم يزعجوا أى إنسان ، لأنه لم يأت إلينا أى جمهور عليه القيمة وقادر على الدفع طالما كان يقبع هنا هؤلاء الأنفار غير حليقى الذقن من كبار السن ، أتظنين أن مثل هذا يعجب الناس ؟ وليس لنا أى مكسب من الكوب الوحيد من النبيذ الأحمر الرخيص الذى فى مقدور كل واحد منهم أن يدفعه كل مساء ؟ إن هذا لن يصل بنا إلى شىء أبدًا " ،

فردت ليليانا قائلة : " لقد كنا نعيش حتى الآن جيداً من ذلك ؛ "فأجاب نينو بحدة : " نعم حتى الآن ، ولكنك تعلمين تماماً أن الأمر لن يستمر على هذا الحال ، لقد رفع صاحب البيت الإيجار ؛ فمن أين آتى بالنقود إذا ما جعلت من حانتى مأوى للفقراء المرتعشين من كبار السن ؟ لماذا ينبغى على حماية الآخرين ؟ وأنا لا يحمينى أحد أيضاً"، ووضعت ليليانا السمينة طاسة على الموقد بقوة لدرجة أنها أحدثت فرقعة ، وصاحت وهى تضع ذراعيها على أردافها العريضة : " الآن أريد أن أقول لك شيئًا ، إن من بين هؤلاء الفقراء المرتعشين من كبار السن عمى إتوره ! وأنا لا أسمح لك أن تسب عائلتى، إنه رجل طيب وشريف حتى إن لم يكن لديه مال كثير مثل جمهورك القادر على الدفع !"فرد نينو مشيراً بيده إشارة كبيرة : " إتوره يمكنه الحضور ثانية ، لهذا قلت له إنه يستطيع البقاء إذا أراد ، ولكنه لا يريد ، "

" طبعًا لا يريد - بدون أصحابه القدامى ! ماذا يدور فى خيالك ؟ أتـريـد أن يـجلس وحيداً بعيداً فى ركن من الأركان ؟ " فصاح نينو : " إذن أنا لا أستطيع أن أغير شيئًا ؛ فأنا ليست لدى الرغبة على كل حال أن أنهى حياتى ملكًا لحانة مرذولة - فقط من أجل مراعاة عمك إتوره ! إننى أريد أن أجعل منها شيئًا ! فهل هذه جريمة ؟ إننى أريد أن أرفع من قدر هذا المحل ! أريد أن أجعل من حانتى هذه شيئًا ما ! وأنا لا أفعل هذا من أجلى أنا فقط ، إننى أفعل هذا من أجلك أنت أيضًا من أجل طفلنا ، ألا تستطيعين أن تدركى هذا ياليليانا ؟ " فقالت ليليانا بحدة : " لا ، إذا كان الأمر ينفذ بلا قلب فقط إذا بدأ الأمر هكذا فبدونى! فإننى سأقوم فى يوم من الأيام وأهرب ، ولتفعل ما تريد ! "وأخذت الطفل الرضيع من على ذراع مومو الذى راح يبكى من جديد وجرت خارج المطعم ، ولم يقل نينو شيئًا لفترة طويلة ، وأشعل سيجارة وأدارها بين أصابعه ، ونظرت مومو إليه ، وأخيراً قال " يعنى ، ، لقد كانوا أشخاصًا ظرفاء ، وأنا نفسى كنت أحبهم ، أتعلمين يا مومو ، أنا نفسى متألم من أنى ... ولكن ماذا أفعل ؟ فالزمن يتغير ، "

ثم أضاف بعد برهة قائلاً : " ربما مع ليليانا حق ، ومنذ أن انصرف هؤلاء العجائز وتبدو لى حانتى غريبة علىّ بشكل ما ، باردة ، أتفهمين ؟ وأنا نفسى لم أعد أطيقها ، أنا فى الحقيقة لا أعرف ماذا علىّ أن أفعله ، ولكن الجميع يفعلون ذلك اليوم ، فلماذا أنا وحدى أفعل شيئًا مخالفًا ؟ أم من رأيك أن أفعل ؟ " وهزت مومو رأسها بشكل غير ملحوظ .

ونظر نينو إليها وهز رأسه أيضًا ، ثم ابتسما هما الاثنان ، وقال نينو : " من الخير أنك أتيت لقد نسيت تمامًا ، إننى فيما مضى كنا نقول

دائمًا فى مثل هذه الأمور : عليك بالذهاب إلى مومو ! - لكن الآن سوف أحضر ثانية ، مع ليليانا ، بعد غد عندنا راحة ، عندئذ سنأتى ، موافقة ؟ ".
فأجابت مومو : " موافقة ".

ثم أعطاها نينو قرطاسًا مليئًا بالتفاح والبرتقال وذهبت إلى المنزل ، وبالفعل حضر نينو وزوجته السمينة ، وأحضرا الطفل الرضيع كذلك معهما وسلة مليئة بالمطايب وقالت ليليانا وهى تشع بشرًا : " تصورى ، نينو ذهب إلى العم إتوره والعجائز الآخرين كلهم على حدة واعتذر لهم ورجاهم الحضور مرة أخرى ، "وأضاف نينو مبتسمًا وهو يحك جلده خلف أذنه قائلاً : " نعم لقد حضروا جميعًا مرة أخرى -ربما لن يحدث أمر يرفع من قدر حانتى ، ولكنها عادت تعجبنى مرة أخرى ، "وضحك وقالت زوجته : " ولسوف نستمر فى الحياة يا نينو ".

وأصبح وقت ما بعد الظهر غاية فى الجمال ، وعندما انصرفا فى النهاية ، وعدوا بعودتهم مرة أخرى ، وهكذا زارت مومو أصدقاءها القدامى واحدًا بعد الآخر وذهبت إلى النجار الذى صنع لها فى ذلك الوقت المنضدة الصغيرة والكراسى من ألواح الصناديق ، وذهبت إلى السيدات اللاتى أحضرن لها السرير ، باختصار لقد زارت جميع من كانت تستمع إليهم فى الماضى والذين أصبحوا بسبب ذلك أذكياء وأقوياء العزيمة وسعداء ، والجميع وعدوا بالحضور مرة أخرى، البعض لم يوف بوعده أو لم يستطيعوا الوفاء به لعدم وجود وقت لذلك ، ولكن كثير من الأصدقاء القدامى عاد بالفعل وكان الأمر كما كان فى الماضى تقريبًا ، وبذلك اعترضت مومو طريق السادة الرماديين دون أن تدرى ، وهذا ما لم يستطيعوا أن يطيقوه .

وبعد ذلك بوقت قصير - وكان ذلك ظهر يوم حار جداً – وجدت مومو دمية على الدرجات الحجرية للأطلال ، وكثيراً ما كان يحدث آنذاك أن ينسى الأطفال إحدى اللعب غالية الثمن والتى لم يكن المرء يستطيع اللعب بها لعباً حقيقياً وتركوها هناك ، لكن مومو لم تستطع أن تتذكر أنها رأت هذه الدمية مع أحد من الأطفال ، وإلا كانت قد لفتت نظرها بالتأكيد لأنها كانت دمية ذات خصائص فريدة تماماً ، لقد كانت فى حجم مومو نفسها تقريباً ومطابقة للطبيعة لدرجة أن المرء يكاد يعتبرها إنساناً صغيراً ،ولكنها لم تكن تبدو لطفل أو رضيع ولكن كسيدة شابة أنيقة أو دمية من دمى نوافذ العرض ، وكانت ترتدى فستاناً أحمر اللون وسترة قصيرة وأحذية ذات كعوب عالية وشرائط جلدية، وحملقت مومو فيها وهى مأخوذة ، وعندما لمستها بيديها بعد ذلك بفترة من الزمن طقطقت الدمية عدة مرات بجفون عينيها وحركت فمها وقالت بصوت له رنين يشبه النقيق كما لو كان يصدر من التليفون: "نهارك سعيد،أنا بيبى جيرل الدمية الكاملة" ، وتراجعت مومو فى فزع ، ولكنها أجابت بعد ذلك دون قصد قائلة :–" نهارك سعيد أنا اسمى مومو"،مرة أخرى حركت الدمية شفتيها وقالت : " أنا ملكك ، الجميع سيحسدونك علىّ " ؛ فقالت مومو : " أنا لا أظن أنك ملكى ، أنا أعتقد أكثر أن أحداً نسيك هنا ".

وأخذت الدمية ورفعتها عالياً فتحركت شفتاها مرة أخرى وقالت "أريد أشياء أخرى أكثر" .

فردت مومو بتفكير : " هكذا ! لست أدرى إذا كان عندى شىء يناسبك ، لكن انتظرينى ، سأعرض عليك ما عندى من الأشياء ، ثم تقولين ما يعجبك . "

وأخذت الدمية وصعدت معها عبر الفتحة الموجودة بالسور ونزلت إلى حجرتها ، وأحضرت علبة بها مختلف الأشياء الثمينة من تحت السرير ووضعتها أمام البيبى جيرل ، وقالت : " هاهى ، هذا كل ما عندى ، إذا ما أعجبك شيء فقولى لى فقط . "

وعرضت عليها ريشة طائر جميل متعددة الألوان وحجرة مجزعة تجزيعًا جميلاً ، زرار ذهبى ، قطعة صغيرة من الزجاج الملون ، ولم تقل الدمية شيئًا ، ولزتها مومو ؛ فنقنقت الدمية قائلة : " نهارك سعيد ، أنا بيبى جيرل ، الدمية الكاملة ،" فقالت مومو :

"نعم ، أنا أعرف ، ولكنك كنت تريدين أن تختارى لنفسك شيئًا يا بيبى جيرل ، هنا مثلاً عندى صدفة وردية جميلة ، هل تعجبك ؟"

فأجابت الدمية : " أنا ملكك ، الكل يحسدونك علىّ "، فقالت مومو : " نعم لقد قلت لى ذلك ، لكن إذا لم تكونى تحبين شيئًا من حاجياتى ، فربما يمكننا أن نلعب ، موافقة ؟ " فكررت الدمية قولها : " أريد أشياء أخرى "

فقالت مومو : " ليس عندى أشياء أكثر ، " وأخذت الدمية وتسلقت عائدة إلى الفضاء مرة أخرى وهناك أجلست بيبى جيرل على الأرض وجلست أمامها ، واقترحت مومو قائلة : " فلنلعب الآن إنك جئت لتزورينى "

فقالت الدمية : " نهارك سعيد ، أنا بيبى جيرل ، الدمية الكاملة ".

فردت مومو : " كم هو لطيف أنك تزورينني ، من أين تأتين أيتها السيدة المحترمة ؟ " واستمرت بيبى جيرل قائلة : " أنا ملكك الكل يحسدونك علىّ ، "

وجربت مومو لعبة أخرى ، وعندما فشلت أيضًا جربت أخرى وأخرى وأخرى ، ولكن لم ينتج عنها شيء ما ، أجل ، لو أن الدمية لم تقل شيئًا على الإطلاق لاستطاعت مومو أن تجيب بدلاً منها ، ولنتج عن ذلك أجمل الأحاديث ، لكن بيبى جيرل أعاقت كل حديث بالذات بسبب أنها تتحدث ،وبعد فترة من الزمن أنتاب مومو إحساس لم تشعر به من قبل أبدًا ولأنه كان إحساسًا جديدًا تمامًا فقد استغرق الأمر فترة من الوقت إلى أن أدركت أنه الملل وشعرت مومو بقلة الحيلة ، وكان أفضل ما تفضل لو أنها تركت الدمية الكاملة فى مكانها ولعبت لعبة أخرى ، ولكنها لا تستطيع أن تبتعد عنها بسبب من الأسباب .

وهكذا جلست مومو أخيراً هناك فقط تحملق فى الدمية التى بدورها حملقت مرة أخرى بعينيها الزرقاوين الزجاجيتين فى مومو كما لو كان كلاهما قد نوما بعضهما مغناطيسيًا ، وأخيراً أبعدت مومو نظرها بالعزيمة عن الدمية - وأصابها قليل من الفزع ، فقد وقفت قريبًا جداً منها سيارة أنيقة بلون الرماد ، لم تلاحظ مجيئها وفى السيارة جلس سيد يرتدى بدلة بلون نسيج العنكبوت ، وقبعة رمادية متصلبة على رأسه ويدخن سيجارة رمادية صغيرة ، ووجهه أيضًا كان يبدو فى لون الرماد ، ولابد أن السيد كان يراقبها منذ فترة كاملة من الزمن ؛ لأنه هز رأسه لمومو مبتسمًا ، وبرغم أن الجو كان حارًا جداً ظهر ذلك اليوم لدرجة أن الهواء كان يومض فى وهج الشمس ، فقد بدأت فجأة ترتعش من البرد ، وفتح الرجل الآن باب السيارة ونزل منها واتجه ناحية مومو وكان يحمل فى يديه حقيبة يد رمادية بلون الرصاص ، وقال بصوت غريب عديم الخاصية : " كم هى جميلة الدمية التى معك ! جميع زملائك فى اللعب يمكنهم أن يحسدوك عليها " .

وهزت مومو كتفيها فقط وسكتت ، واستطرد السيد الرمادى قائلاً : " أكيد كانت غالية جداً ؟ "

فتمتمت مومو فى حرج : " لست أدرى إننى عثرت عليها . "

فرد السيد الرمادى : " قولى كلام غير هذا ! يبدوا لى أنك بنت حظ بصحيح . "

وعادت مومو للسكوت وشدت على جسدها السترة الرجالى الكبيرة جداً عليها ، فقد ازدادت البرودة ، وقال السيد الرمادى بابتسامه خفيفة : " لكن عندى انطباع كما لو كنت غير مسرورة جداً يا صغيرتى " ، وهزت مومو رأسها قليلاً ، وأحست فجأة كما لو كانت جميع المباهج قد اختفت من الدنيا إلى الأبد - كلا ، كما لو لم يكن لهذه المباهج من وجود أبداً ، وإن كل ما كانت تعتبره كذلك لم يكن إلا وهماً وخيالاً ، لكن فى نفس الوقت أحست بشىء يحذرها ،واستطرد السيد الرمادى قائلاً : " لقد راقبتك منذ فترة كاملة من الزمن ويبدو لى أنك لا تعرفين على الإطلاق كيف يجب اللعب بمثل هذه الدمية الرائعة أتريدين أن أريك ذلك ؟ "

ونظرت مومو إلى الرجل بدهشة المفاجأة وهزت رأسها .

وفجأة نقنقت الدمية قائلة : " أريد أشياءً أكثر ."

فقال الرجل الرمادى : " أترين ، يا صغيرتى ، إنها تقولها لك كذلك ؛ فمثل هذه الدمية الرائعة لا يمكن للمرء اللعب بها كلعبه بأى دمية أخرى ، إن هذا لواضحاً ، فهى لم توجد لذلك ، لابد أن يقدم لها شيئاً إذا لم يكن المرء يريد أن يصاب بالملل معها ، انتبهى ، يا صغيرتى ! "

وذهب إلى سيارته وفتح حقيبتها وقال : " أولاً هى تحتا ج إلى ملابس كثيرة ، هنا مثلاً فستان سهرة مذهل ، " وسحبه إلى الأمام وقذف به إلى مومو " ، وهنا معطف من فراء المنك الأصلى ، وهنا رداء نوم من الحرير ، وهنا بدلة تنس وبدلة استحمام وبدلة فروسية وبيجاما ، وقميص نوم وفستان آخر وواحد آخر "

ورمى بكل الأشياء بين مومو والدمية حيث تكدست بالتدريج إلى كوم ؛ وقال وهو يبتسم مرة أخرى ابتسامة خفيفة : " وهكذا يمكنك أن تلعبى بهذه لفترة من الزمن مؤقتًا ، أليس كذلك ، يا صغيرتى ؟ ولكن هذا سيصبح بعد عدة أيام مملاً أيضًا ، تقصدين ذلك ؟ طيب عليك إذن أن تمتلكى مزيداً من الأشياء لدميتك . " ومرة أخرى انحنى إلى حقيبة السيارة وألقى بأشياء ناحية مومو" ، هنا مثلاً ، حقيبة صغيرة من جلد الثعبان وبها أصبع شفايف صغير أصلى وعلبة بودرة صغيرة ، هنا آلة تصوير صغيرة ، هنا مضارب للتنس ، وهنا تليفزيون للعرائس يعمل بصحيح ، هنا أسورة وعقد وأقراط ، ومسدس عرائس - وجوارب حريرية ، وقبعة من الريش وقبعة من القش وقبعة صغيرة للربيع ، ومضارب صغيرة للجولف ودفتر شيكات صغير ، زجاجة برفان صغيرة ، مسحوق لبانيو الحمام ، إسبراى معطر للجسم ... "

وصمت برهة ونظر إلى مومو متفحصًا وقد جلست فاقدة الحركة على الأرض بين كل هذه الأشياء ، واستطرد السيد الرمادى قائلاً : " إنك ترين أنه أمر سهل ، لابد فقط أن يكون لدى المرء المزيد والمزيد على الدوام ، حينئذ لا يصاب بالملل أبدًا لكن ربما تفكرين أن بيبى جيرل سيكون عندها فى يوم من الأيام كل شىء وأنه عندئذ سيصبح الأمر

مملاً مرة أخرى ، لا ، ياصغيرتى ! فها هنا لدينا رفيق مناسب لبيبى جيرل" ، وعندئذ أخرج من حقيبة السيارة دمية أخرى وكانت فى نفس حجم بيبى جيرل وكاملة أيضًا مثلها ، فقط كانت لرجل شاب وأجلسه السيد الرمادى إلى جوار البيبى جيرل الكاملة ، وأبان قائلاً : " هذا بوبى بوى ! وتوجد أيضًا له كمية لا نهائية من القطع التكميلية ، وعندما يصبح كل هذا مملاً ، فتوجد صديقة للبيبى جيرل ولها جهاز كامل خاص بها يناسبها هى فقط ولبوبى بوى صديق مناسب له ، وله بدوره أصدقاء وصديقات ، أنت ترين ليس هناك ما يدعو لوجود الملل مرة أخرى لأن الأمر يمكن استكماله إلى مالا نهاية ولا يزال أمامك شىء يمكنك أن تتمنيه لنفسك ."

وقال الرجل فى آخر الأمر وهو ينفث سحابات كثيفة من الدخان :" والآن ؟ هل أدركت الآن كيف يجب اللعب بمثل هذه الدمية ؟ "

فأجابت مومو : " فعلاً ، فهمت " ، وبدأت الآن ترتعش من البرد .

وهز الرجل الرمادى رأسه فى سرور وشد نفسًا من سجاره وقال : " الآن أنت بالطبع تحبين أن تحتفظى بكل هذه الأشياء الجميلة ، أليس كذلك ؟ إذن حسن ، يا صغيرتى إننى أهديها إليك ، أنت ستحصلين على كل هذا – ليس فورًا ، ولكن واحدة تلو الأخرى طبعًا ! – وفوق ذلك الكثير ، أكثر بكثير ، ولست فى حاجة أن تفعلى شيئًا من أجل ذلك ، عليك فقط أن تلعبى بها كما شرحت لك ، ما رأيك فى هذا ؟ "

وابتسم السيد الرمادى فى وجه مومو باشتياق ، ولكن لأنها لم تقل شيئًا ، بل بادلته فقط النظر بجدية ، فقد أضاف بسرعة قائلاً : " إنك لن تحتاجى بعد ذلك إلى أصدقائك مطلقًا ، أتفهمين ؟ فعندك حينئذ ما

يشغلك بما فيه الكفاية عندما تمتلكين كل هذه الأشياء الجميلة وعندما تحصلين على المزيد دائمًا ،أليس كذلك ؟ أنت ترغبين فى ذلك ، أكيد ؟ أنت تريدين هذه الدمية الرائعة ؟ أنت تريدينها حتمًا ، أليس كذلك ؟"

وأحست مومو إحساسًا غامضًا بأن صراعًا ينتظرها ، بل إنها فى وسط هذا الصراع ، ولكنها لم تكن تعرف عما يدور حوله هذا الصراع وضد من ؛ لأنه كلما استمعت للزائر وقتًا أطول كلما إزداد إحساسها به مثلما كان إحساسها مع الدمية: فقد كانت تسمع صوتًا يتحدث ، سمعت كلامًا، ولكنها لم تسمع الشخص الذى يتكلم ، وهزت رأسها ،

فقال السيد الرمادى وهو يرفع حاجبيه عاليًا :- " ماذا إذن ، ألا زلت غير راضية ؟ إنكم يا أطفال اليوم لكم رغبات حقًا كثيرة ، أتحبين أن تقولى لى ماذا ينقص هذه الدمية الكاملة من أشياء ؟ "

ونظرت مومو إلى الأرض وهى تفكر ،

وقالت بصوت خافت : "أعتقد أن المرء لا يستطيع أن يحبها "

ولم يرد السيد الرمادى بشىء لفترة كاملة من الزمن ، وحملق أمامه بعيون زائغة كالدمى ،

ثم غالب نفسه فى النهاية وقال ببرود : " الأمر لا يتعلق بهذا على الإطلاق ".

ونظرت مومو فى عينيه ، وكان الرجل يبعث فيها الخوف وخاصة بواسطة البرودة التى كانت تنبعث من نظراته ، ولكن الغريب أنها شعرت بالأسى عليه أيضًا بشكل ما دون أن تستطيع القول لماذا .

وقالت : " لكن أصدقائى ، فأنا أحبهم . "

ولوى الرجل الرمادى وجهه كما لو فاجأته آلام الأسنان ، ولكن سرعان ما استعاد السيطرة على نفسه وابتسم ابتسامة خفيفة كخفة الموس ورد فى نعومة قائلاً : " أعتقد أنه لا بد لنا أن نتحدث سويًا حديثًا جادًا يا صغيرتى كى تتعلمى بأى شىء ترتبط الأمور ، "وسحب مفكرة صغيرة من جيبه وقلب صفحاتها إلى أن عثر على ما يبحث عنه ،" إن اسمك مومو ، أليس كذلك ؟ "وهزت مومو رأسها ، وأطبق السيد الرمادى المفكرة الصغيرة ، وأدخلها فى جيبه مرة ثانية وجلس وهو يتنهد قيلاً إلى جوار مومو على الأرض ولم يقل شيئًا لبرهة من الزمن ، ولكنه نفث دخانًا فقط من سيجاره الرمادى الصغير وهو يفكر ، وأخيرًا بادر بقوله : " إذن يا مومو - اسمعى لى جيدًا الآن ، " لكن هذا ما كانت مومو بالفعل تحاول أن تفعله طوال الوقت ، ولكن كان الاستماع له أصعب من كل الآخرين الذين استمعت إليهم حتى ذلك الوقت ، فقد كانت تستطيع أن تتسلل إلى داخل الشخص الآخر وتفهم ما يقصده ، وكيف هو فى حقيقته ، ولكنها ببساطة لم تنجح مع هذا الزائر ، وكلما حاولت ، كلما أحست بأنها تهوى فى الظلام والفراغ ، كما لو لم يكن أحدً موجودًا ، وهذا ما لم تصادفه أبدًا من قبل ،واستطرد الرجل قائلاً : " إن الشىء الوحيد الذى ترتبط به الحياة هو أن المرء يصل بها إلى شىء ما ، أن يصبح المرء شيئًا ما ، وأن يمتلك الإنسان شيئًا ما، ومن يستطيع أن يصل بها إلى أبعد من ذلك أى من يصبح أكبر فى شىء ما ومن يمتلك أكثر من الآخرين ، فذلك هو الذى ينهال عليه كل شىء تلقائيًا تمامًا : الصداقة ، الحب ، الشرف ، وغيره .. أنت من رأيك أنك تحبين أصدقاءك ؛ فلنبحث ذلك بحثًا موضوعيًا تمامًا ، "ونفث الرجل الرمادى

دخانًا فى الهواء على شكل عدة أصفار ، وأدخلت مومو قدميها الحافيتين أسفل جونلتها وانكمشت على قدر استطاعتها فى سترتها الضخمة ، بدأ الرجل الرمادى كلامه مرة أخرى قائلاً: " هناك أولاً سؤال يطرح نفسه ، ماذا يعود على أصدقائك حقًا من أنك موجودة؟ هل هذا يفيدهم فى شىء ؟ كلا ، هل هذا يساعدهم على التقدم على كسب المزيد ، على أن يفعلوا شيئًا من حياتهم ؟ بالتأكيد لا ،هل أنت تؤيدينهم فى مسعاهم إلى توفير الوقت ؟ على العكس ، إنك تمنعينهم من ذلك ، إنك حجر عثرة فى طريقهم ، إنك تدمرين تقدمهم ! ربما لم تدركى ذلك حتى ذلك الوقت يا مومو ، وعلى كل حال فأنت تضرين أصدقاءك بوجودك ، نعم ، أنت فى الحقيقة ، دون قصد ، عدوتهم ! وهذا ما تسمينه حب شخص ما ؟ "ولم تدر مومو بم تجيب ، فهى لم تنظر إلى الأمور من قبل على هذا النحو أبداً ، وللحظة من الزمن لم تكن متأكدة إذا كان السيد الرمادى ربما ليس على حق ،

واستطرد السيد الرمادى قائلاً : " ولذلك نريد أن نحمى أصدقاءك منك ، إذا ما كنت تحبينهم حقًا فساعدينا على ذلك ، نحن نريدهم أن يصلوا بحياتهم إلى شىء ما ، نحن أصدقاؤهم الحقيقيون ، إننا لا نستطيع أن ننظر صامتين وأنت تمنعينهم من كل ماهو مهم ، نحن نريد أن نعمل على أن تتركينهم فى سلام ، ولذلك نحن نهديك كل هذه الأشياء الجميلة . "

فسألت مومو وشفاهها ترتعش : " ومن هم " نحن " .

فأجاب السيد الرمادى : " نحن من بنك توفير الزمن ، إننى الوكيل رقم ج ٥٥٣ ب ل و" أنا شخصيًا لا أقصد إلا خيرك ، لأن بنك توفير الوقت لا يقبل المزاح معه ، "

وفى هذه اللحظة تذكرت مومو فجأة ما قاله بيبو وجيجى عن توفير الوقت وعدواه وخطر على بالها الفكرة المفزعة من أن السيد الرمادى له علاقة بذلك ، وتمنت باشتياق أن يكون صديقاها هنا الآن ، فهى لم تشعر أبداً من قبل بأنها وحيدة هكذا ، ولكنها قررت رغم ذلك ألا تترك الخوف يتملكها ، واستجمعت كل شجاعتها وألقت بنفسها كاملة فى الظلام والفراغ الذى يختفى وراءه السيد الرمادى عنها ، وكان هذا يراقب مومو من زوايا عينيه ؛ فلم يفته ملاحظة التغيير الذى طرأ على وجهها، وابتسم متهكماً وهو يشعل سيجاراً جديداً من عقب سيجاره الرمادى الصغير ، وقال : " لا تتعبى نفسك ، إنك لن تستطيعى أن تضاريعنا ، "

ولم تستسلم مومو .

وتساءلت هامسة : " ألا يحبك أحد ؟ "

وتلوى السيد الرمادى ، وفجأة انكمش داخل نفسه قليلاً ، ثم أجاب بصوت يشبه الرماد قائلاً : "لابد أن أقول أنه لم يصادفنى شخص مثلك من قبل أبداً ، فى الحقيقة لم يصادفنى وأنا أعرف أناساً كثيرين ، ولووجد من نوعك المزيد لاستطعنا أن نغلق بنك التوفير فى وقت قريب ، ونحن نتلاشىء إلى لا شىء - لأننا من أين لنا أن نبقى فى الوجود ؟ "

وقاطع الوكيل نفسه وحملق فى مومو ، وبدا لو كان يناضل ضد شىء لا يستطيع إدراكه ولا التخلص منه وازداد اللون الرمادى لوجهه قليلاً ، وعندما بدأ الكلام مرة أخرى ، حدث ذلك كما لو كان ضد رغبته ، كما لو كانت الكلمات تخرج من نفسها فى فمه ، وأنه لا يستطيع إيقافها ،

بينما التوى وجهه أكثر وأكثر من فزعه لما يحدث له، وعندئذ سمعت مومو أخيراً صوته الحقيقى ، وسمعته كما لو كان يأتى من بعيد وهو يقول : " يجب علينا أن نظل غير معروفين ، لا أحد يصح أن يعرف أننا موجودين وما نحن بفاعليه ... ونحن نعمل على ألا يستطيع أى إنسان أن يحتفظ بنا فى ذاكرته .. فقط طالما نحن غير معروفين ، نستطيع أن نباشر عملنا ... إنه لعمل مضنٍ أن نسحب من الناس زمن عمرهم ساعة بساعة ودقيقة بدقيقة وثانيةً بثانية ... لأن كل الزمن الذى يقتصدونه إنما هو زمن ضائع منهم .. إننا نشده إلينا ... ونختزنه ... ونحتاجه ... فنحن متعطشون له ... إنكم لا تعلمون كنه زمنكم ... ولكننا نحن نعرف وسوف نمتصكم حتى العظام ... ونحن نحتاج إلى المزيد .. والمزيد .. لأننا أيضاً سنزداد ونزداد على الدوام ..." .

وهذه الكلمات الأخيرة أخرجها السيد الرمادى فيما يقرب من الحشرجة ، ولكن عندئذ أغلق فمه بنفسه بكلتا يديه ، وجحظت عيناه ، وحملق فى مومو ، وبعد برهة من الزمن بدا أنه كما لو عاد إلى رشده بعد نوع من الإغماء .. ودمدم قائلاً : " ماذا ، ما كان هذا ؟ لقد استدرجتنى ! أنا مريض ! لقد أصبتنى بالمرض ، أنت ! ثم قال بصوت يقرب إلى التضرع والتوسل : "لقد تفوهت بكلام كله فارغ ، يا طفلتى العزيزة : انسيه يجب أن تنسينى ، كما نسينا جميع الناس الآخرين ! يجب عليك ! يجب عليك ! " .

وأمسك بمومو وهزها ، وحركت هى شفتيها ، ولكنها لم تستطيع أن تقول شيئًا ،

فقفز السيد الرمادى واقفًا ونظر حوله كما لو كان أحد يطارده ، والتقط حقيبته الرمادية كالرصاص وجرى إلى سيارته ، وعندئذ حدث

شىء غاية فى الغرابة : فقد حدث بما يشبه الانفجار المعكوس أن طارت جميع الدمى وكل الأشياء الأخرى المتناثرة من جميع الجهات إلى داخل حقيبة السيارة التى انغلقت بفرقعة مسموعة ، وانطلقت السيارة بسرعة تطايرت معها الحجارة ، وظلت مومو جالسة مكانها لفترة طويلة وحاولت أن تستوعب ما سمعته ، وتلاشت البرودة الفظيعة شيئًا فشيئًا من أعضائها، وبنفس القدر اتضح لها كل شىء أكثر وأكثر على الدوام ولم تنس شيئًا ؛ لأنها سمعت الصوت الحقيقى لأحد الرجال الرماديين وتصاعد أمامها فى الحشائش الجافة عامود صغير من الدخان وانبعث الدخان هناك من العقب المدهوس للسيجار الرمادى وتحول إلى رماد .

الفصل الثامن

كمٌّ من الأحلام وقليل من التبصر

في وقت متأخر من عصر ذلك اليوم أتى جيجي وبيبو ، ووجدا مومو جالسة في ظل السور وهي لا تزال شاحبة الوجه ومذهولة قليلاً ، وجلسا إلى جوارها واستعلما وهم في انشغال عليها عما حدث لها ، وبدأت مومو تحكي متلعثمة ما شاهدته ، وأخيراً كررت الحديث الكامل مع السيد الرمادي كلمة كلمة ،وأثناء سردها كان بيبو العجوز يتطلع إلى مومو بجدية ومتفحصاً ، وتعمقت التجاعيد على جبهته ، وحتى بعد أن انتهت مومو ظل صامتًا ،بينما استمع جيجي بإنفعال متزايد ، وأخذت عيناه تلمعان كما في أغلب الأحيان عندما ينفعل وهو يقص حكاياته ، وقال وهو يضع يده على كتفها : " والآن يا مومو لقد حانت ساعتنا العظيمة ! لقد اكتشفت مالم يعرفه أحد حتى الآن ! والآن لن ننقذ فقط أصدقاءنا القدامى لا ، بل سوف ننقذ المدينة كلها ! نحن الثلاثة ، أنا و بيبو وأنت يا مومو ! "

وهب واقفًا وقد مد كلتا يديه ، وفي خياله رأى أمامه كمية هائلة من البشر التي تهتف له ، وهو المحرر ، وقالت مومو وهي مذهوله قليلاً : " حسن ، لكن كيف ستفعل ذلك ؟ "

وسأل جيجى فى اضطراب : " ماذا تقصدين ؟ "

فأبانت مومو قائلة : " أقصد كيف لنا أن نفعل ذلك ؟ ونهزم السادة الرماديين ؟ "

فقال جيجى : " يعنى ، أنا أيضًا لا زلت لا أعرف فى هذه اللحظة بالضبط طبعًا لا بد لنا أن نفكر فى ذلك أولاً ، ولكن هناك أمر واضح وهو : بعد أن علمنا الآن بوجودهم وبما يفعلون ، يجب علينا أن نبادر بمحاربتهم - أم أنك خائفة ؟ "

وهزت مومو رأسها فى حرج : " أعتقد أنهم ليسوا رجالاً عاديين ، والرجل الذى كان عندى مظهره كان بشكل ما مختلف ، والبرودة كانت فظيعة تمامًا ، وإذا كان منهم الكثير فمن المؤكد أنهم يكونوا فى غاية الخطورة ، وأنا فعلاً خائفة ، "

فقال جيجى بحماس : " يا سلام : الموضوع غاية فى البساطة : إن هؤلاء الرجال الرماديين يستطيعون القيام بعملهم المريب فقط عندما يكونوا غير معروفين لقد أفشى ذلك الشخص الذى زارك بنفسه ، إذن ! ليس لنا إلا أن نعمل على كشفهم ، لأن من تعرف عليهم مرة سوف يتذكرهم ، ومن يتذكرهم سوف يعرفهم على الفور إذن هم لا يستطيعون النيل منا على الإطلاق ، فنحن لا يطاولنا أحد ! "فتساءلت مومو بقليل من التشكك : " أتعتقد ذلك ؟ "

فاستطرد جيجى قائلاً وفى عينية بريق :- " طبعًا ! وإلا لم يكن زائرك قد أسرع بالفرار منك إنهم يرتعدون خوفًا منا ! "فقالت مومو : " ولكن من الجائز أننا لن نعثر عليهم على الإطلاق ، وربما يختبئون منا ،

"فقال جيجي معترفًا : " هذا جائز جداً : حينئذ يجب علينا أن نخرجهم من مخبئهم ، "وقالت مومو : " وكيف ؟ إنهم على ما أظن خبثاء جداً "

فصاح جيجي ضاحكًا : " ليس هناك أسهل من ذلك ، نمسك بهم بنفس جشعهم ، استخدم المغريات تصل للغايات (*) إذن نمسك بلصوص الزمن بالزمن ، فنحن لدينا الكثير منه فعليك مثلاً أن تجلسي كالطعم وتغريهم ، وعندما يجيئون ، أخرج أنا وبيبو من مخبئنا فجأة ونسيطر عليهم ،فقالت مومو معترضة : " ولكنهم الآن يعرفونني ، ولا أظن أنهم سيقعون في الفخ "

فقال جيجي وقد بدأت الخواطر تنهال عليه : " طيب ، عندئذ سوف نفعل شيئًا آخر ، إن السيد الرمادي تحدث عن بنك توفير الوقت ، وهذا لابد أن يكون مبنى وهو موجود في مكان ما من المدينة ، وما علينا إلا العثور عليه ، وسوف نعثر عليه حتماً ، لأنني متأكد من أنه سيكون مبنى غريبًا جداً : رمادي اللون ، مريب ، بلا نوافذ خزينة عملاقة من الخرسانة ، أنا أراه أمامي ، وعندما نعثر عليه فإننا ندخل فيه ، وكل واحد يحمل في يديه مسدسًا ، وأنا أقول ، هاتوا الزمن المسروق على الفور ، "فقاطعته مومو وهي مهمومة قائلة " ليست عندنا أية مسدسات ، "فرد جيجي بعظمة : " إذن نفعل ذلك بدون مسدسات ، وهذا سوف يفزعهم أكثر ، فمجرد ظهوري سوف يكفي لإدخال الرعب في نفوسهم ، "فقالت مومو : " ربما من الأفضل لو كنا أكثر بقليل عنا نحن الثلاثة فقط أقصد أننا حينئذ سنعثر على بنك توفير الوقت ربما بشكل أفضل إذا

* في الأصل **Mit Speck fångt man Måuse** أي الإمساك بالفئران يكون (باغرائهم) بالدهن.

اشترك آخرون فى البحث ، "فرد جيجى : " هذه فكرة جيدة جداً ، لابد لنا أن نعبئ جميع أصدقائنا القدامى ، والأطفال الكثيرين الذين يأتون الآن على الدوام ، واقترح أن نذهب نحن الثلاثة جميعًا على الفور وكل واحد منا يخبر كثيرين ممن يستطيع العثور عليه ، وهؤلاء عليهم أن يواصلوا الكلام بدورهم إلى الآخرين ، ونتقابل جميعًا غداً بعد الظهر فى الساعة الثالثة لإجراء المشورة الكبرى ، "

وانصرفوا على الفور ، مومو فى إتجاه وبيبو وجيجى فى إتجاه آخر

وعندما مشى الرجلان فترة من الزمن ، توقف فجأة بيبو الذى ظل صامتًا حتى ذلك الوقت ،

وقال " اسمع يا جيجى ، إننى قلق ."

ونظر بيبو إلى صديقة برهة ثم قال : " إننى أصدق مومو . "

فسأل جيجى الذى لم يفهم ماذا يريده بيبو : " طيب ، وماذا بعد ذلك ؟ "

فأوضح بيبو قائلاً : " أتعرف ، إذا كان ما قالته مومو حقيقيا ، فلا بد لنا أن نفكر جيداً فيما نفعله ، فإذا كان الأمر يتعلق حقًا بعصابة سرية من المجرمين ، - فلا يتشاجر المرء مع شخص مثل هذا ببساطة ، أتفهم ؟ وإذا ما تحديناهم على هذا النحو فإن هذا يمكن أن يؤدى بمومو إلى وضع سئ ، وأنا لا أريد أن أتحدث عنا نحن مطلقًا ، لكن إذا ما حررنا الأطفال الآخرين معنا الآن أيضًا ، فإننا ربما نعرضهم للخطر ، يجب علينا فعلاً أن نفكر فيما نفعله ".

فصاح جيجى وهو يضحك :" لا يارجل ! يالها من أمور تشغل بها بالك دائمًا ! كلما زاد عدد المشاركين ، كلما كان هذا أفضل ، "

فرد بيبو بجدية : " يبدو لى ، أنك لا تعتقد أبدًا أن ما قالته مومو حقيقى ".

فأجاب جيجى : " ما معنى حقيقى ! أنت إنسان بلا خيال ، يا بيبو ، إن الدنيا كلها حكاية كبيرة ونحن نشارك بالتمثيل فيها ، ولكنى يا بيبو ، أنا أصدق كل ما حكتة مومو مثلك تمامًا !" .ولكن إنشغاله لم يقل بأى حال بسبب رد جيجى ، ثم افترقا ، وكل واحد مشى فى اتجاه آخر كى يخبر الأصدقاء والأطفال بإجتماع الغد ، جيجى بقلب خفيف مرح ، وبيبو بقلب مثقل مهموم

وفى هذه الليله حلم جيجى بالمجد القادم كمحرر للمدينة ، ورأى نفسه مرتديًا بدله الفراك الرسمية (*) وبيبو فى سترة الخروج ومومو فى رداء من الحرير الأبيض ثم وضعت حول رقابهم هم الثلاثة قلادات ذهبية وعلى رئوسهم أكاليل الغار ، وصدحت موسيقى رائعة وأقامت المدينة على شرف منقذيها موكبًا من الشعل لم يقم مثله أناس من قبل أبدًا فى الطول والبهاء وفى نفس الوقت رقد بيبو العجوز على فراشه ولم يستطع النوم ، وكلما أطال من تفكيره كلما ازدادت خطورة الأمر له وضوحًا وبالطبع فهو لن يترك جيجى ومومو يذهبان إلى الهلاك وحدهما فقط ،

* بدله سوداء سترتها قصيرة من الأمام ولها ذيل خلفى طويل مشقوق ، ترتدى فى الحفلات الهامه والرسمية

هو أيضًا سوف يذهب معهما ، مهما كانت النتائج ، ولكن كان عليه على الأقل أن يحاول إيقافهما ، وبعد ظهر اليوم التالى والساعة الثالثة رددت أطلال المسرح الدائرى الصياح المضطرب وثرثرة الأصوات الكثيرة ، صحيح أن الكبار من الأصدقاء القدامى لم يحضروا (باستثناء بيبو وجيجى طبعًا) ، ولكن أتى حوالى من خمسين إلى ستين طفل من قريب ومن بعيد ، بين فقير وغنى وبين حسن التربية وشقى ، كبار الحجم وصغار الحجم ، وبعضهم أحضر معه أخوته الصغار مثل الفتاة ماريا ، والتى أمسكوها بيدها أو حملوها على أذرعتهم ، هؤلاء الصغار كانوا يراقبون الاجتماع غير العادى بعيون مندهشة وأصابعهم فى أفواههم ، فرانكو وباولو وماسيمو كانوا بالطبع حاضرين أيضًا وبقية الأطفال كانوا ينتمون كلهم تقريبًا إلى هؤلاء الذين أتوا مؤخرًا إلى المسرح الدائرى ، وكان اهتمامهم بالطبع بشكل خاص بالأمر الذى سوف يجرى هناك ، وبالمناسبة ظهر كذلك الصبى الصغير ذو الراديو النقال - طبعًا بدون الراديو ، وجلس إلى جانب مومو الذى كان أول ما قاله لها فى ذلك اليوم أنه يدعى كلاوديو وأنه سعيد للسماح له بالمشاركة فى الأمر ، وعندما اتضح أخيرًا أنه لن يأتى مزيد من الأشخاص المتأخرين ، هب جيجى المرشد السياحى واقفًا وأمر بحركة عظيمة بالسكوت ، وسكتت الأحاديث والثرثرة وعم صمت متوتر فى الدائرة الحجرية للأطلال ، وبدأ جيجى كلامه بصوت عال قائلاً " أصدقائى الأعزاء ، أنتم جميعًا تعرفون تقريبًا ما هو الأمر ، لقد أُخبرتم بذلك عند دعوتكم لحضور هذا الاجتماع السرى ، لقد حدث حتى اليوم أن زاد باستمرار عدد الناس الذين قل وقتهم رغم توفير واقتصاد الوقت باستمرار وبكل الوسائل ، لكنكم ترون أن هذا الوقت بعينه الذى تم توفيره واقتصاده هو الذى

ضـاع على الناس ، ولماذا ؟ لقـد اكتـشـفت مـومـو ذلك ! إن هـذا الوقت تسرقه فعليًا عصابة من لصوص الزمن ! وإيقاف هذه المنظمة الإجرامية البـاردة برودة الثلج عن عملها الضـار ، فـهذا هـو مـا نـحتـاج فـيـه إلى مساعدتكم ، فإذا كنتم جميعًا مستعدون للمشاركة فسوف توضع النهاية لهـذا العـمل الرهيب كله الذى حل بالناس بضـربة واحـدة فـهل ترون أن هذا جدير بالنضال من أجله ؟ "

وصمت قليلاً ، وصفق له الأطفال إعجاباً ،واستطرد جيجى قائلاً : " وسـوف نتشـاور بعـد ذلك فـيـمـا سنفـعـلـه ، ولكن الآن سـتـحكى لكم مومواولاً كيف قابلت واحداً من هؤلاء الأشخاص وكيف كشف نفسه ،" وقال بيبو العجوز وهو يقف : " لحظة ، اسمعوا يا أطفال ! إننى ضد أن تتـحدث مـومـو هذا لايصح فـانها إن تحدثت ، فـإنها تعـرض نفسـهـا وتعرضكم جميعًا لخطر عظيم ...."

وصـاح بعض الأطفال قائلين : " كلا ، على مومو أن تحكى !"

وراح آخـرون يتحدثون ، وفى آخر الآمر صاح الجميع فى آن واحد : " مومو ! مومو ! مومو!"

وجلس بيبو العجوز وخلع نظارته ومسح عينيه بأصابعه من التعب ، ووقـفت مـومـو مـضطربـة ، ولم تكن تدرى بـحق أى رغبـة من الرغـبـات تحققهـا ، رغبـة بيبـو أم رغبـة الأطفال ، و أخـيراً بدأت تحكى واستمع الأطفال فى تشوق ، وعندما انتهت من حديثها تبع ذلك صمت طويل ، و أثناء سـرد مـومـو أصـاب الجـمـيع شىء من الخـوف ، فـهـم لم يتصـوروا لصوص الزمن هؤلاء مرعبين بهذا القدر ، وبدأت أخت صغيرة فى البكاء بصوت عـال و لكنها هدأت بعد ذلك بقليل مـرة أخرى ، وتسـاءل جيجـى

وسط السكون : " و الآن من منكم لدية الجرأة بمبادرة القتال معنا ضد هؤلاء السادة الرماديين ؟ "

وسأل فرانكو : " لماذا لم يرد بيبو أن تحكى لنا مومو ما شاهدته ؟ "

فأبان جيجى وابتسم باعثًا للمرح : " إنه يقصد أن السادة الرماديين سوف يعتبرون كل من يعرف سرهم على أنه خطر عليهم ، ويطاردوه من أجل ذلك ، ولكننى متأكد من العكس تمامًا بأن كل من يعرف سرهم يكون محصنًا ضدهم و أنهم لن يستطيعوا بعد ذلك فعل شىء له ، هذا أمر واضح ! اعترف بذلك يا بيبو ! "

و لكن هذا هز رأسه ببطء فقط ، وسكت الأطفال ،

وبدأ جيجى الكلام مرة أخرى قائلاً : " هناك أمر واحد مؤكد على كل حال ، علينا الآن أن نعضد بعضنا الآخر فى السراء و الضراء ! علينا أن نأخذ الحذر ، ولكن لا نسمح لأحد أن يخيفنا ولذلك فإننى أسألكم مرة أخرى ، من منكم يريد المشاركة ؟ "

فصاح كلاوديو وقد نهض واقفًا " أنا ! " وكان وجهه شاحبًا قليلاً ،

وقد حذا حذوه آخرون فى تردد فى البداية و لكن إزدادوا عزمًا على الدوام ، إلى أن أعلن جميع الحاضرين أخيرًا عن أنفسهم ،فقال جيجى وهو يشير إلى الأطفال : " و الأن يا بيبو ، ما قولك فى هذا !؟ "

فرد بيبو وهز رأسه فى حزن : " حسن أنا أيضا سأشارككم بالطبع ، "

والتفت جيجى إلى الأطفال مرة أخرى وقال : " إذن فلنتشاور الآن فيما ينبغى أن نفعله ، من لديه أى اقتراح؟ "

وتفكر الجميع ، و أخيراً سأل باولو الصبى ذو النظارة : " ولكن كيف يستطيعون فعل ذلك ؟

أقصد كيف يمكن سرقة الزمن فعلاً ؟ كيف يسير هذا ؟"

فصاح كلاوديو : " نعم ، وما هو الزمن ؟ "

ولم يعرف أحد إجابة على ذلك ، و على الجانب الآخر من الدائرة الحجرية نهضت الآن الفتاة ماريا وهى تحمل أختها الصغيرة ديدى على ذراعها وقالت " ربما هو شىء ما يشبه الذرات ؟ إنهم يستطيعون أيضاً كتابة الأفكار التى يفكر فيها الشخص برأسه ، بالآله الكاتبة ، لقد رأيت ذلك بنفسى فى التلفيزيون فاليوم يوجد أخصائيون لكل شىء ".

وصاح ماسيمو السمين بصوت كصوت البنات قائلاً : " عندى فكرة ، عندما تلتقط صور الأفلام فإن كل شىء يكون فى الفيلم ، وعند تسجيل الأصوات فإن كل شىء يكون على الشريط ، وربما عندهم جهاز يستطيعون به تسجيل الزمن ، لو عرفنا أين وعلى أى شىء لاستطعنا إعادة لفه مرة أخرى ، ولرجع الزمن إلى هنا ".

وقال باولو وهو يرفع النظارة من على أنفه : " على كل حال يجب علينا أن نعثر على عالم يساعدنا ، و إلا لن نستطيع أن نفعل شيئًا على الإطلاق ".

وصاح فرانكو : " عليك أنت وعلمائك ! " هؤلاء بالذات لا يمكن الثقة فيهم ! افترض إننا عثرنا على واحد منهم يعرف – من أين لك أن تعرف أنه لا يتعاون مع لصوص الزمن ؟

ساعتها نقع فى المحظور ! "

ولقد كان هذا اعتراضاً له ما يبرره .

و الآن نهضت فتاة يبدو أنها حسنة التربية وقالت ! أنا أرى أنه من الأفضل أن نبلغ الشرطة بالأمر كله . "

فقال فرانكو محتجاً : " أيصل الأمر إلى هذا الحد إلى الشرطة ، ماذا بإمكانها أن تفعل ! إنهم ليسو لصوصاً عاديين ! إما أن تكون الشرطة تعرف منذ وقت طويل ، فهى فى هذه الحالة لا حول لها ولا قوة على ما يبدو ، أو أنها لم تلاحظ شيئًا حتى الآن من كل هذه القذارة - فيكون الأمر لا رجاء فيه على كل حال ، هذا رأيى ، "وتلى ذلك صمت من الحيرة .

و أخيرا قال باولو : " ولكن علينا أن نفعل أى شىء ، و بأسرع وقت ممكن قبل أن يلاحظ لصوص الزمن شيئًا عن تدبيرنا . "

حينئذ نهض جيجى المرشد السياحى .

وبدأ كلامه قائلاً : " أصدقائى الأعزاء ، لقد فكرت بعمق فى الموضوع كله ، ووضعت مئات من الخطط ثم لغيتها ، إلى أن عثرت أخيراً على خطة سوف تؤدى بالتأكيد إلى الهدف ، إذا اشتركتم كلكم فيها !

وكنت أريد أن أسمع أولاً إذا كان واحد منكم ربما لديه خطة أفضل ، إذن أريد أن أقول لكم الآن ما سوف نفعله . "

وصمت برهة من الزمن ونظر ببطء حوله فى المكان المستدير كله ، واتجه إليه أكثر من خمسين وجه طفل ولم يكن لديه من قبل مثل هذا العدد الكبير من المستمعين منذ وقت طويل .

واستطرد قائلاً : " إن قوة هؤلاء السادة الماديين تكمن فى أنهم – كما تعرفون – يستطيعون العمل فى السر وهم غير معروفين،إذن فإن أبسط الوسائل و أكثرها فاعلية لكى نمنع ضررهم ، هى أن جميع الناس تعرف الحقيقة عنهم ، وكيف سنفعل ذلك ؟ سوف ننظم مظاهرة أطفال كبرى ! سوف نرسم ونكتب لافتات وملصقات ونجوب بها جميع الشوارع وسوف نلفت نظر الرأى العام إلينا ، وسوف ندعو المدينة كلها للحضور إلينا هنا فى المسرح المستدير لكى نرشدهم ، وسوف يحدث إضطراب هائل بين الناس ! وسوف تندفع إلينا آلاف مؤلفة ! وعندما تجتمع هنا جمهرة من الناس لا يمكن إحصاؤها ، حينئذ نكشف السر الفظيع ! وعندئذ – عندئذ تتغير الدنيا دفعة واحدة ! و لن يستطيع أحد سرقة الزمن بعد ذلك ، وكل واحد سيكون لديه الكثير منه على قدر ما يريد ،لأنه ابتداء من ذلك الوقت سيكون هناك ما يكفى منه مرة أخرى ، وهذا يا أصدقائى ، ما نستطيع فعله مجتمعين إذا ما أردنا ذلك ، فهل نحن عازمون ؟ "وكان الرد صيحات من التهليل بأصوات عديدة .

وختم جيجى كلمته قائلاً " إذن لقد تأكد أننا أصدرنا بالإجماع قراراً بدعوة المدينة كلها بعد ظهر الأحد القادم للحضور إلى المسرح الدائرى القديم ، ولكن حتى ذلك الوقت يجب صيانة خطتنا فى طى الكتمان القصوى ، أتفهمون ؟ الآن ، أيها الأصدقاء إلى العمل ! "

وفى هذا اليوم و الأيام التالية ساد الأطلال حركة نشطة فى السر ولكنها متقدة ، و أحضرت أوراق و أوان مليئة بالطلاء و الفرش وغراء

و ألواح خشبية و ورق مقوى و عوارض خشبية وغير ذلك من جميع المستلزمات ، (ومن الأفضل ألا نسأل كيف ومن أين) و بينما كان البعض يصنعون اللافتات و الملصقات و اللوحات المعلقة ، أعمل الآخرون المتمكنون من الكتابة ، فكرهم فى إخراج نصوص مؤثرة كتبوها عليها ، وقد كانت نداءات تصرخ بما يلى على سبيل المثال :

توفير الزمن ؟ لكن لمين

لماذا

يوم الاحد
في الساعة

ليس عندكم وقت ؟
نحن الأطفال
سنقول لكم
تعالوا من فضلكم كلكم
للاجتماع الكبير
الأحد القادم فى المسرح القديم المستدير

إنتباه
هام جـــداً
الموضوع هو وقتكم
وأين هـــــو راح
هذا بســـر كبير
لكن صنقولكم عليه (*)

تعالو يـــوم
الاحد فـــى
المسرح الدائرى

. أطفالكم يصرخـون ،
. فيه نـــاس .
. لو قتكـم
. يســرقـــون .

* اخطـاء امـلائيـه تعـمدها المؤلف ليبين الأخطاء التى يمكن للأطفال ان يكتبوها ،
(المترجم)

وعلى كل هذه الأشياء كتب مكان وتاريخ الدعوة ، وعندما تم كل شىء أخيراً وقف الأطفال فى المسرح الدائرى وعلى رأسهم جيجى وبيبو ومومو وبعد ذلك ساروا بلوحاتهم ولافتاتهم فى المدينة فى طابور طويل ، وأثناء ذلك كانوا يحدثون جلبة وضوضاء بألواح من الصفيح وصفافير ، ويصيحون فى جماعات بصوت واحد ، وينشدون الأغنية التالية التى ألفها جيجى خصيصاً لهذه المناسبة :

أيها الناس اسمعوا ، دعونا نقل لكم
إلا خمسة دقت الساعة عندكم
هبوا انهضوا وكونوا ذوى فطن
فهناك من يسرق ما لديكم من زمن
أيها الناس اسمعوا ، دعونا نقول
لا تتركوا العذاب بعد اليوم يطول
تعالوا الأحد فى الثالثة من الساعة
اسمعونا وبعدها أحرار أنتم ياجماعة

وطبعاً كان للأغنية مزيد من المقاطع ، ثمانية وعشرون جميعها ، ولكن ليس هناك داع لذكرها كلها هنا، وتدخلت الشرطة عدة مرات وفرقت بين الأطفال عندما كانوا يعطلون المرور، ولكن الأطفال لم يفقدوا الهمة بأى حال لذلك ، فقد كانوا يتجمعون مرة أخرى فى أماكن مختلفة ويبدأون من جديد، خلاف ذلك لم يحدث لهم شىء ، ولم يستطيعوا رغم شدة انتباههم ان يكتشفوا أحداً من السادة الرماديين فى أى مكان

ولكن أطفال آخرون رأوا الموكب والذين لم يكن لديهم علم عن الموضوع كله ، إنضموا إليهم وساروا معهم إلى أن أصبحوا عدة مئات، وأخيراً ألف طفل ، وفى كل مكان من المدينة الكبيرة سار أطفال فى مواكب طويلة عبر الشوارع يدعون الكبار للاجتماع الهام الذى سوف يغير العالم .

الفصل التاسع

اجتماع جيد لا يتم ، واجتماع سئ يتم

ومرت الساعة الكبرى . مرت ولم يأت المدعووين ، وخصوصاً هؤلاء الكبار الذين كان يعنيهم الامر أكثر من غيرهم ، ولم يلاحظوا من مواكب الأطفال شيئًا يذكر .

وكان كل شيء الآن دون جدوى .

ومالت الشمس فى عمق الأفق وبدت ضخمة وحمراء اللون فى بحر من السحاب الأرجوانى ، ومست أشعتها الدرجات العليا فقط من المسرح الدائرى القديم الذى كان يجلس فيه مئات من الأطفال ينتظرون منذ ساعات ولم تعد تسمع أصوات متداخلة ولا ضجيج مرح ، وجلس الجميع فى سكون وحزن ، وسرعات ما استطالت الظلال وعما قريب سيعم الظلام ، وبدأ الأطفال يرتعدون لأن الجو أصبح بارداً . ودقت ساعة برج إحدى الكنائس من على البعد ثمان دقات ، والآن لم يعد هناك شك من أن الأمر قد فشل برمته ، وقف أوائل الأطفال وانصرفوا صامتين ، وانضم إليهم آخرون ، ولم يقل أحد كلمة واحدة ، فخيبة الأمل كانت كبيرة ، وأخيراً جاء باولو إلى مومو وقال : " لم تعد هناك جدوى من الإنتظار يا مومو ، فلن يحضر أحد بعد ذلك ، تصبحين على خير يا مومو " ، وانصرف .

ثم جاء فرانكو إليها وقال : " لا يمكن فعل شىء وليس هناك داعٍ من الآن أن نعمل حساب للكبار ، فلقد رأينا ذلك الآن ، لقد كنت دائمًا فاقد الثقة فيهم ، ولكنى الآن لا أريد أن تكون لى أية علاقة بهم على الإطلاق ، " ثم انصرف هو أيضًا وتبعه آخرون ، وأخيرا ، عندما عم الظلام فقد آخر الأطفال الأمل وانصرفوا ، وبقيت مومو مع بيبو وجيجى وحدهم وبعد برهة من الزمن نهض أيضًا الكناس العجوز ، وتساءلت مومو . " أتذهب أنت أيضًا ؟ "

فأجاب بيبو : " لا بد لى ، فعندى خدمة خاصة " .

" فى الليل ؟ "

نعم فقد وزعونا استثناء لرفع القمامة . فيجب علىّ الذهاب الآن "

لكن اليوم الأحد ! وخلاف ذلك فأنت لم تضطر لفعل ذلك من قبل أبدًا ! "

" لا ولكنهم وزعونا الآن على ذلك ، وقالوا أن هذا بشكل استثنائى وإلا فإنهم لن ينتهوا من العمل بسبب نقص فى الأفراد وغيره " .

فقال مومو : " ياخسارة كنت سأكون سعيدة إذا بقيت هنا اليوم "

فقال بيبو : " نعم إحساسى ليس حسنًا لإضرارى الإنصراف الآن "

" إذن إلى اللقاء غدًا " .

وقفز على دراجتة التى تحدث صريرًا فى سيرها واختفى فى الظلام .

وصفر جيجى بفمة بصوت خافت أغنية حزينة ، وكان يستطيع أن يصفر بفمة بشكل جميل جدًا واستمعت إليه مومو ، وفجأة توقف عن اللحن .

وقال. " يجب أن أنصرف أيضًا فاليوم الأحد ويجب على أن العب دور حارس الليل ! ألم أحكى لك أن هذه هى مهنتى الجديدة ؟ كدت أن أنسى ذلك " .

ونظرت إليه مومو بدهشة ولم تقل شيئًا .

فاستطرد جيجى قائلاً : " لا تحزنى لأن خطتنا لم تنجح كما فكرنا ، أنا أيضًا كان عندى تصور آخر ، ولكن رغم ذلك فقد سبب لنا السرور لقد كان شيئًا عظيماً " .

ونظراً لأن مومو أصرت على الصمت مسح على شعرها مواسيا وأضاف : " لا تنظرى للأمر هذه النظرة الحزينة ، ياممومو ، فغداً سيبدو كل شىء مختلف تمامًا ، فقط سنفكر فى شىء جديد فى قصة جديدة أليس كذلك ".

فقالت مومو بصوت خافت : " الأمر لم يكن قصة " .

ونهض جيجى وقال " أنا فاهم ، ولكننا سنكمل حديثنا غداً ، موافقة ؟ لابد لى من الإنصراف الآن ، فأنا على كل حال قد تأخرت ، وأنت ينبغى عليك أن تخلدى للنوم الآن ، " وانصرف وهو يصفر أغنيته الحزينة .

وهكذا بقيت مومو وحيدة تمامًا فى الساحة الدائرية الحجرية الكبيرة وكانت ليلة لا ترى فيها النجوم فقد اكتست السماء بالسحاب ، وهبت رياح غريبة ، فهى لم تكن شديدة ، ولكنها لم تهدأ ، وزادت برودة فريدة من نوعها فقد كانت رياح على نحو ما بلون الرماد .

وخارج المدينة الكبيرة ارتفعت على البعد تلال القمامة الهائلة .

وكانت جبلاً حقيقياً من الرماد ، وشظايا الزجاج وعلب الصفيح والمراتب القديمة وبقايا بلاستيك وعلب من الكرتون وجميع الأشياء الأخرى التى ترمى يوميًا بالمدينة الكبيرة ، والتى تنتظر إخراجها شيئًا فشيئًا إلى أفران الحرق العملاقة ، وحتى ساعة متأخرة من الليل قام بيبو العجوز بالاشتراك مع زملائة فى المعاونة على جرف القمامة من الشاحنات التى كانت تقف فى طابور طويل بمصابيحها المضيئة كى يتم تفريغها وكلما انتهوا من المزيد منها كلما زادت الشاحنات المنضمة للطابور مرة أخرى ، وكان يسمع دائمًا : " اسرعوا ، ياناس ، هيا ، هيا ، وإلا فإننا لن ننتهى أبداً " .

وكان بيبو يجرف ويجرف إلى أن التصق قميصة على جسدة وأخيرا انتهى الأمر فى منتصف الليل تقريبا ، ولأن بيبو كان متقدماً فى العمر ولم يكن بأى حال ذا بنيان بالغ القوة ، فقد جلس خائر القوى على حوض استحمام بلاستيك مقلوب وملى بالثقوب ، ويحاول أن يلتقط أنفاسه ، وصاح أحد زملائة قائلاً :"ياببيو ، نحن ذاهبون الآن إلى المنزل هل أنت قادم معنا؟" وقال بيبو وهو يضغط بيده على قلبه الذى كان يؤلمة : " لحظة واحدة " .

وسأل آخر : " هل تشعر بتعب أيها العجوز ؟ "

فأجاب بيبو : " على ما يرام ، اذهبوا أنتم ، وأنا سأستريح هنا فقط للحظة " .

وصاح الآخرون : " إذن ، تصبح على خير ! " وعم السكون ، الفئران فقط كانت تحدث حفيفًا هنا وهناك فى القمامة وصفيراً فى بعض الأحيان ، وراح بيبو فى النوم وقد اسند رأسه على ذراعيه ، ولم يعرف بيبو كم استغرق من الزمن نومه عندما أيقظته لفحة من الرياح

الباردة ، ورفع بصرة إلى أعلى وقد انتبه انتباهًا شديدًا دفعة واحدة ، فعلى جبل القمامة العملاق كان واقفًا سادة رما ديون يرتدون بدلاً أنيقة وقبعات مستديرة متصلبة ويضعون بين شفاههم سيجارات رمادية صغيرة ، وكانوا جميعًا صامتون ويركزون بصرهم على أعلى مكان من تل القمامة ، حيث وضع نوع من منصات القضاة جلس خلفها ثلاثة رجال لا يختلفون فى شىء عن الآخرين ، وللوهلة الأولى انتاب بيبو الخوف . فقد خشى أن يكتشفة أحد ، فهنا لم يكن مسموحًا له أن يتواجد فقد اتضح له ذلك دون أن يضطر للتفكير طويلاً ، ولكنة سرعان ما لاحظ أن السادة الرماديين ينظرون إلى أعلى إلى منصة القضاة كالمسحورين ربما لم يروه على الإطلاق ، أو ربما اعتبروه أى شىء مرمى ، وعلى كل حال قرر بيبو أن يحافظ على سكونه التام ، وتردد فى السكون صوت السيد الذى يجلس عاليًا وسط المنصة وهو يقول " الوكيل رقم ح ٥٥٣ ب ل و عليه أن يتقدم أمام المحكمة العليا ! وتكرر النداء بأسفل مرة أخرى ورن كصدى ثان للصوت مرة أخرى فى البعد ، ثم فُتح ممر فى جمهرة الحاضرين وصعد سيد رمادى تل القمامة ببطء ، والشىء الوحيد الذى كان يفرقه عن جميع الآخرين بوضوح أن اللون الرمادى لوجهة كان يقرب إلى البياض .

وقف أخيرًا أمام منصة القضاة .

وسأل الشخص الجالس فى الوسط قائلاً " : هل أنت الوكيل ح / ٥٥٣ ب ل و .

" – " نعم "

– " منذ متى وأنت تعمل لبنك توفير الزمن ؟ "

– " منذ نشأتى " .

– هذا بديهى وفر على نفسك مثل هذه الملاحظات التى لا لزوم لها ! متى نشأت ؟ "

– " منذ إحدى عشر عامًا ، وثلاثة أشهر وستة أيام ، وثمان ساعات وثلاث وثلاثين دقيقة وفى هذه اللحظة بالضبط – ثمان عشرة ثانية " .

وبرغم أن هذه المحادثة كانت تجرى بصوت خافت وفوق من على بعد كبير ، فقد استطاع بيبو العجوز أن يفهم كل كلمة بشكل غريب ، واستطرد السيد الذى فى الوسط فى استجوابه قائلاً : " أهو معروف لديك أن هناك عددًا لا يستهان به فى هذه المدينة قد حملوا اليوم وفى كل مكان لافتات ولوحات وفوق ذلك كانت لديهم خطة نكراء لدعوة المدينة كلها لديهم لتوضيح أمرنا لهم ؟ " فأجاب الوكيل : " معروف لدى . "

وأكمل القاضى أسئلته بلا هوادة : " كيف تفسر أن هؤلاء الأطفال لديهم علم عن نشاطنا ؟ "فأجاب الوكيل قائلاً : " لا أستطيع تفسير ذلك لنفسى أيضًا ، ولكن إذا سمح لى بإعطاء ملاحظة هنا فإننى أود أن أوصى المحكمة الموقرة بألاتأخذ هذه المسألة برمتها بجدية أكثر مما هى عليه إنه عمل طفولى لا حول له – ليس أكثر ! وفوق ذلك أرجو المحكمة أن تضع فى اعتبارها ، أننا نجحنا دون جهد تمامًا فى إفشال الاجتماع المرسوم فإننا لم نترك للناس أى وقت لذلك حتى وإن لم ننجح فى ذلك فإننى على يقين بأن الأطفال كانوا لن يعرفوا ما يخبرون به الناس سوى قصة من قصص اللصوصية الطفولية ، ومن رأيى كان علينا أن نترك المؤتمر ينعقد لكى يمكن عن طريق ذلك ... "

فقاطعه الرجل الذى فى الوسط بحدة قائلاً : أيها المتهم ! أتدرك أين أنت ؟"

فانحنى الوكيل داخل نفسه قليلا وقال بصوت كالفحيح : " نعم " .

فاستطرد القاضى قائلاً : " أنت لست أمام محكمة من البشر ، بل من أمثالك ، وأنت تعلم جيداً أنك لن تستطيع أن تكذب علينا فلماذا تحاول هذا رغم ذلك ؟ "

فتلعثم المتهم وهو يقول : " إنها - عادة المهنة "

فقال القاضى : " عليك أن تتكرم وتترك لرئاسة المحكمة الحكم على خطة الأطفال إذا كانت تؤخذ على محمل الجد أم لا ، وحتى أنت نفسك أيها المتهم ، تعلم جيداً جداً أنه لا يوجد شىء ولا أحد يمثل خطورة على عملنا مثل الأطفال بالذات ، فقال المتهم معترفاً فى خنوع : " أعلم ذلك " .

فأبان القاضى قائلاً : " إن الأطفال هم أعداؤنا الطبيعيون ، ولو لم يكونوا موجودين لوقع البشر منذ وقت طويل تحت سلطاننا فالأطفال أصعب بكثير جداً عن غيرهم من الناس أجمعين أن تدفعهم لتوفير الزمن ، ولذلك ينص واحد من أشد قوانينا صرامة على ما يلى :

الأطفال يأتون فى آخر الطابور ، فهل هذا القانون كان معلوما لديك أيها المتهم ؟ " فقال وهو يلهث : " نعم أيها المحكمة الموقرة " .

فرد القاضى بقوله " ورغم ذلك لدينا دلائل مؤكدة على أن واحداً منا ، وأكرر ، واحداً منا قد تحدث مع أحد الأطفال وأنه بالتأكيد قد أفشى له فوق ذلك بحقيقتنا أيها المتهم ، هل ربما تعلم من كان هذا

الواحد منا ؟ " فأجاب الوكيل رقم ح / ٥٥٣ / ب ل و منهاراً : " كنت أنا " .

فقال القضى متمحصا : " ولماذا خالفت بذلك أشد قوانينا صرامة ؟ "

فدافع المتهم عن نفسه قائلاً : " لأن هذا الطفل يعوق عملنا بشدة بتأثيره على الناس الآخرين لقد تصرفت بأفضل قصد لصالح بنك توفير الزمن " .

فرد القاضى فى برود الثلج : " إن مقاصدك لاتهمنا ، إن ما يهمنا فقط هو الناتج والناتج فى حالتك أيها المتهم ، لم يكن فقط عدم كسب للزمن لنا ، ولكن فوق ذلك أفشيت لهذا الطفل أيضاً بعض أهم أسرارنا ، هل تعترف بذلك ، أيها المتهم ؟ "

فقال الوكيل بصوت كالفحيح ورأس منكسة : " اعترف بذلك " .

– " إذن أنت تعترف بأنك مذنب ؟ "

– نعم ، ولكنى أرجو المحكمة الموقرة أن تراعى الظرف الذى يخفف الوطأة عنى وهو أننى كنت بحق مسحوراً . فبسبب الطريقة التى استمع إلى الطفل بها فقد استدرجنى للبوح بكل شىء إننى نفسى لا أستطيع تفسير كيف حدث ولكننى أقسم أن الأمر كان هكذا " .

– " إن اعتذارتك لا تهمنا .. ونحن لا نعترف بالظروف المخففة ، وقانوننا غير قابل للنقض ولا يسمح بأى استثناء أيًا كان ولكنا سنفترض وجود هذا الطفل العجيب ، ما أسمه ؟

– " مومو " .

– " صبى أم فتاة ؟ "

– " فتاة صغيرة "

– " محل الإقامة ؟ "

– " فى أطلال المسرح المستدير " .

فـرد القـاضـى الـذى كان يكتب كل شىء فى مفكرته الصغيرة : " حسن ، يمكنك أن تتأكد ، أيها المتهم ، أن هذا الطفل لن يضرنا مرة أخرى ، وسوف نعمل على ذلك بكل الوسائل لعل هذا يكون سلوى لك بما فيه الكفاية إذا ما انتقلنا الآن على الفور لتنفيذ الحكم ."

وبدأ المتهم يرتعش . وقال هامساً : " وما هو الحكم ؟"

ومال السادة الثلاثة خلف منصة القاضى على بعضهم وهمسوا بشىء لبعضهم وهزوا رئوسهم ثم اتجه من هو فى الوسط للمتهم وقال معلنا :

" ينص الحكم بالاجماع على الوكيل رقم ح / ٥٥٣ / ب ل و على ما يلى : المتهم مذنب لا رتكابه الخيانة العظمى ، ولقد اعترف هو نفسه بذنبه ، ويقضى قانوننا بمعاقبته بسحب كل زمن له على الفور " .

فصرخ المتهم قائلاً : " الرحمة ، الرحمة ! " ولكن اثنان من السادة الرماديين الواقفين إلى جواره انتزعا منه الحقيبة الرمادية والسيجار الصغير ، وعندئذ حدث شىء غريب ففى نفس اللحظة التى لم يعد لدى المحكوم عليه السيجار ، بدا بسرعة مستمرة شفافًا أكثر وأكثر ، حتى صراخه إزداد تضاؤلاً وإنخفاضاً . وهكذا وقف هنا واضعًا يديه أمام وجهة

وتحلل تمامًا إلى لا شيء وفى آخر ما انتهى إليه أن كان كما لو أن الرياح قد أثارت من حولها بضع ندف من الرماد ، ثم اختفت هذه أيضًا وفى صمت إبتعد جميع السادة الرماديين والذى كانوا يجلسون بالمحكمة وابتلعهم الظلام ولم يعد سوى الريح الرمادى يهب فوق الأكوام الموحشة ، واستمر بيبو الكناس فى جلوسه بلا حركة وهو يحملق فى المكان الذى اختفى فيه المتهم وأحس كما لو كان قد تجمد إلى جليد وهو الآن يذوب ببطء مرة أخرى ، عندئذ عرف بمعايشته الشخصية أن السادة الرماديين موجودين ، وفى نفس الساعة تقريبًا - فقد دقت ساعة البرج من البعد معلنة منتصف الليل - كانت مومو لا تزال تجلس على الدرجات الحجرية للأطلال ، وتنتظر ولم يكن فى إمكانها القول تنتظر ماذا ولكنها أحست بشكل ما ، كما لو أن عليها الانتظار ، ولذلك فلم تكن قد استطاعت أن تقرر الآن الذهاب للنوم وفجأة أحست بأن شيئًا يلمس قدمها العادى لمسًا خفيفًا وانحنت إلى أسفل لأن الظلام كان شديدا ، وتبين لها أن سلحفاة كبيرة تنظر إليها رافعة رأسها مبتسمة فى وجهها بفمها ابتسامة غريبة ، وكانت عيناها السوداوين الذكيتين تلمع فى ود كما لو كانت تريد أن تبدأ فى الحديث على الفور .

وانحنت مومو تمامًا إليها ودغدغتها بأصبعها أسفل ذقنها .

وسأبت بصوت خافت : " من أنت ياهذه ؟ لطيف منكِ أيتها السلحفاة إنك على الأقل جئت لتزورينى ماذا تريدين منى ؟ "

ولم تعرف موم إذا كانت لم تر فى بادئ الأمر أو أنه اتضح لها هذه اللحظة فقط بالفعل وعلى كل حال فقد تكونت فجأة حينئذ على درع ظهر السلحفاة حروف مضيئة ضوءًا ضعيفًا بدت وكأنها تشكلت من نقوش الألواح العظمية .

وببطء فسرت مومو ما تراه : " **تعالى معى** ! "

ولكن السلحفاة كانت قد تحركت بالفعل وبعد خطوات قليلة توقفت والتفتت إلى الطفلة فقالت مومو لنفسها : " إنها تقصدنى أنا حقًا ! " ثم نهضت واقفة ومشت خلف الحيوان وقالت بصوت خافت : " سيرى فأنا أتبعك " .

خطوة صغيرة سارتها خلف السلحفاة التى اقتادتها ببطء شديد خارج الساحة الحجرية الدائرية ثم أخذت طريقها تجاه المدينة الكبيرة .

الفصل العاشر

مطاردة محمومة وفرار وئيد

قاد بيبو العجوز دراجتة الصرارة خلال الليل ، وكان يسرع قدر استطاعة ، فقد استمر رنين كلمات القاضى الرمادى يتردد فى أذنة : " ... سوف نأخذ هذا الطفل العجيب ... يمكنك أن تتأكد أيها المتهم ، إنه لن يضرنا مرة أخرى بعد ذلك ... سنعمل على ذلك بكل الوسائل ... " لا شك ، إن مومو كانت فى خطر عظيم ! وكان عليه أن يذهب إليها على الفور ، عليه أن يحذرها من السادة الرماديين ، عليه أن يحميها منهم ، مع أنه لم يكن يعلم كيف ذلك ، ولكنه سوف يعرف ، وضغط بيبو بأقدامه على البدالات ، وهفهفت خصلة شعره البيضاء ، وكان الطريق إلى المسرح الدائرى لا يزال بعيداً ، وكانت الأطلال كلها مضاءة بالنور المبهر لمصابيح سيارات كثيرة أنيقة رمادية ، كانت تحيط بها من جميع الجوانب ، عشرات من السادة الرماديين كانوا يسرعون صاعدين وهابطين من الدرجات التى كستها الحشائش ، يفتشون فى كل مخبأ ، وأخيراً اكتشفوا أيضًا الثقب الموجود بالسور والذى توجد خلفه غرفة مومو ، بعضهم تسلق إلى داخلها ونظر أسفل السرير بل وفى الفرن المبنى بالطوب ، ثم خرجوا مرة أخرى ينفضون الأتربة من بدلهم الرمادية الأنيقة ويهزون أكتافهم.

وقال أحدهم :" العصفور طار " .

وقال آخر : " إنه لأمر يبعث على الغيظ أن يتسكع الأطفال فى الليل بدلاً من أن يناموا فى أسرتهم كما ينبغى " .

وصرح ثالث بقوله : " هذا لا يعجبنى على الإطلاق ، إن هذا يبدو كما لو أن أحدهم قد حذرها فى الوقت المناسب ، فقال أولهم : " لا يمكن ، وإلاّلكان من المؤكد أن الشخص المعنى كان يعرف بقرارنا من قبلنا " .

فنظر السادة الرماديّون إلى بعضهم فى قلق ، فلفت الثالث نظرهم بقوله : " إذا كان الشخص المعنى قد حذرها بالفعل ، فمن المؤكد أنها لم تعد موجودة هنا فى المنطقة ، وبمواصلة البحث عنها هنا فإننا لا نفعل أكثر من تضييع الوقت بلا فائدة " .

– " الديك اقتراح أفضل ؟ "

– " من رأيى أنه يجب علينا إخطار المركز الرئيسى على الفور كى يصدر الأمر بالقيام بالحملة الكبرى " .

– " المركز الرئيسى سوف يسألنا بحق أول مايسأل إذا ماكنا قد بحثنا فى المنطقة المحيطة بالفعل بحثًا جذريًا أيضًا " .

فقال السيد الرمادى الأول : " طيب ، فلنمشط المنطقة المحيطة أولاً ، ولكن إذا ما تلقت الفتاة مساعدة من الشخص المعنى فى تلك الأثناء فإننا بذلك نرتكب خطأً كبيرًا " .

فبادره الأخر بغيظ قائلاً : " هذا مضحك ! فى هذه الحالة يمكن للمركز الرئيسى دائمًا إصدارالتعليمات بالحملة الكبرى . وحينئذ سيشارك جميع الوكلاء الموجودين فى المطاردة ، فالطفلة ليس لديها

أدنى فرصة للفرار من أيدينا ، والآن - إلى العمل أيها السادة ! إنكم تعلمون خطورة الأمر " .

وفى هذه الليلة تعجب كثير من الناس بالناحية لماذا لايهدأ ضجيج السيارات المسرعة من أمامهم ، وحتى أصغر الشوارع الجانبية وأكثر الطرق الزلطية وعورة كانت تعج حتى الفجر بضوضاء لم تكن فى غير ذلك الوقت إلا فى كبرى الشوارع الرئيسية ، ولم يستطع أحد إغماض جفنيه ، وفى تلك الساعة كانت مومو الصغيرة تتجول ببطء بقيادة السلحفاة من خلال المدينة الكبيرة التى لم تعد تنام على الإطلاق ، وحتى فى هذا الوقت المتأخر من الليل .

فقد كان الناس يهرولون ويسرعون فى مجموعات هائلة فى هرج ومرج ، ويدفعون بعضهم البعض جانبًا بلا صبر ويتصادمون ، أو يسيرون متباطئين وراء بعضهم فى أمواج لا تنتهى ، وفى الشوارع تتزاحم السيارات وتزمجر بينها باصات عملاقة مزدحمة بالناس على الدوام ، وعلى واجهات المنازل تتوهج الاعلانات المضيئة وتصب نورها الملون على الزحام وتنطفىء مرة أخرى ، مومو التى لم تشاهد كل هذا أبداً ، كانت مستمرة فى سيرها وراء السلحفاة كما فى الحلم وقد اتسعت حدقتا عينيها من الدهشة ، وعبرا ميادين واسعة وشوارع مبهرة النور ، والسيارات تسرع من أمامهما وخلفهما ، والمارة يتزاحمون من حولهما ولكن لا أحد يعير الطفلة والسلحفاة اهتماماً .

ولم يضطرا أبداً تفادى أحداً من الناس ولم يصطدم بهما أحد على الإطلاق ، ولم تضطر أية سيارة كبح فراملها بسببهما ، فقد كان الأمر كما لو كانت السلحفاة تعرف مسبقًا بكل تأكيد أين وفى أى لحظة لن

تسير سيارة أو أحد من المشاة ، وهكذا لم يضطرا أبدًا للإسراع والتوقف على الإطلاق للإنتظار ، وبدأت مومو تندهش كيف يمكن السير بهذا البطء وفى نفس الوقت التقدم بهذه السرعة .

وعندما وصل بيبو الكناس أخيرًا إلى المسرح الدائرى القديم ، اكتشف ، حتى قبل أن ينزل عن دراجته ، وعلى ضوءها الخافت ، الآثار الكثيرة لإطارات السيارة حول الأطلال .

وترك دراجته تسقط فوق الحشائش وجرى نحو الثغرة الموجودة بالسور ، وهمس فى البداية :"مومو ، ثم مرة أخرى بصوت أعلى : "مومو ! " ، لم يتلق جوابًا وابتلع بيبو ريقه ، وكان حلقه جافًا ، وتسلق عبر الثغرة نازلاً إلى الغرفة حالكة الظلام فتعثر والتوت قدمه فأشعل بأصابع مرتعشة عود ثقاب ونظر حوله .

وكانت المنضدة الصغيرة والكرسيان المصنوعان من خشب الصناديق مقلوبة ، الغطاء والمرتبة انتزعت من السرير ، ولم تكن مومو موجودة .

فعض بيبو على شفتيه وكتم نحيبًا مبحوحًا كاد أن يمزق صدره للحظة من الزمن ودمدم قائلاً : - "يا إلهى ، ياإلهى ، لقد أخذوها ، لقد أخذوا فتاتى الصغيرة ، لقد وصلت متأخرًا ، من يقول ماذا أفعل الآن ، ماذا أفعل الآن ؟" وحرق عود الثقاب أصابعه ، فرماه بعيدًا ووقف فى الظلام ، باسرع ما يستطيع تسلق مرة ثانية خارجًا إلى الخلاء وسار وهو يعرج بقدمه المجزوعة إلى دراجته ، وقفز فوقها وحرك قدميه بسرعة وقال مكررًا كلامه لنفسه على الدوام : " لابد من حضور جيجى ، يجب أن يحضر جيجى الآن ! أرجو أن أعثر على المخزن الذى ينام فيه ."

وكان بيبو يعلم أن جيجى منذ فترة وجيزة يتكسب بعض الفنجات (*) الإضافية بأن ينام كل يوم أحد ليلاً فى مخزن أدوات لورشة قطع غيار مستخرجة من السيارات القديمة ، وهنا كان عليه أن ينتبه كيلا يتكرر ماكان يحدث كثيراً من قبل ، من ضياع قطع غيار سيارات يمكن الاستفادة منها ، وعندما وصل بيبو أخيراً إلى المخزن وطرق الباب بشدة بقبضة يده ، ظل جيجى فى بادىء الأمر صامتاً وساكتاً فى حالة ما إذا كان الطارق من لصوص قطع غيار السيارات ، ولكن بعد ذلك تعرف علي صوت بيبو وفتح الباب ، وولول فى فزع قائلاً : " ماذا حدث ؟ أنا لا يمكن أن أطيق أن ينتزعنى أحد من النوم بهذه الوحشية " .

فصاح بيبو لاهثاً « مومو : ... مومو حدث لها أمر فظيع ! »

فتساءل جيجى وهو يجلس فوق مرقده غير متمالك لنفسه : " ماذا تقول ؟ مومو ؟ ماذا حدث ؟ فلهث بيبو قائلاً : " أنا نفسى لا أعرف بعد ، حدث لها مكروه " .

وحكى كل ما عايشه : عن المحكمة العليا فوق تل القمامة ،عن آثار إطارات السيارات حول الأطلال ، وأن مومو لم تعد موجودة هناك ، استغرق الأمر طبعًا فترة من الزمن إلى أن أتم قص كل شىء ، لأنه برغم كل الخوف والقلق على مومو لم يكن فى استطاعته حينئذ التحدث بشكل أسرع .

وختم تقريره قائلاً : " لقد كنت أشعر منذ البداية ، كنت أعلم أن الأمور لن تسير سيراً حسنًا ، إنهم الآن أخذوا بثأرهم ، لقد اختطفوا مومو ! جيجى لابد أن نساعدها ! ولكن كيف ؟ لكن كيف ؟" وأثناء كلام بيبو ذهب ببطء كل لون عن وجه جيجى فقد أحس كما لو سحبت الأرض

(*) الفنج أصغر العملات الألمانية ، والمارك مائة فنخ (المترجم) .

مـن تحـت أقـدامه فجأة ، فحتى هذه اللحظة كان كل شىء بالنسبة له لعبة كبيرة .

لقد كـان يأخذ الأمور بشكل جدى كمـا كـان يعتـبر كل لعـبة وكل حكاية - دون أن يفكر فى العواقب أبداً .

ولأول مرة فى حياته تسير أحداث قصة بدونه ، تستقل بنفسها ، ولا يمكن لأى خيال فى العـالم أن يعيدها مـرة أخرى ! وشـعر كمـا لو أصابه الشلل ، وبعد برهـة بدأ كلامة قائلاً :" أتعرف يا بيبو ، من الجائز أيضاً أن تكون مومو قد خرجت للتنزه قليلاً ، فهذا ماتفعله أحيانًا ، فقد حدث مرة أن خرجت هائمة فى البلاد ثلاثة أيام بلياليـها ، أقصـد ، إننا حتى الآن ربما ليس لدينا أى سبب يدعونا لمثل هذا الإنشغال ." فتساءل بيبو غاضباً :" وماذا عن آثار إطارات السيارات ؟ والمرتبة المنزوعة ؟"

فـأجاب جيجى متهرباً :" طيب فلنفترض أن شخصًا ما كان فعلاً هناك ، فمن يقول لك إنه عثر على مومو ؟ ربما كانت قد انصرفت قبل ذلك وإلا لما كـان هناك بحث وتقليب فى كل شىء ." فصـرخ بيبـو : " وإذا كانوا قد عثروا عليها ، ماذا إذن ؟"

وأمسك بصديقه الأصغر سنا من ياقة سترته وهزه قائلاً :" جيجى ، لا تكن أحـمقًا ! إن الـسادة الرماديين حقيقة واقعة ولابد أن نفعل شيئا ما ، وعلى الفور ! "

فتلعثم جيجى فزعًا قائلاً :" هدىء نفسك يا بيبو ، طبعًا سوف نفعل شيئًا ، ولكن يجب أن يكون جيد التدبير ، إننا لا زلنا لا نعلم حتى أين سنعثر على مومو" .

فترك بيبو جيجى وقال : " سأذهب إلى الشرطة ! "

فصاح جيجى فزعًا :" كن عاقلاً ! لا يمكنك أن تفعل ذلك ! إفترض أنهم سوف يتحركون ويعثرون على صديقتنا مومو بالفعل ، أتدرى ماسيفعلون بها ؟ أتعلم هذا يا بيبو ؟ أتعلم أين يذهب الأطفال الشاردين يتامى الأبوين ؟ إنهم يضعونهم فى بيت على نوافذه القضبان ! أتريد أن تفعل هذا بصديقتنا مومو؟"

فتمتم بيبو وحملق أمامه حائرًا وقال :" لا أريد ذلك ، لكن إذا كانت ربما فى مأزق ؟" فاستطرد جيجى بقوله :" تخيل أنها ليست كذلك ، إذا كانت ربما تتسكع فقط قليلاً بالفعل ، وأنت تحرض الشرطة على مطاردتها ، فأنا لا أتمنى أن أكون مكانك عندما تنظر إليك لآخر مرة ".

وحط بيبو على مقعد عند المنضدة ووضع وجهه على ذراعيه .

وتأوه قائلاً : " لست أدرى ، ماذا أفعل ، لست أدرى ما العمل ".

فقال جيجى :" من رأيى علينا على شتى الأحوال أن ننتظر حتى الغد أو بعد غد قبل أن نفعل شيئًا . فإذا لم تعد بعدئذ فإننا نستطيع الذهاب للشرطة ، ولكن من الأرجح أن كل شىء سيكون حتى ذلك الوقت قد أصبح على ما يرام من زمن طويل ، وإننا نحن الثلاثة سوف نضحك على كل هذا الهراء ".

– " أهذا رأيك ؟" تمتم بذلك بيبو الذى تملكه تعب ثقيل دفعه واحدة فقد كان ما حدث اليوم كثيراً بعض الشىء على الرجل العجوز .

فرد جيجى وهو ينزع الحذاء من قدم بيبو المجزوع قائلاً :" من المؤكد" ؛ وساعده للصعود إلى المخدع وربط قدمه بقماش مبلل .

وقال بحنان :" سيكون الأمر على ما يرام ، كل شىء سيصبح على ما يرام ثانية ." وعندما رأى أن بيبو قد راح فى النوم ، تنهد ورقد على الأرض ساحباً سترته تحت رأسه كالوسادة ، ولكنة لم يستطع النوم فقد اضطر للتفكير طوال الليل فى السادة الرماديين ولأول مرة فى حياته الوادعة حتى ذلك الوقت ينتابه الخوف .

من المركز الرئيسى لبنك توفير الوقت صدر الأمر بالقيام بالحملة الكبرى ، جميع الوكلاء فى المدينة الكبرى تلقوا تعليمات بإيقاف كل نشاط آخر والانشغال فقط بالبحث عن الفتاة مومو ، وعجت الشوارع كلها بالأشكال الرمادية ؛ فكانوا يجلسون فوق أسطح المنازل وفى بيارات المجارى ويراقبون فى الخفاء محطات السكك الحديدية والمطار ، والباصات والترام ، باختصار كانوا فى كل مكان ولكنهم لم يعثروا على الفتاة مومو .

" أنت أيتها السلحفاة " هكذا سألت مومو :" إلى أين تقودينى ؟ " فقد كانا يتجولان فى هذه اللحظة من خلال فناء خلفى مظلم فظهرت كتابة على ظهر السلحفاة : " **لا تخافى** ! " فقالت مومو بعد أن فسرت الكتابة :" وأنالست خائفة " ، ولكنها قالت ذلك لنفسها أكثر كى تجلب الشجاعة لنفسها لأنها كانت خائفة قليلاً ، والطريق الذى كانت تسير فيه السلحفاة ازداد غرابة والتواء على الدوام ، وكانا قد مشيا خلال بساتين وفوق جسور وعبر أنفاق وبوابات وخلال طرقات منازل بل حتى من خلال أقبية لعدة مرات ، ولو كانت مومو تعلم أن جيشاً كاملاً من السادة الرماديين يتعقبونها ويبحثوا عنها لربما إزداد خوفها كثيراً ، ولكنها لم تكن تدرى شيئاً من ذلك ، ولذلك كانت تتبع السلحفاة خطوة بخطوة فى صبر وهى فى طريقها الذى يبدو مبهما ، وقد كان هذا حسناً ، وكما

كانت السلحفاة تعرف من قبل طريقها عبر حركة المرور بالشوارع فقد بدت الآن أيضًا تعرف مسبقًا بالضبط متى وأين سيظهر المطاردون ، وأحيانًا مامر السادة الرماديون متأخرين لحظة واحدة بموضع كان الاثنان به ولكنهم لم يلتقوا بهما أبداً ، وقالت مومو وهى لا تدرى من الأمر شيئًا :" من الحظ السعيد أننى أعرف القراءة جيداً ، ألا ترين ذلك ؟" فأضاءت على ظهر السلحفاة المدرع كتابة كأنها النور المنذر " " **سكوت !** " ولم تفهم مومو لماذا ، ولكنها اتبعت التعليمات ، فعلى مسافة ضئيلة مرت ثلاثة أشكال مظلمة ، منازل الحى الذى كانا فيه الآن إزدادت عتامة وفقرا على الدوام ، مساكن شعبية عالية تساقط عنها الطلاء أحاطت جانبى الشوارع التى امتلات بالحفر وقد وقفت فيها المياه ، وكان كل شىء هناك مظلماً وموحشاً .

أتى خبر إلى المركز الرئيسى لبنك توفير الوقت أن الفتاة مومو قد شوهدت ، فكان الرد :" حسناً ، هل قبضتم عليها ؟"

– " لا ، لقد كانت كما لو أن الأرض بلعتها فجأة ، وفقدنا أثرها مرة أخرى " .

– " كيف يمكن هذا ؟"

– " إننا نحن نسأل أنفسنا ، هناك شىء ما غير سليم ".

– " أين كانت عندما شاهدتموها ؟"

– " هذا هو مربط الفرس ، فقد كانت منطقة من المدينة غير معروفة لنا تماماً ، " فرد المركز الرئيسى مؤكداً : " لا توجد مثل هذه المنطقة " .

– " بلى على ما يبدو ، إنها – ماذا نقول ؟ – كما لو كانت هذه المنطقة تقع على حافة الزمن ، وإن الطفلة تتحرك فى اتجاه هذه الحافة ".

فصدر صراخ من المركز الرئيسى : " ماذا ؟ عليكم بالمطاردة ! لابد أن تمسكوا بها بأى ثمن ! هل فهمتم ؟"

فصدر رد كأنه بلون الرماد : " مفهوم ! "

فى بادىء الأمر اعتقدت مومو أن هذا هو ضوء الفجر ، ولكن ذلك الضوء الغريب ظهر فجأة ، بالضبط فى اللحظة التى انعطفا فيها إلى هذا الشارع ، فهناك لم يعد الوقت ليلاً ، ولم يكن نهاراً أيضًا ، وذلك الضوء لم يشبه لادغش الصباح ولا غسق المساء ، لقد كان ضوءاً يظهر معالم الأشياء كلها حادة وواضحة بشكل غير طبيعى ، ويبدو رغم ذلك أنه لا يأتى من مكان ما ، أو بالأحرى يأتى من جميع الجهات فى نفس الوقت ، لأن الظلال الداكنة الطويلة التى تلقيها حتى أصغر الحصوات على الشارع كانت تسير فى اتجاهات مختلفة كما لو كانت تلك الشجرة هناك يلقى عليها الضوء من اليسار وهذا المنزل من اليمين والنصب التذكارى بالضفة الأخرى من الأمام ، وبالمناسبة فإن النصب التذكارى نفسة كان يبدو شديد الغرابة ، فقد كان عبارة عن بيضة بيضاء هائلة الحجم موضوعة فوق قاعدة ضخمة مكعبة الشكل من الحجر الأسود ، هذا كل شىء ، لكن حتى المنازل كانت مختلفة عن جميع البيوت التى رأتها مومو من قبل ، فقد كانت بلون أبيض يكاد يخطف الأبصار ، وخلف النوافذ كانت ظلال سوداء لدرجة أنه لم يكن ممكنًا رؤية إذا كان أحد يسكن هناك على الإطلاق ، ولكن مومو كان عندها مايشبه الإحساس بأن هذه المنازل لم تبن أبدا كى تُسكن ولكن لخدمة هدف آخر خفى وهذه الشوارع كانت خالية تماماً ، ليست من الناس فقط بل أيضًا من الكلاب والطيور والسيارات ، كل شىء كان يبدو ساكنًا لا يتحرك

كما لو كان محاطًا بالزجاج ، ولم تتحرك ولا أصغر لفحة من الهواء ، وتعجبت مومو من سرعة تقدمها هناك ، ورغم أن السلحفاة كانت تسير أكثر بطئًا عن ذى قبل ، وخارج هذا الحى الغريب من المدينة حيث يسود الليل ، كانت هناك سيارات أنيقة تسرع بكشافاتها المضيئة طوال الشارع الملىء بالحفر ، و فى كل واحدة منها جلس العديد من السادة الرماديين ، واحد من الجالسين فى السيارة الأمامية اكتشف مومو وهى تنعطف إلى هذا الطريق ذى البيوت البيضاء حيث يبدأ الضوء الغريب ، لكن عندما وصلت إلى هذا المنعطف حدث شىء محير إلى أقصى درجة ، السيارات لم تتحرك فجأة عن موضعها .

وضغط السائقون على دواسة الوقود ، فزعقت العجلات ، ولكن السيارات سارت فى مكانها بشكل كما لو أنها واقفة فوق سير متحرك فى إتجاه معاكس وبنفس السرعة ، وكلما ازدادوا من سرعتهم كلما قل تقدمهم إلى الأمام ، وعندما لاحظ السادة الرماديون ذلك قفزوا وهم يطلقون السباب من سياراتهم وحاولوا اللحاق على أقدامهم بمومو التى استطاعوا باكاد أن يتعرفوا عليها على البعد ، وكانوا يجرون وقد التوت ملامح وجوههم وعندما توقفوا فى آخر الأمر بعد نفاذ قواهم كانت كل المسافة التى قطعوها للأمام عشر أمتار بالكاد ، وكانت الفتاة مومو قد اختفت فى مكان البعد بين المنازل البيضاء كبياض الثلج .

فقال واحد من السادة : " إنتهى ، إنتهى الأمر وانقضى ! إننا لن نمسك بها بعد الآن !"

وقال آخر :" إننى لا أدرك سبب عدم تحركنا من موضعنا " .

فرد الأول قائلاً : " ولا أنا والسؤال فقط إذا كان هذا ما سيحسب لصالحنا باعتباره ظروف مخففة لفشلنا "

– " أتقصد أنهم سوف يقدموننا للمحكمة ؟"

– " من المؤكد تماماً أنهم لن يمتدحونا " .

وأطرق السادة الرماديون جميعًا برؤسهم وجلسوا فوق شبكة تبريد سياراتهم وصدات التصادم ، فلم يعودوا على عجلة من أمرهم .

وبعيد ، بعيد إلى الأمام فى مكان ما وسط خليط الشوارع والميادين الخالية البيضاء بياض الثلج ، كانت مومو تسير خلف السلحفاة ، وبالذات لأنهما يمشيان ببطء شديد بدا الأمر كما لو أن الشارع ينزلق أسفلهما ، وكما لو كانت المبانى تسرع طائرة من أمامهم ، ومرة أخرى انحرفت السلحفاة عند أحد المنعطفات ، وتبعتها مومو ، ووقفت مشدوهة ، فهذا الشارع كان له شكل مختلف تماماً عن جميع الشوارع السابقة ، لقد كان فى الحقيقة زقاق ضيق أكثر منه شارع ، المنازل التى تتزاحم عن اليمين وعن الشمال كانت كلها كقصور من الزجاج ، مليئة بالأبراج الصغيرة والشرفات والمشربيات الصغيرة ، التى ظلت بقاع البحر لأزمان طويلة وقد طفت الآن فجاة إلى السطح وتعلوها الطحالب والأعشاب وتنمو عليها الشعب المرجانية والمحار ، كل شىء يتلألأ بنعومة بجميع الألوان كالأصداف ، ويمتد هذا الزقاق إلى منزل متفرد يكوّن نهايته ويقع بعرض المنازل الأخرى ، وفى وسطه بوابة كبيرة خضراء تغطيها تماثيل فنية .

ورفعت مومو بصرها إلى لافتة الشارع التى كانت معلقة فوقها مباشرة على الجدار ، وكانت من المرمر الأبيض ومكتوب عليها بحروف ذهبية :

(*) نيمالز جاسه - حارة لم تكن أبدًا

واستغرق نظر مومو وتهجيها للحروف عدة لحظات فقط ، ورغم ذلك فقد سبقتها السلحفاة بعيداً ، تقريباً إلى نهاية الحارة أمام المنزل الأخير .

فصاحت مومو قائلة :" انتظريني أيتها السلحفاة ،" لكن وياللعجب لم تستطع سماع صوتها ، وبرغم ذلك يبدو أن السلحفاة قد سمعتها ، فقد وقفت ونظرت خلفها ، وأرادت موموأن تتبعها ، ولكن عندما دخلت الان إلى " حارة لم تكن أبداً " ، شعرت فجأة كما لو أنها مضطرة للسير تحت الماء عكس تيار قوى أو ضد رياح هائلة ولكنها غير محسوسة تدفعها مصفرة إلى الوراء ، وقاومت وهى تميل بجسمها هذا الضغط الغامض وجذبت نفسها إلى الأمام وهى تمسك ببروزات الجدران بل أحياناً مازحفت على أربع ، وأخيراً نادت على السلحفاة التى رأتها صغيرة وهى تجلس عند نهاية الحارة :" إننى لا أقوى على ذلك ! ساعدينى !" ورجعت السلحفاة ببطء ، وعندما جلست آخر الأمر أمام مومو ، ظهرت على ظهرها المدرع نصيحة تقول :" **امشى بالعكس** ! " ، وحاولت مومو واستدارت ومشت بالعكس وفجأة نجحت فى التقدم دون أية صعوبة ، ولكن كان فى غاية الغرابة ما حدث لها عندئذ ، فبينما كانت تسير بالعكس على هذا النحو ، فكرت كذلك أيضًا ، وتنفست بالعكس ، وأحست بالعكس ، باختصار – عاشت بالعكس ! وأخيراً اصطدمت بشىء صلب ، واستدارت فوقفت أمام المنزل الأخير الذى يمثل نهاية الشارع بالعرض ، ففزعت قليلاً لأن الباب تغطيه التماثيل المصنوعة من المعدن الأخضر بدا الآن فجأة من هناك هائل

(*) فى الأصل الألمانى Niemals - Gasse .

الحجم تمامًا ، وفكرت مومو متسائلة فى ريبة :" هل سأستطيع فتحة ؟" ولكن فى نفس اللحظة انفتحت ضلفتا البوابة العظيمتان ، وظلت مومو واقفة للحظة لأنها اكتشفت لافتة أخرى فوق الباب يحملها حصان أبيض ذو قرن ويُقرأ عليها ما يلى : " منزل اللامكان "

ونظرًا لأن مومو لم تستطع القراءة بسرعة خاصة كانت ضلفتا الباب على وشك الإنغلاق ببطء عندما فرغت من قراءتها ، ودلفت مسرعة إلى الداخل ثم انغلق الباب الضخم خلفها محدثًا دويًا خفيفًا ، ووجدت نفسها الآن فى ممر عال طويل جدًا ، وعلي اليسار واليمين كان يقف على مسافات متساوية رجال ونساء عراة من الحجر يبدون كأنما يحملون السقف وهناك لم تعد تلاحظ شيئًا من التيار المضاد .

وتبعت مومو السلحفاة التى كانت تزحف أمامها من خلال الممر الطويل ، وعند نهايته ظلت تلك الدابة جالسة أمام باب صغير جدًا ، يكفى حجمه بالكاد كى تمر منه مومو وهى محنية الظهر ، وكتب على ظهر السلحفاة المدرع :" **لقد وصلنا** " ، وجلست مومو القرفصاء ورأت أمام أنفها مباشرة فوق الباب الصغير لافتة مكتوبة عليها :

" المايسترو زيكوندوس مينوتيوس أورا " (*)

والتقطت مومو نفسًا عميقًا ثم ضغطت بعزم على أكرة الباب الصغيرة ، وعندما انفتح الباب سمعت بالداخل أصواتًا موسيقية متعددة تكتكة وصريرًا ورنينًا وصلصة ، وتبعت الطفلةالسلحفاة ، وهوى الباب الصغير من خلفهم منغلقًا .

(*) فى الأصل "Meister Secundus Minutius Hora" ويبدو أن المؤلف كعادته يلمح بهذه الأسماء إلى معانيها اللغوية وهى ثانية – دقيقة – ساعة (المترجم) .

الفصل الحادى عشر

عندما يجعل الأشرار من الشىء السئ أفضل الأشياء .....

فى النور الرمادى للطرقات والمنعطفات اللانهائية أسرع وكلاء بنك توفير الزمن فى كل اتجاه وهم يتهامسون فى اضطراب بأحدث المستجدات : إن جميع السادة أعضاء مجلس الرئاسة اجتمعوا فى جلسة طارئة !

هذا يمكن أن يعنى أن هناك خطراً كبيراً ، هكذا ما استنتجه بعضهم .

واستنتج آخرون من ذلك أن هذا يمكن أن يعنى ظهور إمكانيات جديدة غير متوقعة لكسب الزمن ، وقد اجتمع السادة الرماديون أعضاء مجلس الرئاسة فى قاعة الاجتماعات الكبرى ، وجلسوا الواحد جوار الآخر على مائدة مؤتمرات تكاد لاتنتهى ، كل واحد كان معه كالمعتاد دائمًا حقيبة رمادية كالرصاص وكل واحد كان يدخن سيجاراً رمادياً صغيراً ، وقد خلعوا القبعات المتصلبة المستديرة والآن شوهد أنهم جميعًا كانت لهم صلعة لامعة .

الجو العام – إذا كان الممكن التحدث عن كل شىء مثل الجو العام لدى هؤلاء السادة – كان مقبضًا ، ونهض الرئيس عند نهاية رأس

المائدة الطويلة ، وانعدمت الهمهة ، واتجة صفان لانهائيان من الوجوه الرمادية ناحيتة .

وبدأ كلامه قائلاً : " سادتى ، إن وضعنا خطير وأجدنى مضطراً أن أحيطكم جميعًا علما على الفور بالحقائق المرة ولكن لا مناص منها .

ولقد جندنا جميع وكلائنا المتاحين تقريبًا لمطاردة الفتاة مومو ، وهذه المطاردة استمرت ست ساعات بالتمام وثلاثة عشر دقيقة وثمان ثوانى ، وجميع الوكلاء المشاركون اضطروا حتميًا إلى إهمال هدفهم الحقيقى من وجودهم ، وهو اقتناء الزمن وإلى جانب هذا الفقدان هناك الزمن الذى استهلكه وكلاؤنا أنفسهم أثناء بحثهم ، ومن هذين العجزين فى الحساب تنتج خسارة فى الزمن تبلغ بعد إجراء الحسابات الدقيقة تمامًا مقدار ثلاثة مليارات سبعمائة ثمانية وثلاثون مليون ومائتان وخمسون ألف ومائة وأربعة عشر ثانية .

سادتى ، هذا مايزيد عن حياة إنسان كاملة ! ولا داعى أن أشرح لكم معنى هذا بالنسبة لنا " ، وصمت برهة وأشار بايماءة كبيرة إلى باب هائل من الصلب ذى عدة أقفال رقمية للأمن فى واجهة القاعدة عند الحائط .

وصاح بصوت مرتفع قائلاً :" إن مخازن الزمن الخاصة بنا ، أيها السادة ليست بلا حد ، لو فقط كان للمطاردة ثمارها على الأقل ! لكنه كان وقتًا ضائعًا بلا فائدة تمامًا ! لقد أفلتت منا الفتاة مومو ، سادتى ، لا يجوز لمثل هذا الأمر أن يحدث مرة أخرى ، إننى سوف أقاوم بكل حسم كل عمل آخر له مثل هذه الأبعاد المكلفة ، أيها السادة ، وليس التبذير ! لذلك أرجوكم ، أن يكون فهمكم لجميع الخطط فى المستقبل بهذا المعنى ، وليس لدى المزيد من القول ، شكرًا " .

واتخذ مكانه وهو ينفث سحابات كثيفة من الدخان ، وسرت همهمة مضطربة خلال الصفوف ، والآن نهض خطيب ثان عند الطرف الآخر من المائدة الطويلة واتجهت جميع الوجوه إليه وقال :" سادتى ، إننا جميعًا نحرص بنفس القدر على خير بنكنا لتوفير الزمن ، ولكن يبدو لى أنه من غير اللازم تماماً أن ننزعج من هذا الأمر كله أو أن نجعل منه ما يشبه الكارثة ، فلا شيء أقل وزناً من هذا الوضع ، إننا جميعًا نعلم أن مخازن الزمن لدينا تحتوى على أرصدة هائلة لدرجة أن حتى أربعة أضعاف الخسارة التى منينا بها لايمكنها أن تجلب لنا الخطر بشكل جاد ، فما قيمة حياة إنسان واحد بالنسبة لنا ؟ فى الحقيقة شيء تافه !

ورغم ذلك فإننى أتفق مع رئيسنا المحترم أن مثل هذا الأمر لاينبغى أن يتكرر ولكن حادثة مثل حادثة مومو تعتبر فريدة من نوعها تماماً . فلم يحدث مثلها حتى ذلك الوقت أبداً ومن المستبعد للغاية أن يحدث مرة ثانية ، وفى النهاية أعرب السيد الرئيس بحق عن تأنيبه لإفلات الفتاة مومو من أيدينا ، ولكن ماذا كنا نريد أكثر من أن نجعل هذه الفتاة غير ضارة لنا ؟ والآن لقد تحقق ذلك تماماً !

فالفتاة اختفت ، وهربت من نطاق الزمن ! لقد تخلصنا منها ، وأعتقد أنه يمكننا أن نكون راضيين بهذه النتيجة " .

وجلس الخطيب مبتسماً وهو معجب بنفسه ، وسمع من بعض الجوانب تصفيقًا ضعيفًا ، ونهض الآن خطيب ثالث وسط المائدة الطويلة ، وأعلن بوجه متقلص الأسارير :" أريد أن أوجز القول ، إننى أعتبر الكلام المزعج الذى سمعناه الآن أنه كلام غير مسئول ، إن هذه الطفلة ليست طفلة عادية نحن نعلم ماليها من القدرات التى يمكن أن تصبح غاية فى الخطورة علينا وعلى قضيتنا ، إن كوْن ماحدث حتى ذلك الوقت

حادث فردى ، لا يدل بأى حال أنه لايمكن أن يتكرر ، اليقظة واجبة ! ولا يجوز لنا أن نشعر بالرضى قبل أن نضع هذه الطفلة فعلاً تحت سلطتنا ، وبذلك فقط يمكننا أن نتأكد أنها لن تستطيع أن تلحق بنا الضرر أبداً مرة أخرى ، لأنها إذا كانت قد استطاعت أن تغادر نطاق الزمن ، فإنها تستطيع أيضاً أن تعود فى كل لحظة ولسوف تعود !"

وجلس ، وسحب السادة الآخرون لمجلس الرئاسة رؤوسهم إلى أسفل وجلسوا مخذولين ، وأخذ خطيب رابع الآن الكلمة ، والذى كان يجلس فى مواجهة الثالث ، وقال : - " سادتى ، معذرة ، ولكن يجب علىّ أن أبوح بها الآن بكل وضوح : إننا نحوم وندور باستمرار حول الموضوع لابد أن نواجه الحقيقة بشجاعة بأن قوة تدخلت فى هذا الأمر ، لقد حسبت جميع الاحتمالات بدقة ، إن احتمال استطاعة طفل من البشر تخطى نطاق الزمن حياً وبقوته الذاتية يبلغ بالضبط نسبة ١:٤٢ مليون ، بمعنى آخر أنه أمر مستحيل عملياً " .

وسرى همس مضطرب خلال صفوف أعضاء مجلس الرئاسة .

وبعد أن هدأت الهمهة استطرد الخطيب قائلاً :" كل شىء يشير إلى أن هناك مساعدة قدمت للفتاة مومى كى تفلت من قبضتنا ، أنتم تعلمون جميعاً عمن أتحدث " إنه ذلك المدعو المايسترو أورا " ، وانتفض أغلب السادة الرماديين عند ذكر هذا الاسم كما لو أصابتهم لطمة ، وهب آخرون وراحو يتصايحون بشدة فى هرج ومرج ملوحين بأيديهم .

وصاح الخطيب الرابع فارداً ذراعيه قائلاً : " من فضلكم ياسادة ، أرجوكم بشدة أن تتمالكوا ، إننى أعلم جيداً مثلكم جميعاً أن ذكر الاسم فلنقل أنه من غير اللائق تماماً لقد كلفنى الأمر أن أتحامل على نفسى ولكننا جميعاً نريد ويجب أن تكون لدينا رؤية واضحة ! إذا كان ذلك

المدعو قد ساعد مومو فإنه لديه أسباب لذلك ، وهذه الأسباب بديهيًا موجهة ضدنا ، باختصار أيها السادة ، لابد أن نتوقع أن ذلك - المدعو- لن يعيد هذه الفتاة فقط ببساطة ، ولكنه فوق ذلك سوف يجهزها ضدنا ، سيكون هذا خطر قاتل علينا .

فنحن إذن لا يجب أن نكون مستعدين فقط للتضحية بزمن حياة إنسان واحد للمرة الثانية أو بأربعة أضعاف ذلك - كلا أيها السادة ، إننا سيتحتم علينا ، إذا إقتضى الأمر أن نجازف بكل شيء ، وأكرر بكل شيء ! لأنه في هذه الحالة سيكلفنا كل توفير الغالي والنفيس .

اعتقد أنكم تفهمون ما أعني ، " وازداد الإضطراب بين السادة الرماديين وانخرط الجميع في أحاديث متداخلة .

وقفز خطيب خامس فوق مقعده ولوّح بيديه .

وصرخ قائلاً : " هدوء ، هدوء ! السيد المتحدث السابق اقتصر للأسف بالتلميح بمختلف الكوارث المحتملة ، ولكن يبدو أنه هو نفسه لا يعلم ما ينبغي علينا أن نفعله في مواجهة ذلك ! إنه يقول علينا أن نكون على استعداد لكل تضحية - حسن ! علينا أن نعقد العزم على أقصى الإحتمالات - حسن ! علينا ألاّ نقتصد بما لدينا من مخزون - حسن ! لكن كل هذا ليس إلا كلام فارغ ! إن عليه أن يقول لنا ما يمكننا أن نفعله حقًا ! لا أحد منا يعلم بأي شيء سيسلح المدعو الفتاة مومو ضدنا ! إننا سوف نواجه خطرًا مجهولاً علينا تمامًا ، هذه هي المشكلة التي يجب حلها ! " وتصاعدت الضوضاء بالقاعة إلى صخب وضجيج ، وتصايح الجميع في هرج ومرج والبعض ضرب بقبضته على المنضدة ، وآخرون خبطوا بأيديهم أمام وجوههم ، وتملكت الجميع حالة من الهلع .

بجهد شديد وجد متحدث سادس من يسمعه .

وكرر قوله مهدئًا لهم إلى أن عم السكون فى آخر الأمر :" لكن أيها السادة ، أيها السادة ، لابد أن أرجوكم الاحتفاظ بالتعقل الهادىء ، فهذا هو أهم شىء الآن ، فلنفترض الآن أن الفتاة مومو تعود - مزودة بأى شىء من التسليح - من عند ذلك المدعو ، فليس هناك من داع أن نتأهب نحن شخصيًا للقتال ، فنحن أنفسنا لا نصلح بشكل خاص لمثل هذه المواجهة - كمات أظهر لعيوننا بجلاء المصير التعس لو كلينا ب ل و / ٥٥٣ حـ الذى تحلل فى تلك الأثناء ، لكن هذا ليس ضروريًا أيضًا ، فلدينا ما يكفى من الأعوان بين البشر ! وإذا ما جندنا هؤلاء بمهارة وبشكل غير ملحوظ ، أيها السادة ، فإننا نستطيع التخلص من الفتاة مومو ومن الخطر المرتبط بها ، دون أن نظهر نحن فى الصورة ، ومثل هذا الإجراء سيكون موفرًا واقتصاديًا ، سيكون خال من الخطر علينا ، وبلا شك سيكون فعالاً " .

وسرت تنهيدة ارتياح خلال جمهرة أعضاء مجلس الرئاسة ، وقد اقنع هذا الإقتراح الجميع وربما كان سيقبل على الفور ، لولا أن أعلن عند الطرف الأعلى للمائدة متحدث سابع عن رغبته فى أخذ الكلمة .

وبدأ قائلاً :" سادتى ، إننا نمعن التفكير بلا انقطاع فى كيفية إمكاننا التخلص من الفتاة مومو ، فلنعترف بأن الخوف يدفعنا إلى ذلك ، ولكن الخوف ناصح ردىء أيها السادة ، فيبدو لى أننا نترك مسألة فريدة وعظيمة تفلت منا ، والمثل يقول : من لا تستطيع هزيمته فعليك أن تصادقه ، والآن لماذا لا نحاول أن نشد الفتاة مومو إلى صفنا ؟ "

فصاحات بعض الأصوات قائلة :" اسمعوا ، اسمعوا ! اشرح هذا بشكل أدق ! "

فاستطرد المتحدث قائلاً :" من الواضح أن هذه الطفلة قد عثرت بالفعل على الطريق إلى المدعو ، ذلك الطريق الذى بحثنا عنه بلا جدوى منذ البداية ! والطفلة تستطيع على الأرجح العثور على الطريق هناك كل وقت ، وهى تستطيع أن تقودنا لهذا الطريق ! عندئذ نستطيع بهذا الشكل أن نتباحث مع المدعو ، وإننى على يقين أننا سوف نتخلص منه بسرعه جداً ، وعندما نجلس فى مكانه فإننا لن نحتاج فى المستقبل إلى أن نجمع بالتعب الساعات والدقائق والثوانى ، لا ، سنكون قد وضعنا الزمن كله لجميع البشر تحت سلطتنا بضربة واحدة ! ومن يمتلك زمن الناس تكون له سلطه بلا حدود ! سادتى ، تذكروا ، إننا سنكوت وصلنا للهدف ! وفوق ذلك يمكن للفتاة مومو أن تفيدنا ، تلك التى تريدون جميعاً التخلص منها ".

وعم القاعة صمت القبور .

وصاح أحدهم :" ولكنك تعلم أن أحداً لا يمكنه الكذب على مومو ! فكروا فى الوكيل ب ل و / ٥٥٣ ح! كل واحد منا سوف يعانى من نفس المصير ! "

فرد المتحدث قائلاً :" من يتحدث عن الكذب ؟ إننا سنخبرها طبعًا بخطتنا صراحة ."

فصرخ آخر ملوّحًا بيديه : لكن عندئذ لن تشاركنا العمل أبداً ! هذا مستحيل تمامًا ! " وتدخل الآن خطيب تاسع فى المناقشة قائلاً : " لست متأكداً من ذلك ياعزيزى إننا لابد أن نقدم لها بالطبع فقط شيئًا يغريها ، إننى أفكر على سبيل المثال فى أن نعدها هى نفسها بكثير من الوقت كما يحلو لها .... "

وصاح الآخر متدخلاً : " وعد لن نفى به بالطبع ! "

فرد المتحدث التاسع مبتسمًا إبتسامة فى برود الثلج :" بالطبع ! لأننا إذا لم نعن ما نقوله بأمانة ، فسوف تكتشفه " .

فصرخ الرئيس وضرب بيده على المائدة قائلاً : " لا ، لا ! أنا لا أستطيع السماح بذلك ! إذا ما منحناها بالفعل كثيراً من الوقت كما تريد - فإن ذلك سيكلفنا ثروة طائلة ! "

فقال المتحدث مهدئًا :" ربما لاشىء تقريبًا ، فكم يستطيع طفل واحد أن يصرفه ؟ أكيد ستكون خسارة صغيرة ودائمة ، ولكن تذكروا ما سوف نحصل عليه فى مقابل ذلك ! زمن كل الناس ! والقليل الذى تستطيع مومو استهلاكه ، لا بد أن نسجله على حساب التكاليف كمصروفات ، تذكروا ، أيها الساده الفوائد الهائلة ! "

وجلس الخطيب والجميع يفكرون فى الفوائد .

وأخيراً قال المتحدث السادس :" رغم ذلك ، هذا لن ينجح ."

- " كيف ؟ "

- " لسبب واحد بسيط ، لأن هذه الفتاة لديها على شتى الأحوال من الوقات كما تريد ، ولا جدوى من أن نرشيها بشىء لديها منه مايفيض " .

فرد الخطيب التاسع قائلاً : ": إذن فعلينا أن نسلبه منها أولاً " .

فقال الرئيس وقد أصابه التعب :" ياعزيزى ، إننا نلف فى دائرة ، إننا لا نستطيع التوصل للطفلة ، هذا هو الموضوع " .

وسرت تنهيدة خيبة أمل بين صفوف أعضاء مجلس الرئاسة .

وأعرب خطيب عاشر عن رغبته فى التحدث :" لدى إقتراح بعد إذنكم ؟ "

فقال الرئيس " لك الكلمة " .

وانحنى السيد إنحناءة صغيرة للرئيس واستطرد قائلاً :" هذه الفتاة مرتبطة بأصدقائها ، إنها تحب أن تهب من وقتها للآخرين ، ولكن فلنفكر فيما سيكون حالها عندما لا يكون هناك أحد يقاسمها الوقت ، ولأن الفتاة لن تؤيد طواعية خطتنا ، فينبغى علينا أن نلجأ إلى أصدقائها " .

وأخرج من حقيبته حافظة للأوراق فتحها : " إنهم على وجه الخصوص المدعو بيبو الكناس وجيجى المرشد السياحى ، ثم توجد هناك قائمة طويلة نوعًا من الأطفال يترددون عليها بانتظام ، أنتم ترون أيها السادة ، أنه ليس أمرًا كبيرًا !

إننا سوف نسحب عنها جميع هؤلاء الأشخاص بحيث لاتستطيع الوصول إليهم .

عندئذ تصبح مومو الصغيرة المسكينة وحيدة تمامًا ، فماذا سيعنى لها وقتها الكثير حينئذ ؟ سيكون عبئًا ، بل لعنة ! إن آجلاً أو عاجلاً لن تتحمل ذلك .

عندئذ ، أيها السادة سنتجه للموقع ونضع شروطنا ، وأراهن بألف سنة مقابل عُشر الثانية بأنها سوف تقودنا للطريق المعلوم من أجل إستعادة أصدقائها فقط " .

السادة الرماديون الذين كانوا فى الوقت ينظرون نظرة المنكرين ، رفعوا رؤوسهم ، ولا حت على شفاههم إبتسامة ضئيلة كحد السكين ، إبتسامة الظافرين ، وصفقوا مستحسنين ، وتردد الصوت فى الممرات الجانبية واللانهائية وسمع كأنة إنهيار حجرى .

الفصل الثانى عشر

موموتأتى إلى المكان الذى يأتى منه الزمن

مومو كانت تقف فى أكبر قاعة رأتها على الإطلاق ، لقد كانت أكبر من أعظم الكنائس حجمًا ، وأوسع من أكثر قاعات محطات السكة الحديد اتساعًا ، أعمدة هائلة كانت تحمل سقفًا كان يتوقع المرء وجوده عاليًا إلى فوق أكثر من أن يراه فيما يشبه الظلام ، ولم تكن هناك نوافذ ، والضوء الذهبى الذى كان يتخلل تلك القاعة الهائلة كان يأتى من شموع لا تحصى عدداً مرشوقة فى كل مكان ويشتعل لهيبها بلا حركة كما لو كانت مدهونة بألوان مضيئة ولا تحتاج إلى شمع تستهلكة لكى تشع النور .

أصوات التكتكة والصرير والرنين والصلصلة التى كانت تسمعها مومو بالآلاف عند دخولها كانت تأتى من ساعات لا تعد ولا تحصى بكل شكل وحجم ، كانت موضوعة فوق مناضد طويلة وفى دواليب زجاجية وعلى حوامل ذهبية بالحوائط وعلى أرفف لانهائية .

وكانت توجد ساعات جيب صغيرة منمنمة مزدانة بالأحجار الكريمة ومنبهات معدنية عادية وساعات رملية وساعات من الحجر ، ساعات زجاجية وساعات يحركها خيط دافق من المياه ، وعلى الحوائط علقت جميع أنواع الساعات ذات الديك الصياح وساعات أخرى ذات ثقالات

وبندولات متأرجحة ، وبعضها يتحرك ببطء ووقار ، وأخرى تتحرك بندولاتها الصغيرة بسرعة وعصبية هنا وهناك ، وبارتفاع الطابق الأول كان هناك ممر دائرى ثم ممر دائرى حول القاعة كلها تؤدى إليه سلالم حلزونية ، وأعلى منه إلى فوق ممر دائرى ثان وفوقه ممر دائرى .

وفى كل مكان ساعات متدليه وموضوعة ، كما كانت توجد أيضًا ساعات تبين الزمن فى العالم على شكل كرة تبين الزمن فى كل بقعة من الأرض ، وقباب سماوية صغيرة وكبيرة بها شمس وقمر ونجوم .

وفى وسط القاعة ارتفعت غابة كاملة من الساعات القائمة على الأرض (*) فلنقل أنها غابة الساعات، بدءًا من الساعات العادية القائمة على أرضية الحجرات إلى الساعات البرجية الحقيقية ، وبلا انقطاع كانت تدق أو ترن ماكينة إحدى الساعات ، لأن كل من هذه الساعات كان يبين توقيتا مختلفًا ، ولكنه لم يكن ضجيجا مزعجا نشأ عن ذلك ولكنه كان خريرًا متناغمًا هامسًا كالذى يسمع فى غابة بالصيف .

وسارت مومو فى المكان تتأمل بعينين مشدوهتين كل هذه الغرائب ، وكانت تقف فى تلك اللحظة أمام ساعة العاب ثرية فى زخارفها يقف عليها تمثالان دقيقان ، لسيدة صغيرة ورجل صغير يمدان أيديهما لبعض للرقص وفى لحظة أن همت بإعطائهما دفعة صغيرة بأصبعها كى ترى إذا كانا سيتحركان بهذه الطريقة ، حتى سمعت فجأة صوتًا ودودا يقول :" آه ، لقد عدت ثانية يا كاسيوبايا ! ألم تحضرى معك الصغيرة مومو ؟"

(*) فى هذا الموضوع يكرر المؤلف المعنى ولكن متلاعبًا بالألفاظ حيث كتب " Uhr-wald" بمعنى غابة من الساعات مشيرًا إلى كلمة "Urwald" بمعنى الأحراش والأدغال والفرق يكمن فى الحرف h .

والتـفـتت الطفلة وراءها ورأت في إحـدى الأزقـة بين السـاعـات الأرضيـة الواقفة رجلاً رقيقًا عجوزًا ذا شعر أبيض فضى انحنى إلى أسـفل ونظر إلى السلحـفـاة الواقـفـة أمـامـه على الأرض ، وكـان يرتدى سترة طويلة مطرزة بالذهب ، وسروالاً يصل حتى الركبة حريرى أزرق اللون ، وجوارب بيضاء وحذاء عليه إبزيم ذهبى كبير .

وبرزت دانتـيل من السـتـرة عند الرسغين وعند الرقـبـة ، وشـعـره الأبيض الفضى كان مجدولاً إلى ضفيرة صغيرة عند خلفيـة رأسه ، ولم تكن مومو قد رأت مـثل هذا الزى من قبل ، ولكن أى شـخص أقل منها فى عدم درايته كان سيدرك على الفور أنه كان المودة التى كان يرتديها الناس قبل مائتى عام .

واسـتطرد السـيـد العـجـوز الآن قـائلاً – وهو لا يزال منحنيًا إلى السلحفاة :" ماذا تقولين ؟ هل هى هنا فعلاً ؟ أين هى إذن ؟

وأخرج نظارة صغيـرة مثل التى كانت لدى بيبو العجـوز ، فقد كانت هذه مصنوعة من الذهب ونظر حوله باحثًا .

فصاحت مومو :" ها أنا ذا ! "

وأتى السيد العجوز بابتسامة سعيدة ويدين ممدودتين متجهًا إليها ، وأثناء ما هو يفعل ذلك بدا لمومو كما لو كان يزداد صغرًا فى العمر على الدوام مع كل خطوة يقترب بها .

وعندمـا وقف أخيرا أمامـها وأمسك بيديها وهزها بحرارة بدا لا يكاد يكبر مومو نفسها سنا ، وصاح فى سرور : " مرحبًا ! أهلاً وسهلاً فى " منزل اللامكان " . اسمحى ، أيتـها الصـغيـرة مـومو أن أقـدم لك نفسى أنا الأستاذ – زيكوندوس مينوتيوس أورا . (*)

(*) فى الأصل "Secundus Minitius Hora" وهنا يتلاعب المؤلف كعادته بالألفاظ ، حيث هذا الاسم بمكوناته الثلاث يعنى : ثانية – دقيقة – ساعة ، وكانت تراودنى فكرة ترجمة هذا الاسم ونقلة بإيحاءاته إلى العربية : ثوانتوس – دقيقتيوس – ساعة –(المترجم)

فتساءلت مومو فى دهشة :" هل كنت فعلاً تنتظرنى ؟"

- " بالتأكيد ! لقد أرسلت لك خصيصًا سلحفاتى كاسيوبايا لإحضارك ، " وأخرج من الصديرى ساعة جيب مفلطحة مرصعة بالماس وفتح غطاءها .

وأثبت كلامة مبتسمًا وهو يضع الساعة أمامها :" لقد حضرت فى الموعد الدقيق بشكل غير عادى فوق ذلك " .

ورأت مومو أنه لا توجد على ميناء الساعة لا عقارب ولا أرقام ، ولكن فقط خطان حلزونيان دقيقان يدوران ببطء وموضوعان فوق بعضهما فى إتجاه معاكس ، وفى المواضع التى يتقاطع فيها الخطان كانت تضىء أحيانًا نقيطات صغيرة .

وقال الأستاذ أورا :" هذه ساعة - نجوم السعد (*) ، وهى تبين بدقة ساعات الحظ السعيد النادرة ، وقد بدأت الآن مثل هذه الساعة " .

فسألت مومو " ماهى ساعة الحظ السعيد ؟"

وقال السيد أورا مفسرًا :" أحيانًا ما توجد على مدار العالم لحظات خاصة ينتج فيها أن جميع الأشياء والكائنات ، حتى أبعد النجوم بأعلى ، تتعامل مع بعضها بطريقة فريدة تمامًا لدرجة إمكانية أن يحدث مالم يكن ممكنًا أبدًا من قبل ولا من بعد ، وللأسف لا يستطيع الناس بوجه عام الاستفادة منها ، وهكذا تنقضى ساعات الحظ السعيد

(*) فى الأصل "sternstunde" أى ساعة النجوم السعيدة - واللغة الألمانية تستخدم النجوم هنا فيما يعادل إستخدام السماء فى اللغة العربية عندما نقول : حظك من السما - أى سعيد - (المترجم) .

دون أن يلاحظها أحد فى الغالب ، لكن إذا ما كان هناك أحد يتعرف عليها فإن أشياء عظيمة تحدث عندئذ فى العالم " .

فقالت مومو :" ربما يحتاج المرء فى ذلك إلى ساعة مثل هذه " ، فهز الأستاذ أورا رأسه مبتسماً وقال :" الساعة وحدها لن تفيد أحداً ، لابد أن يستطيع المرء قراءتها " .

وأغلق الساعة مرة أخرى وأدخلها فى جيب الصديرى .

وعندما رأى نظرة مومو المندهشة ، التى ترمق بها مظهره الخارجى ، نظر إلى نفسه فى تأمل إلى أسفل وقطّب جبينه وقال :" أوه ، لكنى أعتقد أننى قد تأخرت قليلاً – فى المودة ، كم أنا مهمل ! سوف أصحح هذا على الفور " .

وطرقع بأصبعه فوقف فى التو أمامها مرتدياً بدلة خروج ذات ياقة عالية صلبة ، وسأل فى ريبة :" أهكذا أفضل ؟" ولكنة عندما رأى الآن وجه مومو المتعجب ، استطرد بقولة :" طبعاً لا ! أين أنا بأفكارى !"

وطرقع بأصابعه مرة أخرى ، وفجأة ارتدى الآن ملابس لم ترها مومو ولا أى أحد رآها من قبل ؛ فقد كانت المودة التى سوف يرتديها الناس بعد مائة سنة .

واستفسر عن رأى مومو قائلاً : " ليس هذا أيضاً ؟ بحق النجم أوريون ، لابد أن يكون ممكناً التوصل للحل ! انتظرى ، سأحاول مرة أخرى " .

وطوقع بأصبعه للمرة الثالثة ، ووقف أخيراً أمام الطفلة مرتدياً بدلة خروج كالتى يرتديها المرء هذه الأيام .

وقال وهو يغمز بعينه لمومو :" هكذا صحيح ، أليس كذلك ؟ إن ما أرجوه فقط هو ألا أكون قد أفز عتك يا مومو ، لقد كانت دعابة صغيرة منى ، لكن الآن ربما يجوز لى أن أدعوك لمائدة أيتها الفتاة العزيزة . الأفطار جاهزة .

لقد قطعت طريقًا طويلاً وأرجو أن يحوز الطعام رضاك ، " وأخذ بيدها وقادها إلى وسط غابة - الساعات ، وتبعتها السلحفاة متأخرة عنهما قليلاً ، وكان الممر يمتد متعرجًا طولاً وعرضًا كما فى المتاهة ، ويصب فى آخر الأمر فى غرفة صغيرة كانت تشكل الحوائط الخلفية لبعض صناديق الساعات العملاقة ، وفى أحد الأركان كانت توجد منضدة صغيرة ذات أرجل ملتوية وأريكة جذابة ومقاعد ذات حشيات متناسبة معها ، وهنا أيضًا كان كل شىء ينيره الضوء الذهبى للهب الساكن للشموع .

وعلى المنضدة الصغيرة كانت توجد قنينة ذهبية سمينة البطن ، قدحان صغيران ومعهما أطباق ومعالق صغيرة وسكاكين ، كلها من الذهب البراق وفى سلة صغيرة أرغفة خبز صغيرة مقمرة بلون بنى ذهبى ، وفى صحاف صغيرة زبدة صفراء ذهبية وفى صفحة أخرى عسل نحل كان يبدو كالذهب السائل ، الأستاذ أورا صب من القنينة سمينة البطن مشروب الشيكولاته فى القدحين ، وقال بإشارة داعية : " تفضلى ، ياضيفتى الصغيرة ، مدى يدك بسخاء!"

ولم تجعلة مومو يكرر قوله ثانية ، ولم تكن تعلم حتى ذلك الوقت أن هناك شيكولاتة يمكن أن تُشرب ، كذلك الخبز الصغير المدهون بالزبد والعسل كان ضمن أكثر الأشياء ندرة فى حياتها ، وهى لم تتذوق شيئًا شهيًا هذا من قبل أبدًا على الإطلاق .

وهكذا استحوذ عليها هذا الإفطار فى بادىء الأمر وأكلت ملىء شدقيها دون أن تفكر فى أى شىء آخر ، ومن العجيب أنه عن طريق هذا الطعام ذهب عنها أيضًا كل التعب وشعرت بانتعاش ونشاط رغم أنها لم تنم طول الليل لحظة واحدة ، وكلما طال جلوسها ، كلما ازداد الطعام شهية ، وكانت تشعر كما لو أنها ستستطيع أن تستمر فى تناول الطعام على هذا النحو لعدة أيام .

وكان الأستاذ أورا ينظر إليها فى تلك الأثناء فى ود وكان على درجة كافية من اللياقة ولم يزعجها بالأحاديث فى البداية ، وكان يدرك ، أن ضيفته كان عليها أن تشبع جوع سنوات كثيرة ، وربما كان هذا هو سبب أنه مع نظره إليها بدا أكبر عمراً شيئًا فشيئًا مرة خرى ، إلى أن كان مرة أخرى رجلاً ذا شعر أبيض ، وعندما لاحظ أن مومو لا تحسن استخدام السكين ، دهن هو الخبز بالزبد ووضعه لها فى الطبق ، وهو نفسه أكل قليلاً فقط ، من أجل مشاركتها فقط ، ولكن مومو شبعت فى آخر الأمر ، وبينما هى تشرب مشروب الشيكولاتة نظرت عبر حافة قدحها الذهبى إلى مضيفها متفحصة وراحت تفكر فيما ومن يكون ، إن كونه شخصًا غير عادى فقد لاحظت ذلك ، ولكنها وحتى هذه اللحظة لم تعرف شيئًا عنه فى الحقيقة غير إسمه .

وسألت وهى تضع القدح من يدها : " لماذا جعلت السلحفاة تستدعينى ؟"

فأجاب الأستاذ أورا جاداً : " كى أحميك من السادة الرماديين ، إنهم يبحثون عنك فى كل مكان وهنا فقط تكونين فى مأمن منهم " .

– " هل هم يريدون أن يفعلوا بى شيئًا ؟"

فتنهد الأستاذ أورا وقال :" نعم يا طفلتى ، يمكن أن نقول ذلك " .

فسألت مومو : " ولماذا ؟"

ففسر الأستاذ أورا ذلك بقوله :" إنهم يخشونك ، لأنك فعلت بهم أسوأ ما يكون ".

فقالت مومو :" إننى لم أفعل بهم شيئًا " .

– " بلى ، لقد دفعت بشخص منهم أن يبوح بما فى نفسه ، وحكيت أنت ذلك لأصدقائك ، لقد كنتم تريدون فوق ذلك أن تخبروا الناس جميعًا بحقيقة السادة الرماديين ، أتعتقدين أن هذا ليس كافيًا لجعلهم ألد أعداء لك ؟"

فقالت مومو :" ولكننا مشينا من وسط المدينة ، السلحفاة وأنا ، وإذا كانوا يبحثون عنى فى كل مكان ، لاستطاعوا أن يعثروا علىَ بكل سهولة كما أننا كنا نسير ببطء تام . "

وأخذ الأستاذ أورا السلحفاة التى جلست فى تلك الأثناء عند أقدامه مرة أخرى ، على حجره ودغدغها فى رقبتها .

وسألها مبتسمًا :" ما رأيك يا كاسيوبايا ، هل كان فى استطاعتهم الإمساك بكما ؟"

فظهرت على ظهر السلحفاة المدرع الحروف :" **إطلاقًا** !" وتوهجت الحروف فى مرح لدرجة أن المرء اعتقد بالفعل أنه يسمع كركرة ضحكها .

فأبان الأستاذ أورا كلامه قائلاً : " إن كاسيوبايا تستطيع أن ترى المستقبل قليلاً ، ليس بالكثير ولكن ما مدته نصف ساعة تقريباً . "

وظهرت على ظهر السلحفاة المدرع كلمة :" **بالضبط**!"

فقال الأستاذ أورا مصححًا : " معذرة ، بالضبط نصف ساعة ، إنها تعرف بالتأكيد من قبل ما سيكون دائمًا فى النصف ساعة التالية ، وذلك فهى تعلم بالطبع أيضًا على سبيل المثال إذا كانت ستقابل السادة الرماديين أم لا " .

فقالت مومو متعجبة : يا سلام ! هذا شىء عملى ! وعندما تعرف مسبقًا أنها ستقابل السادة الرماديين فى هذا المكان أو ذلك فإنها تسير ببساطة فى طريق آخر ؟"

فأجاب الأستاذ أورا :" كلا ، فالأمر ليس بمثل هذه البساطة للأسف إنها لا تستطيع تغيير ما تعرفه مسبقًا ، لأنها تعرف فقط ما سوف يحدث بالفعل ، فإذا كانت تعرف أنها ستقابل السادة الرماديين فى هذا المكان أو ذلك ، لكانت قابلتهم أيضًا ، ولما استطاعت أن تفعل شيئًا فى مواجهة ذلك " .

فقالت مومو بشىء من خيبة الأمل : " أنا لا أفهم ذلك ، إذن فلا فائدة على الإطلاق من معرفة شىء مسبقًا " .

فرد الأستاذ أورا قائلاً : " بلى ، أحيانًا لها ، فى حالتك ، على سبيل المثل عرفت أنها ستمشى فى هذا وذلك الطريق ولن تقابل عندئذ السادة الرماديين ، وهذا له بعض القيمة ، ألا ترين ذلك ؟" وصمتت مومو ، وتشابكت أفكارها مثل كرة خيط إنحل خيطها .

واستطرد الأستاذ أورا قائلاً :" كى نعود مرة أخرى إلى موضوعك أنت وأصدقائك ، فلابد لى أن أعرب لك عن مدحى وإطرائى ، إن لافتاتكم وكتاباتكم كان لها تأثير كبير علىّ " .

فتساءلت مومو بسعادة " : هل قرأتها ؟ "

وأجاب الأستاذ أورا :" كلها كلمة كلمة !"

فقالت مومو :" للأسف لم يقرأها أحد خلاف ذلك ، على ما يبدو

وهز الأستاذ أورا رأسه قائلاً " أجل للأسف ، لقد تسبب السادة الرماديين فى ذلك " .

فتساءلت مومو مستفسرة " : هل تعرفهم جيداً ؟ "

وهز الأستاذ أورا رأسه مرة أخرى وتنهد قائلاً : – أنا أعرفهم وهم يعرفوننى " .

ولم تدر مومو ما تفسير هذه الإجابة الغريبة .

– " هل كنت لديهم مرات كثيرة ؟ "

–" كلا ، أبداً ، أنا لا أغادر " منزل اللامكان "على الإطلاق " .

– " لكن السادة الرماديين ، أقصد – إنهم يزورونك أحياناً ؟ "

وابتسم الأستاذ أورا وقال :" لا تقلقى ، صغيرتى مومو ، إنهم لا يستطيعون الدخول إلى هنا ، حتى وإن عرفوا الطريق إلى " حارة لم تكن أبداً " . ولكنهم لا يعرفون " .

وفكرت مومو برهة ، لقد هدأها تفسير الأستاذ أورا ، لكنها كانت تحب أن تعرف المزيد عنه ، وبدأت كلامها مرة أخرى :" من أين لك معرفة كل ذلك عن لافتاتنا وعن السادة الرماديين ؟"

فقال الأستاذ أورا مفسراً : " اننى أراقبهم وأراقب كل ما يتعلق بهم على الدوام .

وهكذا راقبتك أنت وأصدقاءك أيضاً " .

– " ولكن ألا تخرج أبداً من منزلك ؟"

فقال الأستاذ أورا وهو يصغر فى السن مرة أخرى وبشكل متزايد : " هذا ليس ضرورياً ، أنا لدى ، نظارة – " الرؤية الكلية " ، " وخلع نظارته الذهبية الصغيرة وناولها لمومو قائلاً :" أتريدين أن تنظرى من خلالها مرة ؟"

ولبستها مومو ، ورمشت بعينيها ونظرت من جانبها وقالت :" إننى لا أستطيع التعرف على شىء على الإطلاق ، " حيث إنها رأت فقط دوامة من الألوان المبهمة والأضواء والظلال ، وكادت تشعر بالدوار من ذلك .

وسمعت صوت الأستاذ أورا يقول :" نعم ، هذا ما يشعر به المرء فى البداية ، فليس بالسهل تماماً النظر بواسطة نظارة – الرؤية الكلية ، ولكنك سرعان ما ستتعودين عليه ."

ونهض ومشى خلف مقعد مومو ووضع كلتا يديه برفق على ذراعى النظارة الموضوعة على أنف مومو ، وعلى الفور أصبحت الصورة واضحة .

وشاهدت مومو فى البداية مجموعة السادة الرماديين ذوى السيارات الثلاثة عند طرف ذلك الحى من المدينة ذى الضوء العجيب ، وكانوا فى

تلك اللحظة يهمون بزحزحة سياراتهم إلى الوراء ، ثم نظرت إلى البعد إلى ما وراء ذلك فشاهدت مجموعات أخرى فى شوارع المدينة يتحدثون مع بعضهم بعصيبة ويلوحون بأيديهم ويبدو أنهم يصيحون لبعضهم برسالة ما .

وقال الأستاذ أورا موضحًا :" إنهم يتحدثون عنك إنهم لا يستطيعون إدراك أنك أفلت منهم " ، وأرادت مومو أن تعرف وهى تواصل النظر :" بالمناسبة لماذا تبدو وجوههم رمادية بهذا الشكل ؟"

فأجاب الأستاذ أورا :" لأنهم يحافظون على وجودهم بأشياء ميتة ، إنك تعرفين أنهم يعيشون من زمن حياة الناس ، ولكن هذا الزمن يموت فعلاً عندما يُنتزع من صاحبه الحقيقى ، لأن كل إنسان له زمنه ، وفقط طالما أنه ملكه بالفعل فإنه يظل حيًا . "

– " إذن فالسادة الرماديون ليسوا بشر على الإطلاق ؟"

– " كلا ، لقد اتخذوا فقط هيئة البشر " .

– " لكن من هم إذن ؟"

– " فى الواقع إنهم لا شىء " .

– " ومن أين أتوا ؟"

– " إنهم ينشأون ، لأن الناس يمنحونهم إمكانية أن ينشأوا ، فهذا يكفى لحدوث نشأتهم ، والآن الناس تمنحهم أيضًا إمكانية التحكم والتسلط فيهم ، وهذا أيضًا يكفى لحدوث ذلك " .

– " وإذا لم يستطيعوا سرقة الزمن ؟"

– " عندئذ يتحتم عليهم العودة إلى العدم الذى أتوا منه " .

وخلع الأستاذ أورا النظارة من مومو وأدخلها فى جيبه .

وبعد برهة استطرد قائلاً :" ولكن للأسف أنهم بالفعل لديهم كثير من الأعوان بين الناس ، وهذا هو الأمر السىء ".

فقالت مومو بحزم :" أنا لا أدع أحداً يأخذ منى زمنى !"

فرد الأستاذ أورا قائلاً : أرجو ذلك ، تعالى يامومو ، أريد أن أريك مجموعتى ".

وفجأة بدا الآن كرجل عجوز مرة أخرى .

وأخذ بيد مومو واقتادها إلى خارج القاعة الكبرى ، وهناك أراها هذه الساعة وتلك وجعل تروس وماكينات الساعات تسير ، وأقام لها عرضًا للقباب السماوية والساعات التى تبين الوقت فى أنحاء العالم وأصبح بالتدريج أصغر سنًا مرة أخرى لما رآه من بهجة وسرور باد على ضيفته الصغيرة بكل الأشياء العجيبة .

وسألها سؤالاً عارضًا بينما هما يواصلان السير :" أتحبين حل الألغاز ؟ "

فأجابت مومو :" أجل ، بكل سرور ! هل تعرف لغزاً ؟"

فقال الأستاذ أورا وهو ينظر إلى مومو مبتسمًا : " نعم ، ولكنه صعب جداً ، أقل عدد من الناس يستطيعون حله " .

فقالت مومو :" هذا حسن ، سوف أحفظه فى ذاكرتى وأقوله فيما

بعد لأصدقائى ليحلوه " فرد الأستاذ أورا قائلاً : " كما أنا مشتاق لمعرفة إذا كنت ستصلين للحل ، اسمعى جيداً :

ثلاثة أخوة يسكنون فى بيت ،
مظهرهم فى الحقيقة مختلف ،
لكن إذا أردت التفرقة بينهم ،
فكل واحد يشبه الإثنين الآخرين
الأول غير موجود ، سيأتى فيما بعد للبيت
الثانى غير موجود ، لقد خرج من البيت
الثالث فقط موجود ، وهو أصغر الثلاثة ،
وبدونه لن يكون للإثنين الآخرين وجود .
لكن الثالث هاهنا حيث يدور حوله الموضوع ،
فقط لأن الأول تحول وأصبح الثانى .
لأنك إذا أردت أن تشاهديه ،
فإنك سترين دائماً واحداً فقط من الأخوة الآخرين !
والآن قولى لى : هل الثلاثة ربما شخص واحد ؟
أم أنهم اثنان فقط - أم لا يوجد أحد على الإطلاق ؟
وإذا استطعت ياطفلتى أن تذكرى أسماءهم ،

فـــإنك ســـــتـــعـــــرفين ثـلاثة حـكام أشـــــداء .

وهم أيضًـا هم أنفـسـهم ! فـهم فـيـهـا مـتـسـاوون " .

ونظر الأسـتـاذ أورا إلى مـومـو وهز رأسـه مشـجـعًا ، وكـانت تنصت باهتمام ، ونظرًا لأنها كانت ذات ذاكرة ممتازة ، فقد كررت الآن اللغز ببطء كلمة كلمة .

ثم تنهدت قائلة :" يا خبر ! إنه لصعب حقًا ، ليس عندى أى فكرة ما يمكن أن يكون ، ولست أدرى على الإطلاق من أين أبتدىء : .

فقال الأستاذ أورا :" فقط حاولى " .

وتمتمت مومو مرة أخرى باللغز فى نفسها ، ثم هزت رأسها .

واعترفت قائة : " لا أستطيع " .

وفى تلك الأثناء كـانت السلحـفـاة قد وصلت ، وجلست إلى جـوار الأستاذ أورا تنظر إلى مومو بانتباه .

فقال الأستاذ أورا :" ما رأيك يا كاسيوبايا ، أنت تعرفين كل شىء نصف ساعة مسبقًا ، هل مومو ستحل اللغز ؟ "

فظهرت على ظهر كاسـيوبايا المدرع الكلمات التالية : " **سوف تحـلـه** !"

فقال الأستاذ أورا ملتفتًا إلى مومو : أترين ! سوف تحلينه ، كاسيوبايا لا تخطىء أبدًا " .

وقطبت مومو جبينها وراحت تجهد نفسها بالتفكير " أى ثلاثة أخوة موجودين يسكنون سوياً فى بيت واحد ؟ كون الأمر لا يدور حول البشر ، فهذا واضح ، فى الألغاز كان الأخوة دائمًا بذور تفاح أو أسنان أو ما شابه ذلك ، على كل حال أشياء من نفس النوع ، لكنهم هنا ثلاثة أخوة يتحول كل منهم إلى الآخر بطريقة ما ، ما هو الشىء الذى يتحول إلى نفسه ؟ ونظرت مومو حولها ، لقد كانت هناك مثلاً شموع ذات لهب لا يتحرك ، هنا يتحول الشمع عن طريق اللهب إلى ضوء ، نعم ، لقد كانوا ثلاثة أخوة ، لكن هذا ليس صحيحًا ، فالثلاثة موجودين كلهم هناك ، واثنان منهم ينبغى ألا يكونا موجودين ، وبدونها لا يوجد الاثنان الآخران ، لكن هذا ليس صحيحاً ! لأن البذرة يمكن رؤيتها جيداً جداً ، واللغز يقول أن المرء يرى واحداً من الأخوة الآخرين إذا أراد رؤية أصغر الثلاثة .

وتخبطت أفكار مومو ، ولم تقدر ولم تستطع العثور على أثر يأخذ بيدها للأمام .

ولكن كاسيوبايا قالت أنها سوف تعثر على الحل ، وبدأت مرة أخرى من الأول وتمتمت بكلمات اللغز ببطء لنفسها .

وعندما وصلت إلى الموضع القائل :" الأول ليس موجوداً وسوف يأتى فيما بعد إلى البيت " رأت أن السلحفاة تغمز لها بعينيها ، وظهرت على ظهرها الكلمات التالية :" **هذا الذى أعرفه** !" ثم اختفت مرة أخرى على الفور .

فقال الأستاذ أورا مبتسمًا دون أن ينظر ناحيتها :" سكوت يا كاسيوبايا ! لا تلقنيها ! مومو تستطيع وحدها تمامًا ؛ .

طبعًا كانت مومو قد رأت الكلمات على ظهر السلحفاة المدرع

وبدأت الآن فى التفكير ، فيما يمكن أن يكون ، ما هو الشىء الذى كانت كاسيوبايا تعرفه ؟ لقد عرفت أن مومو سوف تحل اللغز ، لكن هذا لا يعطى أى معنى .

ماذا كانت تعرفه أيضًا ؟ كانت تعرف دائمًا كل ما سوف يحدث ، كانت تعرف ...... وصاحت مومو بصوت عال :" المستقبل ! فالأول غير موجود ، فهو يأتى فيما بعد إلى البيت – إنه المستقبل ! "

وهز الأستاذ أورا رأسه .

واستطرت مومو قائلة :" والثانى غير موجود ، فقد انصرف فعلاً ، هذا هو الماضى إذن !"

ومرة أخرى هز الأستاذ أورا رأسه وابتسم فى سعادة .

وقالت مومو فى تفكير : " لكن الآن ، الآن سيصبح اللغز صعبًا ، ما هو الثالث ؟

إنه أصغر الثلاثة ، ولكن بدونه لا يوجد كلا الآخرين ، هكذا يقول اللغز ، وهو الوحيد الموجود ، " وفكرت ثم صاحت فأجأة : " إنه الآن ! اللحظة الماضى هو اللحظات المنصرفة والمستقبل هو اللحظة القادمة ! إذن فإن الإثنين لا يكونا موجودين إذا لم يوجد الحاضر ، هذا صحيح ! " وبدأت وجنتا مومو فى التوهج من الحماس ، واستطرت قائلة :" لكن ما معنى ما سيأتى الان ؟ لكن الثالث هاهنا حيث يدور حوله الموضوع .

فقط لأن الأول تحول وأصبح الثانى ......

هذا يعنى إذن أن الحاضر يكون موجوداً فقط لأن المستقبل يتحول إلى ماضى ! "

ونظرت إلى الأستاذ أورا فى دهشة :" هذا صحيح ! إننى لم أفكر فى ذلك أبداً ، لكن إذن فإن اللحظة غير موجودة على الإطلاق ولكن يوجد فقط الماضى والمستقبل ؟

لأن الآن على سبيل المثال ، هذه اللحظة – عندما أتحدث عنها ، تكون بالفعل أصبحت ماضياً ! آه ، الآن فهمت معنى : " لأنك إذا أردت أن تشاهديه ، فإنك سترين دائماً واحداً فقط من الأخوة الآخرين " . والآن فهمت أيضاً الجزء المتبقى ، لأنه من الممكن أن يكون المقصود أن واحدا فقط من الثلاثة إخوة موجوداً : ألا وهو الحاضر ، أو الماضى والمستقبل فقط . أو لا يوجد أحد على الإطلاق ، لأن كل واحد يوجد فقط إذا كان الآخران موجودين أيضاً ! لأن كل شىء يدور فى رأس المرء ! "

فقال الأستاذ أورا : " لكن اللغز لم ينته بعد ، فما هى المملكة العظيمة التى يحكمها الثلاثة سوياً ، وأنهم هم أنفسهم ؟"

ونظرت إليه مومو فى حيرة ، فما يمكن أن يكون هذا ؟ فما هو الماضى والحاضر والمستقبل ، وكلهم سوياً ؟

ونظرت حولها فى القاعة الهائلة ، وتجول بصرها فوق آلاف وعدة آلاف من الساعات ، وفجأة برقت عيناها .

فصـــاحت وصـفقت بيديـها :" الزمن ! نعـم ، إنه الزمن ! الزمن هـو ذلك !"

وقفزت عدة مرات من السرور .

وطالبـهـا الأسـتـاذ أورا بما يلى :" والآن قـولى لى أيضًـا ، مـا هـو البيت الذى يسكن فيه الأخوة الثلاثة ! "

فأجابت مومو : "إنه الدنيا" .

فصـاح الأسـتـاذ أورا الآن وصفق أيضًـا بيديه قـائلاً :" برافو ! لك إحترامى يا مـومو ! أنـت تفهمين فى حل الألغاز ! لقد أدخل هذا سرورا على نفسى حقًا ! "

وردت مومو وتعجبت فى داخلها قليلاً لماذا ابتهج الأستاذ أورا لأنـها حلت اللغز ، واستـمرا فى السير خلال قاعة الساعات وأراها الأسـتـاذ أورا أشياء أخرى ، وسألت أخيراً :

" قل لى ، ما هو الزمن فى الحقيقة ؟ "

فرد الأستاذ أورا :" لقد استخلصت أنت نفسك معنى ذلك . "

فأبانت مومو بقولها :" لا أنا أقصد الزمن نفسه - لابد وأن يكون شيئًا ما ، فهو موجود ، ما هو فى الحقيقة ؟ "

فقال الأستاذ أورا :" سيكون جميلاً إذا ما أجبت أنت أيضًا بنفسك على ذلك . "

وفكرت مومو طويلاً .

وتمتمت قائلة وهى شاردة الذهن : إنه موجود ، هذا مؤكد على كل حال ، ولكن المرء لا يستطيع لمسه ، ولا يستطيع الإمساك به ، ربما هو شىء كالعطر ؟ لكنه أيضًا شىء يمر وينقضى على الدوام ، إذن فلابد وأنه يأتى من مكان ما أيضاً ، ربما هو شىء ما مثل الرياح ؟

أم لا ! الآن عرفت ! ربما هو نوع من الموسيقى غير المسموعة فقط لأنه موجود دائمًا ، مع أنى ، على ما أعتقد ، قد سمعته أحيانًا بصوت خافت تمامًا " .

فهز الأستاذ أورا رأسه قائلاً :" أنا أعرف ، ولذلك استطعت أن أستدعيك إلى " .

وقالت مومو التى تابعت التفكير :" لكن لابد أن يكون هناك شىء آخر معه ، فالموسيقى كانت تأتى من بعيد ولكن رنينها كان فى أعماقى الدفينة ، ربما الأمر هكذا بالنسبة للزمن " .

وصمتت وهى مضطربة وأضافت فى حيرة :" أقصد ، هكذا مثل الأمواج التى تثيرها الرياح فى الماء ، أخ ، وربما ما أقوله هراء !"

وقال الأستاذ أورا :" من رأيى أنك عبرت بشكل جميل جداً ، ولذلك أريد أن أأتمنك على سر وهو : من هنا منزل - " اللامكان فى حارة - لم تكن أبداً " يأتى زمن البشر " .

ونظرت إليه مومو فى تبجيل واحترام وقالت : " أوه ، هل تصنعه أنت بنفسك ؟"

وابتسم الأستاذ أورا مرة أخرى وقال :" لا ، ياطفلتى ، إننى فقط المدير ، وواجبى هو أن أوزع على كل إنسان زمنه المحدد له " .

فسألت مومو :" ألا تستطيع إذن بكل بساطة أن تعمل على ألا يعود لصوص الزمن إلى سرقة الزمن من الناس ؟ "

فأجاب الأستاذ أورا قائلاً : " كلا لا أستطيع ذلك ، لأن الناس يجب أن يحددوا بأنفسهم ما يفعلونه بزمنهم ، وعليهم أيضًا أن يدفعوا عنه بأنفسهم ، إننى أستطيع فقط توزيعه عليهم " .

ونظرت مومو حولها فى القاعة ثم سألت : " هل هذه الساعات الكثيرة لهذا السبب ؟ لكل إنسان ساعة ، أهو ذلك ؟ "

فرد الأستاذ أورا قائلاً : لا يامومو ، هذه الساعات هوايتى فقط ، إنها ليست سوى محاكاة ناقصة تمامًا لما لدى كل إنسان فى صدره ، لأنه كما أن لديكم عيون ترون بها النور ، وآذان تسمعون بها الرنين ، فلديكم قلب تدركون به الزمن ، وكل زمن لا تدركه القلوب ، زمن مفقود ، مثل ألوان الطيف بالنسبة للأعمى أو كمثل أنشودة الطائر بالنسبة للأصم ، ولكن للأسف توجد قلوب عمياء وصماء ، لا تعى شيئًا رغم أنها تنبض"؟ "

فسألت مومو : « وعندما يقف قلبى عن النبض ؟ »

فرد الأستاذ أورا :" عندئذ ينتهى بالنسبة لك الزمن ، يابنيتى ، ويمكن القول أيضًا ، أنك أنت نفسك التى تعود عبر الزمن ، عبر كل أيامك ولياليك، شهورك وسنواتك ، إنك تعودين متجولة عبر حياتك إلى أن تأتى إلى البوابة الفضية المستديرة الكبرى ، التى جئت منها من قبل يومًا ما ، ومن هناك تخرجين مرة أخرى " .

- " وماذا يوجد على الجانب الآخر ؟"

- " عندئذ تكونين هناك ، من حيث تأتى الموسيقى التى سمعتيها بصوت خافت تمامًا ، لكن عندئذ تنتمين إليها ، وتكونين أنت نفسك نغمة من نغماتها " .

ونظر إلى مومو - متفحصًا - وقال : " لكنك ربما لا تستطيعين فهم ذلك بعد ؟ "

فقالت مومو بصوت منخفض : " بلى ، أعتقد أننى أفهم " .

وتذكرت طريقها الذى سلكته " عبر حارة - التى لم تكن أبدًا " ، التى عايشت فيها كل شىء بالعكس ؟ ، وسألته : " هل أنت الموت ؟ "

وابتسم الأستاذ أورا وصمت برهة قبل ان يجيب بقوله : " لو أن الناس عرفت ما هو الموت ، لما خافوا منه ، وإذا لم يخافوا منه ، فلن يستطيع أحد أن يسرق منهم زمن حياتهم " .

واقترحت مومو قائلة : " إذن على المرء أن يخبرهم بذلك فقط " .

فسأل الأستاذ أورا قائلاً : " أهذا رأيك ؟ إننى أقولها لهم مع كل ساعة أوزعها عليهم ، لكننى أخشى ألا يرغبوا فى سماع ذلك مطلقًا ، إنهم يفضلون أن يصدقوا هؤلاء الذين يبعثون فيهم الخوف ، وهذا لغز أيضًا " .

فقالت مومو : " أنا لست خائفة " .

فهز الأستاذ أورا رأسه ببطء ، ونظر إلى مومو طويلاً ، ثم سألها : " أتريدين أن تشاهدى من أين يأتى الزمن! "

فهمست قائلة : " أجل " .

فقال الأستاذ أورا : " سوف آخذك إلى هناك ، لكن فى ذلك المكان لابد من الصمت ، فغير مسموح بسؤال شىء وقول شىء ، فهل تعدينى بذلك ؟ "

فهزت مومو رأسها فى صمت .

فانحنى الأستاذ أورا إليها إلى أسفل ورفعها عاليًا وأخذها بقوة فى أحضانه ، وبدا لها دفعة واحدة ضخمًا جدًا ، وعجوزًا بشكل لا يمكن التعبير عنه ، ولكن ليس كرجل ولكن كشجرة موغلة فى القدم أو مثل جبل صخرى ، ثم غطى عينيها بيده ، وأحست بذلك كأنه ثلج خفيف بارد سقط على وجهها .

وشعرت مومو كما لو أن الأستاذ أورا يمشى معها عبر ممر طويل مظلم ، ولكنها شعرت أيضًا بالأمان التام ولم يكن لديها خوف ، وفى البداية اعتقدت أنها تسمع ضربات قلبها الخاص ، ولكنه بعد ذلك بدا بشكل متزايد على الدوام كما لو كان فى الحقيقة صدى وقع أقدام الأستاذ أورا ، لقد كان طريقًا طويلاً ، ولكنه حط عنه مومو أخيرًا ، واقترب وجهه من وجهها ، ونظر إليها بعينين واسعتين ووضع إصبعه فوق شفتيه ، ثم انتصب بقامته ورجع للوراء ، دغش ذهبى أحاط بهما .

وأدركت مومو شيئًا فشيئًا أنها تقف أسفل قبة هائلة مستديرة تمامًا ، بدت لها مثل قبة السماء الكاملة ، وهذه القبة العملاقة كانت من أنقى أنواع الذهب .

وفوق إلى أعلى بالوسط كانت هناك فتحة مستديرة يسقط منها عمود من النور يسقط رأسيًا فوق بركة مستديرة أيضًا ، سطح مائها الأسود مستو وساكن مثل المرآة داكنة اللون .

فوق الماء وملاصقًا له كان هناك شىء يتلألأ فى عمود النور كالنجم اللامع ، وكان يتحرك ببطء جليل ، وتبين لمومو أنه بندول مهول يتأرجح

فوق الصفحة السوداء جيئة وذهابًا ، ولكنه لم يكن متعلقًا من أى مكان ، وكان هائمًا حائمًا ويبدو كما لو كان لا وزن له .

وعندما ازداد اقتراب بندول النجوم الآن ببطء من حافة البركة على الدوام ، طفت برعمة زهرة ضخمة من المياه الداكنة ، وكلما اقترب البندول ، كلما ازداد تفتحها ، إلى أن أصبحت فى آخر الأمر يانعة كاملة التفتيح فوق صفحة الماء .

لقد كانت زهرة ذات رونق وبهاء لم تره مومو من قبل أبدًا ، وبدت كما لو كانت لا تتكون من شىء سوى الألوان المضيئة ، ولم تكن مومو تعتقد مطلقًا بوجود هذه الألوان أبدًا وتوقف بندول النجوم برهة فوق الزهرة ، واستغرقت مومو كلية فى هذا المشهد ونسيت كل شىء حولها ، وبدالها العطر وحده كشىء كانت تشتاق إليه دائمًا دون أن تعرف ما هو .

ولكن البندول عاد مرة أخرى إلى التأرجح ببطء شديد ، وبينما هو يبتعد شيئًا فشيئًا لاحظت مومو فى ذهول بأن الزهرة الرائعة بدأت فى الذبول ، وانفصلت ورقة تلو الأخرى وغرقت فى العمق المظلم ، وكان إحساس مومو أليما كما لو أن شيئًا لا يمكن إسترجاعه قد ذهب عنها إلى الأبد ، وعندما وصل البندول فوق وسط البركة السوداء ، كانت الزهرة الرائعة قد تحللت تمامًا ، لكن فى نفس الوقت بدأت على الجانب المواجه برعمة فى الصعود من المياه المظلمة ، وعندما اقترب البندول الآن اقترب ببطء منها ، رأت مومو أنها زهرة أكثر روعة ، تلك بدأت فى التفتح ، ومشت الطفلة حول البركة كى تتأملها عن قرب .

لقد كانت مختلفة قلبًا وقالبًا عن الزهرة السابقة ، وحتى ألوانها لم تر مومو مثلها من قبل أبدًا ، ولكن بدا لها كما لو كانت هذه هنا أكثر قدرًا وثراءً ، وكانت تبعث عطرًا مختلفًا تمامًا ، أروع بكثير وكلما أطالت مومو من تأملها كلما اكتشفت فيها مزيدًا من التفاصيل الرائعة .

لكن بندول النجوم عاد مرة أخرى وذهب البهاء وتحلل وغرق ، ورقة ورقة فى الأعماق السحيقة للبركة السوداء .

ببطء شديد تجول البندول عائداً إلى الجانب المواجه ، ولكنه الآن لم يصل إلى هذا الموضع كما سبق ، ولكنه انتقل إلى موضع أبعد قليلاً ، وهناك على بعد خطوة من الموضع الأول بدأت مرة أخرى برعمة فى الصعود والتفتح شيئًا فشيئًا .

وهذه الزهور الآن كانت هى الأجمل ، كما بدت لمومو ، وكانت هذه هى زهرة كل الزهور وأعجوبة فريدة !

وكانت مومو تود كل الود أن تبكى بصوت عال عندما اضطرت لرؤية أن هذا الكمال قد بدأ أيضاً فى الذبول والغرق فى الأعماق المظلمة ، ولكنها تذكرت وعدها الذى قطعته على نفسها للأستاذ أورا ، وظلت صامتة .

وكان البندول قد تحرك الآن أيضاً خطوة أبعد على الجانب المواجه وصعدت زهرة جديدة من المياه الداكنة ، وأدركت مومو بالتدريج أن كل زهرة كانت تختلف تماماً عن جميع السابقين دائمًا وأنه بدا لها أن التى كانت تزدهر وتتفتح فى تلك اللحظة هى الأجمل .

وشاهدت وهى تتجول حول البركة على الدوام كيف تنشأ زهرة تلو الأخرى ثم تنذوى مرة أخرى ، وكانت تشعر بأنه لا يمكنها أبداً أن تتعب من هذا المشهد ، ولكن شيئًا فشيئًا لاحظت أن هناك أمرًا مختلفًا يحدث بلا انقطاع ، أمر لم تكن قد لاحظته من قبل ، وعامود النور الذى كان يشع من وسط القبة إلى أسفل لم يعد يرى فقط ، لقد بدأت مومو

الآن تسمعه أيضًا ، فى البداية كان مثل الحفيف ، كالرياح التى تسمع من بعيد فى أفنان الأشجار ، ثم ازداد الحفيف شدة إلى أن أصبح مثل شلال الماء أو هدير أمواج البحر المتلاطمة على شاطىء صخرى ، وسمعت مومو بوضوح متزايد على الدوام أن هذا الهدير يشتمل على أنغام لا تحصى تعيد تنظيم نفسها فيما بينها باستمرار ، تتغير وتشكل بلا انقطاع هارمونيات مختلفة ، لقد كانت موسيقى لكن في نفس الوقت شىء مختلف تمامًا ، وفجأة تعرف مومو عليها : لقد كانت الموسيقى التى كانت تسمعها أحياناً بصوت خافت كما لو كانت تأتى من بعيد عندما كانت تنصت وهى أسفل سماء الصمت ذات النجوم المتلألئة .

أصبحت الأنغام أكثر وضوحًا وأكثر إشعاعًا ، شعرت مومو أن هذا الضوء ذو الرنين هو الذى كان يستحضر من أعماق المياه الداكنة زهرة من الزهور ويشكل كل منها على هيئة أخرى فريدة لا تتكرر .

وكلما أطالت السمع كلما استطاعت بشكل واضح أن تفرق بين الأصوات المنفردة ، ولكنها لم تكن أصواتًا بشرية بل كان رنينها كما لو كان الذهب والفضة وجميع المعادن الأخرى تغنى ، ثم طفت أصوات من نوع آخر تمامًا كما لو كانت من ورائها ، أصوات تأتى من مسافات لا يمكن تخيلها وبقوة لا يمكن وصفها ، وازدادت وضوحًا على الدوام لدرجة أن مومو سمعت الآن شيئًا فشيئًا كلمات ، كلمات لغة لم تسمعها من قبل وبرغم ذلك فهمتها ، لقد كانت الشمس والقمر والكواكب وجميع النجوم هى التى تبوح بأسمائها الحقيقة ، وفى هذه الأسماء كان يكمن قرارما تفعله وكيف تتناسق فى عملها جميعًا كى تجعل كل زهرة من زهور الساعات هذه تنشأ وتنذوى ثانية .

وفجـأة أدركت مومو أن كل هذه الكلمـات موجـهة إليها ! الدنيا كلها حتى أكثر النجوم بعداً كانت متجـهة إليها ! كما لو كانت وجهًا واحداً ضخماً لايمكن تصور ضخامته ينظر إليها ويتحدث إليها ! وتملكها شيء أقوى من الخوف .

وفي هذه اللحظة رأت الأستاذ أورا ، الذى أشار إليها صامتًا بيده . واندفعت إليه فأخذها على ذراعه وأخفت وجهها فى صدره ، ومرة أخرى حطت يديه فى خفة الثلج على عينيها ، وأظلمت الدنيا وسكنت وأحست بالأمان ، ومشى معها عائداً فى الممر الطويل ، وعندما كانا مرة أخرى فى الغرفة الصغيرة بين الساعات ، أرقدها فوق الأريكة الصغيرة ، وهمست مومو : « أستاذ أورا إننى لم أعرف أبداً أن زمن كل الناس بهذا الشكل بـ... » - وبحثت عن الكلمة الصحيحة ولم تستطع العثور عليها - وأخيراً قالت : « بهذا الشكل الكبير . »

فرد الأستاذ أورا : « إن ما شاهدتيه وسمعتيه يامومو لم يكن زمن كل الناس .

لقد كان فقط زمنك أنت ، وفى كل إنسان يوجد هذا الموضع الذى كنت فيه منذ قليل ، ولكن إلى هناك يأتى فقط من يجعلنى أحمله إلى هناك ، ولا يستطيع المرء أن يراه بالعيون العادية .»

- « وأين كنت أنا ؟ »

فقال الأستاذ أورا وهو يمسح بحنان فوق شعرها الأشعث : « داخل قلبك الخاص » .

وهمست مومو مرة أخرى قائلة : « أستاذ أورا هل مسموح لى أن أحضر أصدقائى إليك أيضاً ؟ »

فأجاب : كلا هذا غير ممكن الآن »

– كم من الوقت مسموح لى البقاء عندك ؟ »

– « إلى أن تشعرى بحنين يشدك أنت نفسك إلى أصدقائك ، ياطفلتى »

– « لكن هل مسموح لى أن أحكى لهم ما قالته النجوم ؟ »

– « مسموح لك ، ولكنك لن تستطيعى ذلك .»

– « لماذا لا ؟ »

– « لابد أن تنمو بداخلك الكلمات أو لا . »

– « ولكن أود أن أحكى لهم ذلك جميعًا أود أن أستطيع أن أغنى لهم تلك الأصوات ، أعتقد أن كل شىء سيصبح عندئذ على ما يرام . »

– « إذا كنت تريدين ذلك حقًا يامومو ، لابد أن تستطيعى الانتظار »

– « الإنتظار لا يزعجنى . »

– « الإنتظار ياطفلتى ، مثل البذرة التى ترقد فى الأرض طيلة دورة كاملة للشمس ، قبل أن تستطيع التفتح ، إلى هذا الحد يطول الوقت إلى أن تنمو الكلمات بداخلك ، هل تريدين ذلك ؟ »

فهمست مومو قائلة : « نعم » .

فقال الأستاذ أورا وهو يمسح على عينيها : « إذن نامى ، نامى »

وأخذت مومو شهيقًا عميقًا فى سعادة وراحت فى النوم .

الجزء الثالث

زهور الساعات

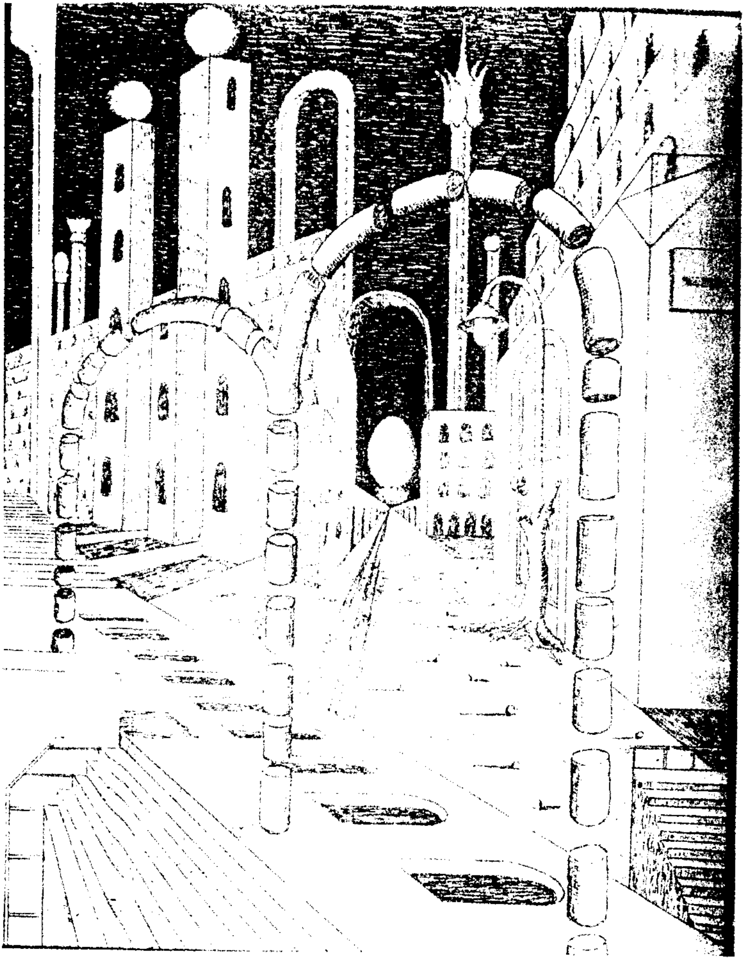

الفصل الثالث عشر

هناك يوم وهنا سنة

استيقظت مومو وفتحت عينيها ، وكان عليها أن تفكر برهة أين هى ، وقد أصابها الإضطراب بأن تجد نفسها مرة ثانية فوق الدرجات الحجرية التى تنمو فوقها الحشائش للمسرح الدائرى القديم ، ألم تكن منذ لحظات قليلة لاتزال فى منزل اللامكان لدى الأستاذ أورا ؟ فكيف جاءت فجأة إلى هنا ؟

لقد كان الجو بارداً ومظلماً . وعلى الأفق الشرقى طلع ضوء الفجر الأول ، وكانت مومو ترتعش من البرد وشدت سترتها الواسعة جداً أكثر إحكاماً على جسمها .

وتذكرت بكامل الوضوح كل ما عايشته ، التجوال الليلى من خلال المدينة الكبيرة خلف السلحفاة ، حى المدينة ذى النور الغريب والبيوت البيضاء المبهرة للنظر ، « حارة - التى لم تكن أبداً » ، القاعة ذات الساعات التى لاتحصى ، مشروب الشيكولاته والخبز المدهون بالعسل ، كل كلمة من حديثها مع الأستاذ أورا واللغز ، وقبل كل شىء تذكرت خبرتها تحت القبة الذهبية ، وما كان عليها إلا أن تغلق عينيها كى ترى

الشمس والقمر والنجوم لازالت ترن فى أذنيها على الدوام ، بوضوح لدرجة أنها كانت تستطيع أن تشارك فى دندنة الألحان .

وبينما هى تفعل ذلك تشكلت بداخلها كلمات ، كلمات تعبر حقًا عن عطر الزهور وألوانها التى لم ترها من قبل أبدًا ! والأصوات داخل ذاكرة مومو هى التى نطقت بهذه الكلمات - ولكن حدث بهذا التذكر نفسه شىء عجيب فلم تعثر مومو بداخلها فقط على ما شاهدته وسمعته ، ولكن فوق ذلك المزيد والمزيد ، فلقد تصاعدت آلاف الصور من زهور - الساعات كما لو كانت آتية من نبع سحرى لاينضب ، ومع كل زهرة رنت كلمات جديدة . ولم يكن على مومو إلا أن تنصت باهتمام إلى داخلها كى تعيد نطق هذه الكلمات بل والاشتراك فى التغنى بها ، لقد كان الحديث عن أشياء سرية وعجيبة ، واستطاعت مومو أن تفهم معانى الكلمات بأن أعادت النطق بها .

إذن هذا هو ما كان يقصده الأستاذ أورا عندما قال إن على الكلمات أن تنمو أولاً بداخلها ! أم كان كل شىء ليس سوى حلم فى النهاية ؟ ألم يحدث كل هذا فى الحقيقة ؟

ولكن بينما مومو مستمرة فى التفكير ، رأت فى المكان المستدير بالوسط شيئًا يزحف ، لقد كانت سلحفاة تبحث هناك بكل هدوء عن أعشاب تأكلها !

وبسرعة نزلت مومو إليها وجلست القرفصاء إلى جوارها على الأرض ، ورفعت السلحفاة رأسها لفترة وجيزة فقط وتفحصت الطفلة بعينيها السوداوين العجوزين واستمرت فى الأكل بهدوء تام ، فقالت مومو : « صباح الخير ، ياسلحفاة . »

ولم يظهر رد على ظهر السلحفاة المدرع .

فسألت مومو : « هل كنت أنت التى أخذتنى اليوم ليلاً إلى الأستاذ أورا ؟»

ومرة أخرى لارد ، وتنهدت مومو بخيبة أمل ، وتمتمت قائلة : « ياخسارة ، فما أنت إلا سلحفاة عادية ، ولست .... أخ ، **لقد** نسيت الاسم ، لقد كان اسمًا جميلاً ، ولكن كان طويلاً وغريباً ، ولم أسمعة من قبل أبداً . »

وفجأة ظهرت على ظهر السلحفاة المدرع حروف مضيئة ضوءاً ضعيفاً : « **كاسيوبايا** » فصاحت وهى تصفق بيدها : « نعم ، لقد كان هذا هو الاسم إذن فأنت هى ؟ أنت سلحفاة الأستاذ أورا ، أليس كذلك ؟ »

- « **ومن غير ذلك** ؟»

- « ولكن لماذا لم تردى علىّ فى بادى الأمر ؟»

فقرأت مومو « **أنا أتناول طعام الأفطار** »

فردت مومو : « معذرة لم أكن أريد إزعاجك ، إننى أريد فقط أن أعرف كيف حدث أننى فجأة موجودة هنا ؟ »

فظهرت الإجابة : « **رغبتك** »

فتمتمت مومو : « أمر غريب ، لا أستطيع تذكر ذلك ، وأنت ياكاسيوبايا ؟ لماذا لم تبق مع الأستاذ أورا ، بل أتيت معى ؟ »

فظهر على ظهر السلحفاة المدرع : « **رغبتى** »

فقالت مومو : « شكرًا جزيلاً ، هذا لطيف منك . »

وكان الرد : « **عفوًا** » وبذلك بد الحديث قد انتهى بالنسبة للسلحفاة إلى حين ، لأنها واصلت الدبيب كى تستكمل إفطارها الذى قطعته .

وجلست مومو فوق الدرجات الحجرية وهى سعيدة باللقاء القادم مع بيبو وجيجى والأطفال ، وأنصتت مرة أخرى للموسيقى التى لم تكف عن الرنين بداخلها ، وبرغم أنها كانت وحيدة تمامًا ولم يكن يسمعها أحد من الناس فقد غنت فى عين الشمس مباشرة التى كانت تشرق الألحان والكلمات بصوت متزايد فى الإرتفاع والشجاعة دائمًا ، وبدا لها كما لو كانت الطيور والجداجد والأشجار بل والأحجار القديمة تنصت لها هذه المرة .

ولم يكن فى استطاعتها معرفة أنها ستنتظر اصدقاءها بلا أدنى جدوى ، وأنها كانت غير موجودة لفترة طويلة جدًا ، وأن الدنيا قد تغيرت فى هذه الأثناء .

كانت مهمة السادة الرماديين سهلة نسبيًا مع جيجى المرشد السياحى .

لقد بدأ الأمر أن ظهر حوالى منذ عام بعد يوم اختفاء مومو بوقت قصير فجأة وبلا أثر ، ظهر مقال طويل عن جيجى فى الجريدة ، كتب فيه : « آخر قصاص حقيقى » وكتب إلى جانب ذلك أين ومتى يمكن مقابلته ، وبأنه شىء مدهش لاينبغى لأحد أن يفوته لقائه .

ونتيجة لذلك ازداد حضور الناس إلى المسرح الدائرى القديم الذين كانوا يريدون رؤية وسماع جيجى ، وطبعًا جيجى لم يكن لديه اعتراض على ذلك .

وكان يحكى كالمعتاد دائمًا ما يخطر على باله فى لحظتها ويسير فى النهاية بقلنسوته التى كانت تمتلئ كل مرة أكثر بالنقود المعدنية والورقية ، وسرعان ما عينته شركة سياحية كانت تدفع له مبلغًا ثابتًا إضافيًا فى مقابل الحق فى تقديمه هو نفسه من المعالم السياحية ، وأحضر السياح فى باصات وبعد فترة وجيزة كان على جيجى أن يحدد جدولاً زمنيًا منتظمًا كى يجد جميع من دفع نقوده لذلك الفرصة لسماعه ، وفى ذلك الوقت بدأ يفتقد مومو ، لأن حكاياته لم تعد لها أجنحة يرغم أنه كان يرفض بثبات دائمًا أن يحكى نفس القصة مرتين حتى وإن عرض عليه نقودًا مضاعفة ، وبعد شهور قليلة لم يعد فى حاجة للظهور فى المسرح الدائرى القديم والسير بقلنسوته فقد استدعته الإذاعة وبعد ذلك بفترة وجيزة التليفزيون أيضًا ، وهناك كان يحكى ثلاث مرات فى الأسبوع حكاياته أمام ملايين المستمعين وكسب أموالا طائلة ، وفى تلك الأثناء لم يعد يسكن بالقرب من المسرح الدائرى القديم بل فى حى من أحياء المدينة مختلف تمامًا ، حيث يسكن جميع الأغنياء والمشاهير ، وأستأجر منزلاً كبيرًا حديثًا يقع وسط حديقة معتنى بها ، ولم يعد يطلق على نفسه اسم جيجى ولكن جيرولامو .

وبالطبع توقف منذ وقت طويل عن اختلاق حكايات جديدة دائمًا كسابق عهده فلم يعد لديه وقت لذلك ، وبدأ يقتصد فى خواطره ، فالآن جعل من فكرة واحدة أحيانًا خمس حكايات مختلفة .

وعندما لم يعد ذلك يكفى أيضًا كى يفى بالمطالب المتزايدة ، فعل فى يوم من الأيام ما لم يكن يجوز أن يفعله : فقد حكى حكاية من الحكايات التى كانت تخص مومو وحدها فقط .

وهذه أيضًا حُكيت بسرعة ولهوجة كغيرها جميعًا وطواها النسيان على الفور ، وطالبوه بحكايات أخرى ، وأصاب جيجى من هذه السرعة دوار لدرجة أنه دون تفكير أفشى بجميع الحكايات واحدة تلو الآخرى والتى كانت مخصصة لمومو فقط ، وعندما انتهى من قص آخر حكاية شعر فجأة أنه خاو وأجوف وليس فى أستطاعته ابتكار شىء آخر .

ومن خوفه من احتمال أن يجانبه التوفيق مرة أخرى ، بدأ يحكى جميع حكاياته مرة ثانية بأسماء جديدة وبتغيير بسيط فقط ، ومما يدعو للدهشة أن لا أحد بدا يلاحظ ذلك .

وعلى كل حال فلم يضر ذلك بالطلب عليه ، وتشبث جيجى بذلك كالغريق المتشبث بلوح من الخشب ، لأنه الآن غنى ومشهور ، ألم يكن هذا ما كان يحلم به دائمًا ؟ .

ولكنه أحيانًا فى الليل وهو راقد فى فراشة ذى الغطاء الحريرى ، كان يشتاق إلى الحياة الآخرى حيث كان يستطيع البقاء مع مومو وبيبو العجوز والأطفال سويًا ، وحيث كان حقا يستطيع سرد الحكايات .

ولكن لم يكن هناك سبيل يؤدى إلى عودته هناك ، لأن مومو كانت وظلت مختفية ، وفى بادىء الأمر قام جيجى ببعض المحاولات الجادة لإعادة العثور عليها ، وفيما بعد لم يبق لديه وقت لذلك .

والآن وعنده ثلاث سكرتيرات ماهرات يقمن بإبرام التعاقدات له ، ويملى عليهن حكاياته ، ويقمن بعمل الدعاية له وينظمن مواعيده ، ولكن لم يكن ممكنًا على الإطلاق إدخال موعد للبحث عن مومو ضمن المواعيد .

ولم يبق من جيجى القديم إلا الشىء القليل ، ولكنه فى يوم من الأيام جمع شتات ذلك الجزء القليل وقرر أن يعيد التفكير فى نفسه ، وقال لنفسه : إنه الآن شخص لصوته وزن وأهمية ويستمع له الملايين ، فمن إذًا لم يكن هو ، يستطيع أن يقول للناس الحقيقة ! لقد كان يريد أن يحكى لهم عن السادة الرماديين ! وأراد أن يقول للناس الحقيقة ! ليست قصة مختلقة وإنه يرجو جميع مستمعيه أن يساعدوه فى البحث عن مومو .

وقد اتخذ هذا القرار فى إحدى تلك الليالى التى كان يشتاق فيها إلى أصدقائه القدامى وعندما أتى ضوء الفجر جلس على مكتبه الكبير كى يكتب ملاحظاته حول خطته ، ولكن قبل أن يكتب أول كلمة رن جرس التليفون ، ورفع السماعة واستمع وتصلب من الرعب .

لقد تحدث إليه صوت غريب لا حياة فيه ، فلنقل بلون الرماد ، وأحس فى نفس الوقت بداخله بتصاعد البرودة التى بدت كما لو كانت تأتى من نخاع عظامه ، وقال الصوت :" دع هذا ! إننا ننصحك بما فيه صالحك " .

فسأل جيجى :" من هناك ؟"

فرد الصوت قائلاً :" أنت تعرف ذلك جيداً تمامًا ، لسنا فى حاجة لتقديم أنفسنا .

صحيح أنك لم يحدث لك شخصيًا السرور الإلتقاء معنا ، ولكنك تنتمى إلينا بلحمك وشحمك منذ أمد بعيد ، قل ، ألم تكن ذلك ؟ "

– " ماذا تريدون منى ؟"

– " إن ما كنت تنويه لا يعجبنا ، كن لطيفًا ، ودع ذلك ، صوافق ؟"

واستجمع جيجى كل شجاعته .

وقال :" لا ، لن أدع هذا ، إننى لم أعد جيجى المرشد السياحى الصغير المجهول .

إننى الآن رجل مشهور ، ولسوف نرى إذا ما كنتم ستستطيعون التغلب على ".

وضحك الصوت ضحكة ميتة وبدأت أسنان جيجى فجأة تتخبط ببعضها .

وقال الصوت :" أنت نكرة ، لقد صنعناك أنت دمية من المطاط ، لقد نفخناك ، ولكن إذا ما أغضبتنا فإننا سنخرج الهواء منك مرة أخرى ، أم أنك تعتقد بجد أن ما أنت عليه الآن يرجع فضله لك ولموهبتك عديمة القيمة ؟"

فأجاب جيجى بصوت مسموح : " نعم اعتقد ذلك "

فقال الصوت :" مسكين أنت ياجيجى الصغير ، إنك مخرف وستبقى مخرف .

لقد كنت فيما مضى الأمر جيرولامو فى قناع الصعلوك المسكين جيجى ، ومن أنت الآن ؟ الصعلوك المسكين جيجى فى قناع الأمير جيرولامو .

وبرغم ذلك ، كان عليك أن تكون ممتنًا لنا ، لأننا فى آخر الأمر كنا هؤلاء الذين حققنا لك كل أحلامك ".

فقال جيجى متلعثمًا :" هذا ليس حقيقى ! هذا كذب !"

فرد الصوت وهو يضحك مرة أخرى ضحكة بلا حياة :" ياخبر ! أنت من دون الناس تريد أن تأتى إلينا بالحقيقة ؟ لقد كانت لديك فيما مضى حكم كثيرة وجميلة فيما يتعلق بما هو حق وما هو غير حق ، أخ كلا أيها المسكين جيجى ، لن يكون في صالحك إذا ما حاولت أن تتخذ من الحقيقة مرجعًا . أنت اشتهرت بمساعدتنا عن طريق اختلافاتك وأكاذيبك . أنت لست مختصاً بالحقيقة ، لذلك دع الأمر !"

فهمس جيجى قائلاً :" ماذا فعلتم بمومو ؟"

- " لا تجهد بذلك رأسك المشتت الرقيق ! لم يعد فى مقدورك مساعدتها - وبالأحرى عن طريق حكايتك عنا هذه القصة الآن - فالشيء الوحيد الذى يمكنك تحقيقه بذلك هو أن نجاحك الجميل سوف ينقضى بالضبط بنفس السرعة التى وصلك فيها .

وبالطبع فأنت يجب أن تقرر ذلك بنفسك ، إننا لا نريد أن نعيقك على أن تلعب دور البطل وتدمر نفسك ، إذا كان ذلك هامًا جداً بالنسبة لك .

لكن لا يمكنك أن تتوقع أننا سنستمر على مديد الحماية عليك ، إذا ما كنت ناكراً للجميل هكذا ، أليس الأمر أكثر متعة أن تكون غنيًا ومشهوراً ؟"

فأجاب جيجى بصوت مخنوق :"بلى".

- " أرأيت ! إذن أخـرجنا من اللعبـة ، مـوافق ؟ من الأفـضل أن تستمر فى أن تحكى للناس ما يحبون سماعه منك ! "

فتكلم جيجى بصعوبة قائلاً :" وكيف أفعل ذلك ؟ الآن وأنا أعرف كل ذلك "

- " سـأعطيك نصـيحـة : لا تـأخذ نفسك عل مـحـمل الجـد هكذا ، فالأمر لا يتوقف فى الحقيقة عليك ، وإذا ما تأملنا الوضع ، فيمكنك أن تواصل العمل كسابق عهدك بنفس القدر من الجمال ".

فـهـمس جيـجى وهو يحـملق فى الفـضـاء قـائـلاً :" نعم إذا تأملنا الوضع "

ثم سمع صوت تكتكة فى سماعة تليفونه وهوى إلى الأمام على لوح مكتبه الكبير وأخفى وجهه فى ذراعيه ، وهزه نحيت بلا صوت ، ومنذ ذلك اليوم فقد جيجى كل إحترام لنفسه ، وتغاضى عن خطته واستمر فى عمله كسابق عهده ، ولكنه شعر بنفسه كالمحتال ، ولقد كان ذلك أيضًا ، فيما مضى كان خياله يأخذه فى دروبه الهائمة وكان يتبعه دون أن يبالى .

ولكنه الآن كان يكذب !

وكان يعجل من نفسه مهرجًا وألعوبة لجمهوره ، وكان يعلم ذلك ، وبدأ يكره عمله ، وهكذا أصبحت حكاياته أكثر إسفافًا أو أكثر إثارة للمشاعر المفتعلة على الدوام .

ولكن هذا لم يضر بنجاحه ، على العكس ، فقد سموا هذا أسلوبًا جديدًا ، وحاول الكثيرون تقليده ، وأصبح المودة الكبرى ، ولكن جيجى لم يجد بهجة فى ذلك ، فقد كان يعرف الآن لمن هو مدان بالشكر على كل هذا ، إنه لم يكتسب شيئًا ، لقد خسر كل شىء ، ولكنه كان يسرع باستمرار من موعد إلى آخر ، ويطير بأسرع الطائرات ويملي على سكرتيراته حكاياته القديمة فى ثوبها الجديد أينما ذهب وأينما وُجد ، لقد كان - كما كتبت عنه كل الصحف ، إنه غزير الإنتاج بشكل مدهش " ، وهكذا أصبح من جيجى الحالم جيرولامو الكاذب .

وكان الأمر أكثر صعوبة على السادة الرماديين أن يتخلصوا من بيبو الكناس العجوز ، بعد تلك الليلة التى اختفت فيها مومو ، كان يجلس فى المسرح الدائرى القديم وينتظر عندما يسمح له عمله بذلك ، وزاد قلقه وهمه يومًا بعد يوم ، وعندما لم يعد يستطيع تحمل ذلك ، قرر الذهاب إلى البوليس رغم جيمع الإعتراضات المحقة التى صرح بها جيجى .

وقال لنفسه :" على كل من الأفضل أن يضعوا مومو مرة أخرى فى مثل هذا الملجأ ذى القضبان أمام نوافذه ، من أن يقبض عليها الرماديون ، هذا فى حالة إذا كانت لا تزال حية ، إنها قد هربت مرة من مثل هذا الملجأ وفى استطاعتها أن تفعل ذلك ثانية ، وربما أستطيع أيضًا العمل على ألا تدخل فيه على الإطلاق ، ولكن لابد من العثور عليها أولاً الآن ".

وهكذا ذهب إلى قسم شرطة عند أطراف المدينة ، ووقف برهة أمام الباب وهو يدير قبعته بيديه ، ثم تشجع ومشى إلى الداخل .

وسأل شرطي وكان وقتها مشغول بملء إستمارة طويلة وصعبة : "ما هي رغبتك ؟"

ولزم بيبو فترة من الزمن إلى أن نطق بقولة :" لابد وأن يكون شيئًا فظيعًا قد حدث ".

وسأل الشرطي الذي استمر في كتابته :" هكذا ما الأمر إذن ؟"

فأجاب بيبو :" الأمر يتعلق بصديقتنا مومو ".

- " أهو طفل ؟"

- " نعم ، فتاه صغيرة ".

- " هل هي طفلتك ؟"

- فقال بيبو باضطراب :" لا ، أعني نعم ، ولكني لست الأب ".

- فقال الشرطي بغضب :" لا ، يعني نعم ! طفلة من هي إذن ؟ من هم والداها ؟"

فأجاب بيبو :" لا أحد يعرف ذلك :.

- " والطفلة في أي مكان هي مسجلة ؟"

فتساءل بيبو :" مسجلة ؟. أعتقد عندنا ، فنحن كلنا نعرفها ".

فأكد الشرطي بقوله متنهدًا :" إذن ليست مسجلة ، هلى تعلم أن مثل هذا ممنوع ؟

فإلى أين نتجه نحن إذن ! مع من تقيم الطفلة ؟"

فرد بيبو : " مع نفسها ، يعنى فى المسرح الدائرى القديم ، ولكنها الآن لم تعد تقيم هناك ، لقد اختفت ".

فقال الشرطى :" لحظة ، إذا كنت قد فهمت فهمًا صحيحًا ، لقد كانت تقيم حتى الآن فى الأطلال هناك فتاة صغيرة متشردة اسمها ... ماذا قلت ؟"

فأجاب بيبو :" مومو ولا شىء بعد ذلك ".

وهرش الشرطى أسفل ذقنه ونظر إلى بيبو فى كدر .

– " هكذا لا تسير الأمور ، يارجل ياطيب . إننى أريد مساعدتك ، ولكن بهذه الطريقة لا يمكن عمل بلاغ ، والآن قل لى أولاً ما اسمك أنت نفسك ؟"

– فقال بيبو :" بيبو ".

– " وبعد ذلك ؟"

– " بيبو الكناس ".

– " أريد أن اعرف الاسم وليس المهنة !"

– وفسر بيبو قوله فى صبر :" إنه كلاهما ".

وأسقط الشرطى القلم من يده ودفن وجهه فى يديه .

وتمتم يائسًا :" يا إله السماء ! لماذا لابد أن أكون أنا بالذات عندى خدمة الآن ".

ثم اعتدل فى جلسته وشد كتفيه ، وابتسم للرجل العجوز مشجعًا وقال برقة الممرض :" نستطيع أن نأخذ البيانات الشخصية فيما بعد ، والآن أحكى أولاً بشكل مرتب ما حدث فعلاً وكيف حصل كل شىء ".

فسأل بيبو فى ريبة :" كل شىء ؟"

فرد الشرطى :" كل ما يخص الموضوع ، صحيح ليس عندى وقت على الإطلاق ، فيجب على حتى الظهر أن انتهى من كل هذا الجبل الكامل من الاستمارات ، وأنا على حافة إنهيار قواى وأعصابى ، ولكن خذ راحتك من الوقت واحكى ما فى صدرك ".

واتكأ بظهره إلى الوراء وأغلق عينيه بتعبير شهيد سيشوى على السيخ .

وبدأ بيبو العجوز بطريقته العجيبة اللافه فى قص الحكاية كلها ، بدءًا من ظهور مومو وميزتها الخاصة ، حتى السادة الرماديين فوق تل القمامة الذين سمعهم هو بنفسه .

وختم كلامة قائلاً :" وفى نفس الليلة اختفت مومو ".

ونظر إليه الشرطى طويلاً وقد ملأه الهم ، وأخيرًا قال : بمعنى آخر أنه ذات مرة كانت هناك فتاة صغيرة غير محتمل وجودها إلى أبعد حد ولا يمكن البرهنة عليه ، وقد اختطفها نوع من الأشباح غير الموجودة كما هو معروف ، ومن يدرى إلى أين ، وهذا أيضًا ليس مؤكدًا ، وعلى الشرطة أن تهتم بمثل هذا الأمر ؟"

فقال بيبو " نعم من فضلك !"

وانحنى الشرطى إلى الأمام وصاح فى خشونة :" هوّينا !"

ولم يفهم بيبو هذا المطلب ، وهز كتفيه ، ولكنه بعد ذلك أطاع ونفخ في وجه الشرطي .

وذلك شمشم بأنفه وهز رأسه وقال : " يبدو أنك لست مخموراً ! "

فتمتم بيبو وأحمر وجهه خجلاً : " لا ، لم أكن مخموراً من قبل أبداً " .

فسأل الشرطي : " لماذا إذن تحكي مثل هذا الكلام الفارغ ؟ أتعتقد أن الشرطة من البلاهة لدرجة أن ينطلي عليها مثل هذه الاختلاقات البلهاء ؟ "

فرد بيبو في سذاجة قائلاً : " نعم "

والآن انقطعت حبال الصبر نهائيًا لدى الشرطي ، وانتفض من مقعده وضرب بقبضة يده على الاستمارة الطويلة الصعبة ، وصرخ وقد أحمر وجهه : " كفاية هذا الآن ! اغرب عن وجهي فوراً وإلا سجنتك بتهمة الإهانة أثناء العمل الرسمي ! "

فتمتم بيبو في خوف " كنت أقصد شيئًا آخر ، أردت أن أقول .... " .

فزمجر الشرطي قائلاً " أُخرج ! "

واستدار بيبو وخرج .

وأثناء الأيام التالية ظهر في أقسام شرطة أخرى مختلفة ، والمشاهد التي حدثت هناك تكاد لا تختلف عن المشهد الأول ، فقد قذفوا به إلى الخارج ، أو أرسلوه إلى منزله بلطف أو واسوه كي يتخلصوا منه ، لكن حدث أن أتى بيبو إلى موظف أعلى لم تكن لديه قابلية للمرح مثل زملائه ، وجعله يحكي له القصة كلها ووجهه جامد

لا يتحرك ، ثم قال فى برود :" هذا الرجل العجوز مجنون ، ويجب التأكد إذا كان يشكل خطراً عاماً ، اذهبوا به إلى زنزانة الحجز !"

وفى الزنزانة لزم على بيبو الانتظار نصف يوم ثم شحنه اثنان من الشرطة فى سيارة ، وساروا به خلال المدينة إلى مبنى أبيض كبير ذى قضبان على نوافذه ، لكنه لم يكن سجناً أو ما شابه ذلك ، كما كان يظن بيبو فى البداية ، لكنة كان مستشفى الأمراض العصبية .

وهناك فُحص فحصاً دقيقًا ، وكان البروفسور والممرضون لطاف معه ، ولم يتهكموا عليه ولم يؤنبوه ، بل إنهم فوق ذلك بدوا مهتمين جداً بحكايته ، لأنه كان عليه أن يحكيها لهم دائماً مرات ومرات ، ورغم أنهم لم يعارضوه أبداً ، فلم يشعر بيبو أيضاً أبداً أنهم يصدقونه حقًا ، ولم يستطع فهمهم فهماً صحيحاً ، ولكنهم أيضاً لم يتركوه يتصرف .

وكل مرة يسأل فيها متى سيسمح له بالخروج ، قيل له :" قريبا ، ولكننا حاليًا محتاجين إليك ، لا بد أن تفهم أن الفحوص لم تنته بعد ، ولكننا نحرز تقدما".

وبيبو الذى كان يعتقد أن الفحوص تجر حول مكان الصغيرة مومو ، تماسك فى صبر ، لقد خصصوا له سريراً فى قاعة نوم كبيرة حيث ينام مرضى كثيرون آخرون ، وفى إحدى الليالى استيقظ ورأى فى النور الخافت من الإضاءة الاضطرارية أن أحداً يقف إلى جوار سريره ، فى بادىء الأمر اكتشف فقط النقطة الحمراء المضيئة لسيجار متوهج ، ولكن بعد ذلك تبين له القبعة المستديرة المتصلبة والحقيبة التى يحملها ذلك الكيان فى الظلام .

وأدرك أنه واحد من السادة الرماديين ، وشعر بالبرودة تتخلله حتى أعماق قلبه وأراد أن يشتغيث ، فقال الصوت ذو اللون الرمادى فى الظلام :" سكوت لقد كُلفت أن أقدم لك عرضًا ، إنصت لى وأجب على فقط عندما أطالبك بذلك ! لقد استطعت الآن أن ترى قليلاً إلى أى مدى وصل نفوذنا ، والأمر يرتبط تمامًا بك إذا ما كنت تريد أن تعرف المزيد عن ذلك ، صحيح أنك لا تستطيع أن تلحق بنا أقل القليل من الضرر بأن تبوح لكل شخص بهذه القصة عنا ، لكن رغم ذلك فهذا ليس مستحبًا عندنا ، وبالمناسبة أنت بالطبع محق تمامًا بافتراضك أن صديقتك مومو معتقلة لدينا ، لكن عليك أن تفقد الأمل فى العثور عليها لدينا ، فهذا لن يحدث أبدًا ، وعن طريق مساعيك لتحريرها فأنت تجعل وضع الطفلة المسكينة ليس طيبًا بحق فعن كل محاولة لك ، يا أعز الأعزاء ، يجب عليها أن تدفع الثمن ، لذلك فكر فى المستقبل فيما تفعله وتقوله ".

ونفث السيد الرمادى بعض حلقات من الدخان وراقب بارتياح تأثير حديثه على بيبو العجوز لأن هذا كان يصدق كل كلمة .

واستطرد السيد الرمادى قائلاً :" لكى اختصر قولى بقدر المستطاع ، لأن وقتى أنا أيضًا ثمين ، فإننى أتقدم إليك بالعرض التالى : نحن نعيد لك الطفلة بشرط ألا تبوح بكلمة واحدة عنا وعن عملنا مرة ثانية أبدًا ، وخلاف ذلك نطلب منك على سبيل الفدية تقريبًا مائة ألف ساعة زمن للتوفير ، ولاتشغل بالك فى كيفية أمتلاكنا لهذا الزمن فهذه قضيتنا ،أنت واجبك فقط توفير هذا الزمن ، كيف ، فهذه قضيتك ، فإذا وافقت على ذلك ، فإننا سوف سنعمل فى غضون الأيام التالية من أجل إخراجك من هنا ، وفى حالة رفضك فإنك ستبقى هنا إلى الأبد ، وستبقى مومو لدينا إلى الأبد ، فكر فى الأمر .

فإننا نقدم هذا العرض السخى لهذه المرة فقط ، ما قولك إذن ؟"

وابتلع بيبو ريقه مرتين ثم قال بصوت متحشرج :" موافق ."

فقال السيد الرمادى فى سرور :" عين العقل ، إذن تذكر : الصمت التام ، ومائة ألف ساعة ، وفور حصولنا عليها ، ستحصل على مومو الصغيرة مرة أخرى ، أتركك على خير يا أعز الأعزاء " ، وعلى ذلك غادر السيد الرمادى قاعة النوم ، وسحابة الدخان التى ظلت وراءه بدت تلمع فى الظلام لمعانًا خافتًا كالضوء الضليل (*)

ابتداء من هذه الليلة لم يعد بيبو يحكى قصته ، وعندما كان يسأله أحد لماذا كان يحكيها قبل ذلك ، فكان يهز أكتافه فقط من الحزن ، وبعد ذلك بأيام قليلة أرسلوه إلى منزله ، ولكن بيبو لم يذهب إلى المنزل ، بل مباشرة إلى ذلك البيت الكبير ذى الفناء حيث كان هو وزملاؤه يتسلمون دائمًا المقشة وعربة اليد ، وأحضر مقشته، وذهب إلى المدينة الكبرى وبدأ يكنس .

ولكنه الآن لم يعد يكنس كما فى الماضى عند كل خطوه نفس وعند كل ضربة مقشه ولكنه الآن كان يفعل ذلك فى سرعة ودون حب للعمل ، وفقط من أجل كسب الساعات ، وكان يعلم فى وضوح مؤلم أن ينكر بذلك اقتناعه الدفين فى أعمق أعماقه ، بل وينكر حياته السابقة كلها ويخونها وهذا ما جعله مريضًا من كراهية ما كان يفعله ، ولو كان الأمر قاصرًا عليه فقط لفضل الموت جوعًا على أن يكون خائنًا تجاه نفسه .

(*) الضوء الضليل " Irrlicht " أحد الأشباح التى يعتقد فى وجودها عامة الشعب الآلمانى فى الغابات والأحراش والمستنقعات ، ويقال إنه يظهر للناس ليضلهم ويبعدهم عن الطريق الصحيح .

لكن الأمر كان يتعلق بمومو الذى كان عليه أن يشترى حريتها ، وكانت هذه هى الطريقة الوحيدة التى يعرفها لتوفير الوقت .

وكان يكنس بالنهار والليل ، دون أن يذهب للمنزل أبداً ، وعندما يتملكه الإرهاق ، يجلس على إحدى الأرائك أو أيضًا على غطاء البالوعة وينام قليلاً .

ثم ينتفض من نومه بعد فترة وجيزة ويستمر فى الكنس ، وبنفس السرعة وكان يزدرد بين الحن والآخر شيئًا من الطعام بسرعة ، ولم يعد يذهب مرة أخرى إلى كوخه فى المسرح المستدير ، وكان يكنس خلال أسابيع وشهور ، وجاء الخريف ، وجاء الشتاء وبيبو يكنس ، وجاء الربيع والصيف مرة أخرى، وبيبو لايكاد يلحظ ذلك ، وهويكنس ، كى يوفر الفدية المتمثلة فى المائة ألف ساعة .

الناس فى المدينة الكبيرة لم يكن لديهم وقت لينتبهوا للرجل العجوز الصغير ، "والقليلون الذين انتبهوا له ، كانو ينقرون بأصابعهم على جبهتهم(*) من وراء ظهره عندما كان يسرع أمامهم لاهثًا وهو يهز المقشة جيئة وذهابا كما لو كان الأمر يتوقف عليه حياته ، ولم يكن جديداً على بيبو أن يعتبره المرء مخبولا ، فلم يعر ذلك إهتماماً تقريباً .

فقط عندما يسأله أحد أحيانًا لماذا هو يتعجل هكذا فإنه يقطع عمله للحظة وينظر إلى السائل بخوف وبكل الحزن يضع إصبعه على شفتيه .

(*) الألمان ينقرون أو يشيرون بأصبعهم على جبينهم دليل على جنون أو خبل من يعنونه بتلك الإشارة ويكفى المرء إحضار شهود عيان لهذه الواقعة لرفع الأمر للقضاء بتهمة السب بالإشارة . (المترجم) .

وأصعب مهمة بالنسبة للسادة الرماديين كانت تتمثل فى أن يلفتوا نظر أطفال من اصدقاء مومو إلى خطتهم ، فبعد اختفاء مومو كان الأطفال رغم ذلك يجتمعون بقدرالإمكان فى المسرح الدائرى القديم .

وكانوا يبتكرون دائماً ألعاباً جديدة ، فكانت تكفى بعض الصناديق والعلب القديمة كى يقوموا بها برحلات رائعة حول العالم أو ينشئون منها الحصون والقصور ، واستمروا على وضع خطتهم وبعض الحكايات لبعضهم ، باختصار ، لقد كانوا يفعلون كما لو أن مومو لا تزال بينهم ، ومن المدهش أنه اتضح عن طريق ذلك أن الأمر كاد أن يكون كما لو كانت حقيقة ماتزال موجودة .

وفوق ذلك لم يشك هؤلاء الأطفال لحظة واحدة فى أن مومو سوف تعود ، إن الحديث لم يتناول هذا الموضوع أبداً ، لكن هذا لم يكن ضرورياً على الإطلاق أيضاً ، إن اليقين كان يربط الأطفال ببعضهم ، مومو كانت تنتمى إليهم وهى المركز السرى لهم ، سواء كانت موجودة أم لا ، ولم يستطع السادة الرماديون التغلب على ذلك .

وإذا كانوا لم يستطيعوا وضع الأطفال تحت تأثيرهم المباشر كى يفصلونهم عن مومو ، فقد اضطروا إلى تحقيق ذلك عن طريق ملتو . وهذا الطريق الملتو كان الكبار الذين لهم السلطة على الأطفال ، وطبعاً ليس كل الكبار ، لكن هؤلاء الذين يصلحون كعملاء ، وهم للأسف لم يكونوا قلة بحال ، وفوق ذلك فقد كانت أسلحة الأطفال أنفسهم هى التى استخدمها السادة الرماديون ضدهم .

وفجأة تذكر بعض الناس مواكب ولا فتات وكتابات الأطفال .

وقيل :" لا بد من فعل أى شىء ، لأنه لا يحتمل أن يتزايد عدد الأطفال المستقلين بأنفسهم ومعدومى الرعاية ، ولا يجب إلقاء اللوم على الوالدين ، لأن الحياة الحديثة لا تترك لهم وقتًا ليهتموا بأطفالهم الإهتمام الكافى ، ولكن إدارة المدينة عليها أن تهتم بذلك " .

وقال آخرون :" من غير المقبول أن تتعرض السيولة السلسة لحركة المرور بالشوارع للخطر عن طريق الأطفال المتسكعين . إن زيادة الحوادث التى يسببها الأطفال فى الشوارع تكلف المزيد من النقود دائمًا ، التى كان يمكن أن تصرف فى مجالات أخرى بشكل أكثر صوابًا " .

وأفصح آخرون غيرهم قائلين :" الأطفال بلا رقابة ينحدرون خلقيًا ويصبحون مجرمين ، على إدارة المدينة أن تعمل على القبض على هؤلاء الأطفال جميعًا ، لابد من إيجاد الملاجىء حيث يتم تنشئتهم إلى أعضاء قادرين على العمل بالمجتمع " .

وأعرب آخرون عن رأيهم قائلين :" إن الأطفال عنصر المستقبل من البشر ، والمستقبل سيكون زمن الماكينات النفاثة والعقول الإلكترونية ، وجيش من الأخصائيين والعمال الفنيين سيكون لازمًا لتشغيل كل هذه الماكينات ، لكن بدلاً من إعداد أطفالنا لعالم الغد ، فإننا لازلنا نسمح ، لكثير منهم يهدرون سنوات من وقتهم الثمين بألعاب لافائدة منها ، إنه عار على حضارتنا وجريمة فى حق بشرية المستقبل !"

وكل هذا أقنع موفرى الوقت إقناعًا شديدًا ، ونظرًا لوجود عدد كبير جدًا من موفرى الوقت بالمدينة الكبيرة ، قد نجحوا فى فترة وجيزة فى إقناع إدارة المدينة بضرورة اتخاذ شىء من أجل الأطفال الكثيرين غير المعتنى بهم .

وبنـاء علـى ذلـك أسـسـت فـى جمـيـع أحياء المدينة ماتسمى بـ " مستودعات الأطفال " .

وهذه كانت منازل كبيرة يودع فيها جميع الأطفال الذين لا يستطيع أحد العناية بهم ، ويحتمل أخذهم ثانية حسب الإمكانيات .

ولقد فرض حظر صارم أن يلعب الأطفال فى الشوارع أو الحدائق أو فى أى مكان آخر ، وإذا ضبط مرة طفل وهو يفعل ذلك ، فيحضر على الفور شخص يودعه فى أقرب مستودع للأطفال ، وعلى الوالدين أن يتوقعوا دفع غرامة كبيرة .

ولم يفلت أصدقاء مومو من هذا النظام الجديد ، وتم فصلهم عن بعض تبعًا للمنطقة التى أتوا منها ووضعوا فى مستودعات أطفال مختلفة ، وبالطبع لم يكن هناك مجال يسمح لهم باختلاق ألعاب لأنفسهم .

وقد حددت لهم الألعاب من قبل مراقبين ، وكانت فقط مثل تلك الألعاب التى يتعلمون منها شيئًا مفيدًا ، ولكنهم نسوا شيئًا آخر أثناء ذلك ، ألا وهو : أن يبتهجوا ، ويتحمسوا ويحلموا .

والشىء الواحـيد الذى كـان لا يزال فى مـقـدورهم ، هـو فـعل الضجيج - لكنه بالطبع لم يكن ضجيجًا مرحًا ، ولكن غاضبًا وساخطًا .

ولكن السادة الرماديون أنفسهم لم يحضروا لطفل منهم ، والشباك التى نسجوها فوق المدينة الكبرى كانت كثيفة - وعلى ما يبدو غير قابلة للتمزق ، وحتى أكثر الأطفال دهاء لم ينجح فى التسلل عبر الثقوب ، ونفذت خطة السادة الرماديين ، وكل شىء كان مجهزًا لعودة مومو .

ومنذ ذلك الحين بقى المسرح الدائرى القديم خالياً ومهجوراً .

كانت مومو تجلس الآن فوق الدرجات الحجرية وتنتظر أصدقاءها ، وكانت تجلس منذ عودتها طوال الوقت على هذا النحو تنتظر ، لكن لم يأت أحد ، لا أحد ، وهبطت الشمس جهة الأفق الغربى وازداد حجم الظلام ، وأصبح الجو بارداً .

وأخيراً نهضت مومو ، كانت جوعانه لأن لا أحد فكر فى إحضار شىء من الطعام لها . وهذا لم يكن يحدث أبداً من قبل ، وحتى جيجى وبيبو مؤكد أنهما نسياها اليوم ، ولكن أكيد ، أن كل شىء حدث سهواً ، هكذا فكرت مومو ، صدفة من الصدف البلهاء التى سوف تتضح أسبابها غداً ، ونزلت إلى السلحفاة التى كانت قد سحبت نفسها داخل درعها للنوم ، وقرفصت مومو إلى جوارها ونقرت على استحياء بعقلة إصبعها على درع ظهرها ، وأطلت السلحفاة برأسها ونظرت إلى مومو .

وقالت مومو :" من فضلك لا تؤاخذينى ، أنا آسفة لإيقاظك ، لكن هل تستطيعين أن تقولى لى : لماذا لم يأت اليوم ولا واحد من أصدقائى طوال اليوم ؟"

وظهرت الكلمات التالية على درعها :" **لم يعد أحد هنا** :"

وقرأتها مومو ،لكنها لم تفهم ما يمكن أن تعنيه .

وقالت فى ثقة :" حسن ، غداً سوف يتضح الأمر ، غداً سيأتى أصدقائى بالتأكيد ".

وكان الرد :" **لن يحدث أبدًا** " .

وحملقت مومو فى الحروف المضيئة ضوءًا خافتًا برهة من الزمن ، وأخيرًا سألت فى خوف :" ماذا تقصدين بذلك ؟ ماذا حدث لأصدقائى ؟"

فقرأت :" **الجميع ذهبوا بعيدآ** "

فهزت رأسها وقالت بصوت منخفض :" لا ، هذا لا يمكن ، من المؤكد أنك مخطئة ياكاسيوبايا ، بالأمس كانوا كلهم موجودين هنا فى الاجتماع الكبير الذى لم يسفر عن شىء ، " فكان رد كاسيوبيا:" **أنت نمت طويلاً** ".

وتذكرت مومو أن الأستاذ أورا قال إن عليها أن تنام خلال دورة للشمس كالبذرة فى الأرض ولم تفكر كم من الوقت سيكون هذا ، عندما وافقت ، ولكنها الآن بدأت فى التخمين ، وسألت فى همس :" كم من الوقت ؟"

– " **سنة ويوم** ".

واحتاجت مومو لفترة من الزمن قبل أن تفهم هذه الإجابة .

وأخيرًا تلعثمت قائلة :" ولكن بيبو وجيجى ، كلاهما لا يزالا فى انتظارى أكيد:

وكتب على الدرع " **لم يعد أحد هنا** ".

وارتعشت شفتا مومو قائلة ": كيف يمكن هذا ؟ لا يمكن أن كل شىء يختفى ببساطة كل ما كان .."

وببطء ظهرت كلمة على ظهر كاسيوبايا :" **مضى** ".

ولأول مرة فى حياتها أحست مومو بكل قوة معنى هذه الكلمة ، وأثقل الهم قلبها كما لم يحدث لها من قبل أبداً .

وتمتمت دون وعى قائلة :" ولكننى ، أنا لا زلت موجودة هنا ".

وكانت تود أن تبكى ولكنها لم تستطع .

وبعد برهة أحست أن السلحفاة تلمسها عند قدمها الحافى .

وكتب على الدرع :" **أنا معك** !"

فقالت مومو وهى تبتسم فى شجاعة :" أجل ، أنت معى يا كاسوبايا ، وأنا سعيدة لذلك ، هيا ، فلنذهب للنوم ".

ورفعت السلحفاة عاليًا وحملتها عبر مدخل الثقب بالسور إلى غرفتها بأسفل .

وفى ضوء الشمس الغاربة رأت مومو أن كل شىء لازال موجوداً كما غادرته .

(وكان بيبو قد أعاد ترتيب الغرفة فى ذلك الوقت) ولكن كان هناك تراب سميك فى كل الأنحاء وتدلت خيوط العناكب ، وفوق المنضدة الصغيرة المصنوعة من خشب الصناديق كان هناك خطاب مركون على علبة من الصفيح .

وكتب عليه :" إلى مومو "

وبدأ قلب مومو يخفق بشكل أسرع ، فهى لم تتلق خطابًا فى حياتها من قبل ، وتناولته وتأملته من جميع الجوانب ثم فتحت الظرف وأخرجت منه قصاصة ورق .

وقرأت مايلى:" عزيزتى مومو ، لقد نقلت سكنى ، إذا صا رجعت ، بلغينى علـى الفور ، أنا مشغول جداً عليك ، أنا مفتقدك جدًا ، أرجو ألا يكون قد حدث شيئًا ، وإذا مارجعت ، فاذهبى إلى نينو ، وهو سيرسل لى فاتورة الحساب وأنا سأدفع كل شىء ، عليك أن تأكلى فقط قدر ماتريدين ، أتسمعين ؟ وكل شىء آخر سيقوله لك نينو ، ابقى على معزتك لى ! وأنا أيضاً باق على معزتى لك !

" المخلص أبدًا لك جيجى "

ومضى وقت طويل إلى أن تهجت مومو هذا الخطاب ، رغم أن جيجى على ما يبدو قد بذل كل الجهد ليكتب بخط جميل وواضح ، وعندما انتهت أخيراً من القراءة ، إنطفأ فى نفس اللحظة آخر ما تبقى من ضوء .

ولكن فى ذلك كانت السلوى لمومو .

ورفعت السلحفاة عاليًا وأرقدتها على جوارها على السرير ، وقالت بصوت خافت بينما هى تلتف بالغطاء المترب : " أترين ، ياكاسيوبايا أنا لست وحدى ، ".

ولكن يبدو أن السلحفاة قد نامت بالفعل ، مومو التى كانت تنظر أمامها فى وضوح تام أثناء قراءة خطاب جيجى ، لم يخطر على بالها أن هذا الخطاب موجود هنا منذ ما يقرب من العام ، ووضعت خدها على الورقة ، والآن لم تعد تشعر بالبرد.

الفصل الرابع عشر

كثير من الطعام قليل من الإجابات

في ظهر اليوم التالى أخذت مومو السلحفاة تحت ذراعها واتخذت طريقها إلى حانة نينو الصغيرة وقالت :" سوف ترين ياكسيوبايا سوف يتضح كل شىء الآن أن نينو يعرف أين جيجى وبيبو الآن ، وبعد ذلك سنذهب ونحضر الأطفال ونكون مرة أخرى سوياً كلنا ، ربما يأتى نينو وزوجته أيضًا معنا وجميع الآخرين ، إنهم سوف يحوزون بالتأكيد على إعجابك ، أصدقائى ، ربما نقيم مساء اليوم حفلاً صغيراً ، وسوف أحكى لهم عن الزهور وعن الموسيقى والأستاذ أورا وعن كل شىء ، آخ إننى جوعانة بحق ، أتعلمين ".

وهكذا استمرت فى الثرثرة ، وباستمرار كانت تمد يدها إلى خطاب جيجى التى كانت تحمله فى جيب سترتها ، وكانت السلحفاة تنظر اليها فقط بعينيها العجوزتين ، ولكنها لم ترد بشىء ، وبدأت مومو تدندن وهى تمشى ثم تغنى ، ومرة أخرى كانت ألحان وكلمات ألحان وكلمات الأصوات التى كانت لاتزال تتردد فى ذاكرتها بوضوح كاليوم السابق ، وعلمت مومو الآن أنها لن تفقدها بعد ذلك أبداً ، ولكن بعد ذلك

توقفت فجأة ، أمامها كانت حانة نينو ، وفكرت مومو لأول وهلة أنها ضلت الطريق ، فبدلاً من البيت القديم ذى الطلاء الذى لطخته الأمطار وتعريشة النبات الصغيرة أمام الباب ، كان هناك الآن صندوق خرصانى طويل ذو ألواح زجاجية كبيرة على النوافذ تملأ واجهة الشارع كله ، والشارع نفسه كان فى تلك الأثناء ممهداً بالأسفلت وتسير فيه سيارات كثيرة ، وعلى الجانب المواجه أقيمت محطة كبيرة للبنزين وقريب منها مباشرة مبنى إدارى ضخم ، وكانت سيارات كثيرة واقفة أمام الحانة الجديدة ، وفوق باب الدخول كانت هناك لافتة تلمع بحروف كبيرة : –

مطعم نينو للوجبات السريعة

ودخلت مومو ، فى البداية كادت لا تعرف طريقها ، بطول جهة النوافذ كانت هناك مناضد كثيرة بألواح ضئيلة وأرجل عالية لدرجة أنها بدت مثل نبات عش الغراب الغريب .

فقد كانت عالية لدرجة أن الإنسان البالغ يستطيع أن يأكل عليها وهو واقف ، ولم تعد هناك مقاعد ، وعلى الجانب الآخر كانت هناك حواجز طويلة من القضبان المعدنية اللامعة شىء كالسور ، وخلف ذلك امتدت على مسافة صغيرة دواليب زجاجية طويلة بها سندوتشات لحم مدخن وجبن ومقانق ، وأطباق بها سلطة ، وبودنج وجاتوه وكل ما يمكن من الأشياء الأخرى التى لم تكن مومو تعرفها .

ولكن كل ذلك استطاعت مومو أن تستوعبه شيئًا فشيئًا ، لأن المكان كان مزدحمًا بالناس الذين بدوا دائمًا يسدون عليها الطريق ،

وأينما ذهبت كانوا يدفعونها جانبًا ويحفزونها للتقدم للأمام ، ومعظم الناس كانوا يحملون فى توازن صوان عليها أطباق وزجاجات ويحاولون الحصول على مكان على الموائد الصغيرة ، وخلف الذين يقفون هناك ويأكلون فى سرعة كان آخرون ينتظرون أخذ أماكنهم ، وهنا وهناك يتبادل المنتظرون والآكلون كلمات غير ودية ، ، بوجه عام كان الناس كلهم يعطون أنطباعًا بعدم الرضى .

بين السور المعدنى والدواليب الزجاجية إندس طابور من الناس ببطء وكل فرد أخذ لنفسه من هنا وهناك طبقًا أو زجاجة وكوبًا من الورق المقوى من الدواليب الزجاجية ، وتعجبت مومو ، هنا يستطيع كل فرد أن يأخذ ما يريد ! ولم تستطع رؤية أحد يمنع الناس من ذلك أو على الأقل يطلب منهم نقوداً فى المقابل ، ربما كان كل شىء هنا مجانًا ! وهذا سيكون تفسيراً للزحام .

وبعد فترة من الزمن نجحت مومو فى رؤية نينو ، وكان يجلس ، وقد غطى عليه الناس الكثيرون ، وفى آخر الطابور للدواليب الزجاجية ، وراء خزينة يدق عليها بأصابعه دون انقطاع ، يأخذ نقوداً ويعطى الباقى ، إذن الناس يدفعون عنده ! وعن طريق السور المعدنى كان كل فرد يوجه إلى حيث لا يستطيع الذهاب إلى الموائد الصغيرة دون أن يتحتم عليه المرور على نينو ، وصاحت مومو وهى تحاول التزاحم من بين الناس "نينو!" ولوحت بخطاب جيجى ، ولكن نينو لم يسمعها ، وكانت الخزينة تحدث ضجيجًا شديداً وتستحوذ على كل انتباهه .

وتشجعت مومو وتسلقت فوق السور وتزاحمت عبر طابور الناس .. إلى نينو ، ورفع بصره ، لأن بعض الناس بدأوا بالسب بصوت عال ،

وعندما رأى مومو اختفى فجأة الإنطباع بالاستياء من على وجهه ، وصاح ووجهه يشع فرحًا ، كسابق عهدة تمامًا : " مومو ! أنت عدت ثانية ! يالها من مفاجأة !" .

فصاح أناس من الطابور قائلين :" استمروا فى السير ! الطفلة ينبغى أن تقف إلى الخلف فى الطابور مثلنا نحن أيضًا ، ولا يصح التزاحم والتقدم للأمام بهذه البساطة يالها من طفلة عديمة الحياء ! " .

فصاح نينو ورفع يديه مهدئًا :" لحظة ! قليل من الصبر ، من فضلكم !"

فتضجر شخص من طابور المنتظرين قائلاً :" على ذلك يمكن لكل شخص أن يأتى ! استمروا ، استمروا فى السير ، الطفلة لديها وقت أكثر منا " .

فهمس نينو للفتاة بسرعة قائلاً :" جيجى سيدفع كل شىء من أجلك يا مومو خذى إذن من الطعام ما تريدينه ، لكن قفى فى آخر الطابور مثل الآخرين ، فأنت تسمعين بنفسك ! "

وقبل أن تتمكن مومو من السؤال بشىء دفعها الناس إلى الأمام ، ولذلك لم يبق أمامها إلا أن تفعل مثل ما فعل الآخرون جميعًا ووقفت فى نهاية طابور الناس وأخذت لنفسها صينية من الرف ومن الصندوق سكينًا وشوكة وملعقة ، وبعد ذلك دُفعت للأمام ببطء خطوة خطوة .

ونظرًا لأن مومو كانت تحتاج ليديها الإثنين لحمل الصينية ، فقد وضعت كاسيو بايا فوقها ببساطة ، وأثناء مرورها أحضرت لنفسها من الدواليب الزجاجية شيئًا من هنا وهناك ووضعته حول السلحفاة ، وكانت

مومو مضطربة لكل ذلك بعض الشىء ولذلك أصبح ما أخذته تشكيلة غاية فى الغرابة : قطعة من السمك المقلى ، ساندوتش مربى ، مقانق ، فطيرة صغيرة وكوب من الورق المقوى به ليمونادة ، وفضلت كاسيوبايا وهى فى وسط ذلك أن تنسحب تمامًا فى درعها ، ولا تعبر عن رأيها عن ذلك .

وعندما جاءت مومو فى آخر الأمر إلى الخزينة ، سألت نينو بسرعة : "هل تعلم أين جيجى ؟"

فقال نينو : نعم صديقنا جيجى أصبح مشهوراً ، ونحن جميعًا فخورين به لأنه على كل حال ، واحد منا ! وكثيراً ما يمكن مشاهدته فى التليفزيون ، وهو يتحدث أيضًا فى الإذاعة ، ودائمًا ما يُكتب عنه بين الحين والآخر فى الصحف ، ومنذ فترة وجيزة أتى إلىّ محرران وجعلانى أحكى لهم عن الماضى ، وقد قصصت عليهما حكاية كيف أن جيجى مرة .... "

وصاحت بعض الأصوات من الطابور قائلة : استمر فى السير يا من أنت فى الأمام !" فسألت مومو : " لكن لماذا لم يعد يأتى ؟"

فهمس نينو الذى أصبح عصبيًا بعض الشىء " آخ تعرفين ، إنه لم يعد لديه وقت ، إن لديه الآن أشياء أهم يفعلها ، وعلى كل حال لم يعد يحدث هناك شىء فى المسرح الدائرى القديم " .

فصاحت عدة أصوات غاضبة من الخلف قائلة :" ماذا جرى لكم ؟ أتعتقدون أننا لدينا الرغبة فى الوقوف هنا إلى الأبد ؟"

واستفسرت مومو فى عناد قائلة :" أين يسكن الآن ؟"

فأجاب نينو :" فى مكان ما على التل الأخضر ، عنده فيلا جميلة ، كما نسمع ، وحولها حديقة من جميع الجهات ، لكن استمرى فى السير الآن من فضلك ،!"

وفى الحقيقة لم تكن مومو تريد ذلك ، لأنه كان لايزال لديها أسئلة كثيرة جداً ، ولكنها دُفعت إلى الأمام ببساطة ، ومشت بصينيتها إلى إحدى المناضد الصغيرة كشكل نبات عش الغراب ولحقت بالفعل مكاناً بعد انتظار قليل ، ولكن المنضدة الصغيرة كانت عالية عليها جداً لدرجة أنها وصلت بالكاد بأنفها عند قرص المنضدة .

وعندما زحزحت صينيتها فوقها نظر المحيطون بها إلى السلحفاة بوجوه مشمئزة .

وقال أحدهم لجاره :" مثل هذا لابد للمرء أن يتقبله فى أيامنا هذه " .

ودمدم الآخر قائلاً :" ماذا تريد – إنه شباب اليوم " .

ولكنهم لم يقولوا شيئاً خلاف هذا ولمن يواصلوا الإهتمام بمومو ، ولكن تناول الطعام كان يمثل لها صعوبة كافية أيضاً ، لأنها لم تكن بالكاد تستطيع النظر إلى طبقها ولكن نظراً لأنها كانت شديدة الجوع ، فقد التهمت كل شىء إلى البقية الأخيرة .

والآن كانت بالفعل قد شبعت ولكنها كانت تريد حتماً أن تعرف ماذا حدث لبيبو و على ذلك فقد اصطفت مرة أخرى فى الطابور ، ولأنها خافت من الناس ربما يغضبون منها مرة أخرى لمجرد وقوفها بينهم ، فقد أخذت لنفسها أثناء سيرها شتى الأشياء مرة أخرى من الدواليب

الـزجـاجـيـة ، وعــنــدما وصلت أخيـرًا عند نينو سـألت قـائلة : " وأين بيبو الكناس ؟"

فـأبان نينو فى سرعة لأنه خشى حدوث غضب جديد بين زبائنه ، وقال :" لقد انتظرك وقتًا طويلاً ، وظن أن شيئًا فظيعًا قد حدث لك وكان يحكى دائمًا شيئًا ما عن سادة رماديين ، ولا أعرف المزيد عما حكى ، وأنت تعرفينه ، فقد كان غريب الأطوار بعض الشىء " .

وصاح أحد من الطابور قائلاً : " أنتما الاثنان إلى الأمام هل أنتما نائمان ؟"

فصاح له نينو قائلاً :" حالاً ياسيدى !"

وسألت مومو : " ثم ماذا ؟"

واســتطــرد نيـنو وهـو يمسح وجـهه بيـده فى عـصـبيـة :" بعد ذلك أثار حفيظة الشرطة ، وكان يرغب فى إلحاح أن يبحثوا عنك ، وعلى قدر علمى ، فقد وضعوه فى النهاية فى نوع من المصحات ، ولا أعرف المزيد أيضًا " .

والآن صرخ صوت غاضب من الخلف :" سحقًا ، ولعنة ! هل هذا هنا حقًا مطعم للوجبات السريعة أم قاعة للإنتظار ، أعندكم لقاء عائلى هناك بالأمام ؟"

فصاح نينو فى توسل :" ماشابه ذلك ! "

واستفسرت مومو قائلة :" هل مازال هناك ؟"

فرد نينو :" لا أعتقد ، يقال إنهم أفرجوا عنه ثانية لأنه لا ضرر منه " .

– " أجل ، ولكن أين هو الآن ؟"

– " فى الحقيقة لست أدرى يا مومو ، ولكن من فضلك استمرى فى السير !"

ومرة أخرى دفعها الناس المتزاحمون إلى الأمام ، ومرة أخرى ذهبت إلى إحدى الموائد الصغيرة على شكل عش الغراب وانتظرت إلى أن وجدت مكانًا ، والتهمت الوجبة التى كانت فوق الصينية ، وهذه المرة كان مذاق الطعام أقل بكثير عندها وبالطبع لم يخطر على بال مومو فكرة أن تترك الطعام دون أن تتناوله ، ولكنها الآن كان عليها أن تعرف أيضًا ماذا حدث للأطفال الذين كانوا يزورونها دائمًا فى الماضى ، ولكن لا جدوى ، فقد اضطرت مرة أخرى للوقوف فى صف المنتظرين وأن تمشى أمام الدواليب الزجاجية وتملأ صينيتها بالأطعمة كيلا يغضب منها الناس ، وأخيرًا كانت مرة أخرى عند نينو أمام الخزينة .

وسألت :" والأطفال ماذا حدث للأطفال ؟"

فقال نينو مفسرًا والذى تصبب العرق على جبينه عند رؤيته مومو من جديد :" لقد أصبح كل شىء الآن مختلفًا . لا أستطيع الآن أن أشرح لك ، فأنت ترين ماذا يحدث هنا !"

وتمسكت مومو بسؤالها فى عناد :" ولكن لماذا لم يعودوا يأتون ؟"

– " جميع الأطفال الذين لا يرعاهم أحد ، أودعوا الآن فى مستودعات الأطفال ، ولم يعد مسموحا لهم أن يترك أمرهم لأنفسهم لأن – باختصار شديد – تتوفر الرعاية لهم ".

ومرة أخرى صاحت أصوات من الطابور قائلة :" أسرعوا ، أيها المتلكئون بالأمام ! نحن نريد أيضًا أن نصل أخيرًا للطعام ".

فتساءلت مومو غير مصدقة :" أصدقائى ؟ هل هم أنفسهم أرادوا ذلك حقًا؟"

فرد نينو وهو يحرك يديه فى اضطراب وعصبية فوق أزرار الخزينة ، وقال :" الأطفال لا يستطيعون أن يقرروا شيئًا مثل ذلك ، لقد تم العمل على اختفائهم من الشارع ، وهذا هو أهم شيء ، أليس كذلك ؟"

ولم تعلق مومو على ذلك مطلقًا ، ولكنها نظرت إلى نينو نظرة فاحصة فقط ، وهذا ما جعل نينو الآن فى غاية الإرتباك ، وصرخ الآن مرة أخرى صوت غاضب من الخلف قائلاً :" ياللشيطان ! إن التلكؤ هنا اليوم ليدعو لليأس ، هل لا بد لكم أن تجروا ثرثرتكم المريحة بالذات الآن ؟" فسألت مومو بصوت خافت :" ماذا أفعل الآن بدون أصدقائى ؟"

وهز نينو كتفيه ودعك فى أصابعه ، وقال وهو يملأ صدره بالهواء كالذى يسعى بقوة لتمالك نفسه :" مومو ، كونى عاقلة وتعالى فى أى وقت آخر ، فليس عندى الآن حقًا وقت للتشاور معك فيما عليك أن تفعليه ، ويمكنك أن تأكلى هنا دائمًا ، وأنت تعرفين ذلك ، ولكنى فى مكانك سوف أذهب كذلك إلى أحد مستودعات الأطفال تلك ، حيث تجدين ما يشغلك ويحافظ عليك ، بل وتتعلمين شيئًا ، ولكنهم هنا سوف يذهبوا بك إلى هناك على كل حال إذا ما سرت وحيدة هكذا فى الدنيا ".

مرة أخرى لم تقل مومو شيئًا ونظرت فقط إلى نينو ، ودفعتها مجموعات الناس المتزاحمين إلى الأمام ، وبطريقة آلية مشت إلى إحدى

الموائد الصغيرة ، والتهمت بطريقة آلية أيضًا ثالث طعام للغذاء ، برغم أنها بالكاد استطاعت ابتلاعه وبرغم أن طعمه بالنسبة لها كان كورق الكارتون ونشارة الخشب . وأحست بعد ذلك بغثيان ، وأخذت كاسيوبايا تحت ذراعها ومشت إلى الخارج دون أن تلتفت وراءها ثانية ، فصاح من ورائها نينو الذى رآها فى آخر لحظة قائلاً :" مومو ! انتظرى ! أنت حتى لم تحكى لى أين كنت الفترة السابقة !"

ولكن الناس الآخرين تزاحموا إليه ، وعاد للنقر بأصابعه على الخزينة ، يأخذ النقود ويعطى الباقى والإبتسامة على وجهه كانت قد تلاشت مرة أخرى منذ وقت طويل ، وقالت مومو لكاسيوبايا عندما وصلا مرة أخرى للمسرح الدائرى القدم :" أكل كثير ، لقد حصلت على طعام وأكل كثير زيادة عن اللزوم ، ولكن رغم ذلك لدى إحساس كما لو كنت غير شبعانة ، وبعد برهة أضافت قائلة : إننى لم أتمكن من قص حكاية الزهور والموسيقى لنينو " .

وبعد برهة أخرى من الزمن قالت :" لكن غداً نذهب ونبحث عن جيجى ، من المؤكد أنك ستعجبين به ياكاسيوبايا ، سوف ترين " .

وظهرت على ظهر السلحفاة فقط علامة إستفهام كبيرة .

الفصل الخامس عشر

عثور وفقدان

في صباح اليوم التالى استيقظت مومو مبكرًا كى تبحث عن منزل جيجى وبالطبع أخذت السلحفاة معها ثانية ، وكانت مومو تعرف أين التل الأخضر ، لقد كان حى فيلات يقع بعيدًا عن المنطقة المحيطة بالمسرح الدائرى القديم ويقع بالقرب من تلك الأحياء الجديدة ذات المبانى متشابهة الشكل ، أى على الجانب الآخر من المدينة الكبيرة .

لقد كان الطريق بعيدًا ، وصحيح أن مومو كانت معتادة على السير حافيةالقدمين ، لكنها عندما وصلت إلى التل الأخضر آلمتها قدماها ، فجلست على الغطاء الحجرى لإحدى البالوعات كى تستريح لحظة من الزمن ، وقد كانت المنطقة فعلاً منطقة أرستقراطية ، شوارع عريضة جدًا وتكاد تخلو من الناس ، وفى الحدائق خلف الأسوار العالية والقضبان الحديدية ارتفعت أشجار عتيقة بأفنانها إلى أعنان السماء والمنازل وسط الحدائق كانت فى أغليها مبانى ممتدة بالطول من الزجاج والخرصانة ذات أسطح مستوية ، والمسطحات الحشائشية أمام المنازل المقصوصة قصًا ناعمًا كانت ناضرة الخضرة وتغرى بحق باللعب والتقلب فوقها ،

ولكن لم يشاهد أحد يتنزه فى أى مكان بالحدائق أو يلعب فوق الحشائش ، على ما يبدو أن الملاك لم يكن لديهم وقت لذلك .

وقالت مومو للسلحفاة :" لو أننى عرفت فقط أين يمكننى الآن معرفة أين يسكن جيجى هنا " فظهر على ظهر كاسيوبايا : " **سوف تعرفين حالاً** ".

وتساءلت مومو بكل الأمل :" أهذا رأيك ؟"

وفجأة قال صوت من خلفها :" أنت أيتها القذرة ، عما تبحثين هنا ؟"

والتفتت مومو ، فإذا برجل يرتدى صداريًا مخططًا وغريبًا .

ولم تكن مومو تعلم أن خدام الناس الأغنياء يرتدون مثل هذه الصدريات ، فهبت واقفة وقالت :" نهارك سعيد ، إننى أبحث عن منزل جيجى ، نينو قال لى إنه يسكن هنا ".

– عن منزل من تبحثين ؟"

– " منزل جيجى المرشد السياحى ، فهو صديقى ".

ونظر الرجل ذو الصدار المخطط إلى الطفلة نظرة ريبة ، وظل باب الحديقة من خلفه مفتوحًا قليلاً ، واستطاعت مومو أن تنظر إلى داخله ، فشاهدت مسطح واسع من الحشائش يلعب فوقه بعض الكلاب السلوقى (*) ، ونافورة يسمع خرير مائها ، وفوق أحد الأشجار المفعمة بالزهور كان يجلس زوج من الطواويس الصغيرة ، فصاحت مومو من الإعجاب قائلة : –

(*) سلاله من الكلاب تتسم برشاقة الجسم وسرعة الحركة (المترجم) .

" آه ، يالها من طيور جميلة "

وأرادت أن تمشى للداخل كى تشاهدها عن قرب ، ولكن الرجل ذو الصديرى أمسك بخناقها وأعادها للوراء .

وقال :" مكانك ! ماذا يدور فى ذهنك أيتها القذرة !"

ثم أطلق مومو مرة أخرى ومسح يده بمنديله كما لو كان قد أمسك بشىء يبعث على الإشمئزاز ، وتساءلت مومو وهى تشير بإصبعها من خلال البوابة :" هل كل هذا ملك لك ؟" فقال الرجل ذو الصديرى بجفاء أكثر قليلاً عما سبق :" كلا ، والآن أغربى عن وجهى ! فلا يوجد هنا شىء تبحثين عنه ".

فقالت مومو مؤكدة على كلامها :" بلى لابد أن أبحث عن جيجى المرشد السياحى ، لأنه ينتظرنى . ،لا تعرفه ؟" فرد الرجل ذو الصديرى وهو يستدير :" لا يوجد هنا مرشدون سياحيون ".

ورجع إلى الحديقة وأراد أن يغلق البوابة ، ولكن فى آخر لحظة بدا أن شيئًا قد خطر على باله .

- " ربما تقصدين جيرولامو ، القصاص المشهور ؟"

فأجابت مومو بسرور : أجل جيجى المرشد السياحى ، فهذا هو اسمه ، أتعرف أين منزله ؟"

وتساءل الرجل راغبًا فى المعرفة :" وهو ينتظرك حقًا ؟"

فقالت مومو :" أجل بكل تأكيد ، إنه صديقى ، وهو يدفع لى كل ما أتناوله من طعام عند نينو ".

ورفع الرجل ذو الصديرى حاجبيه عاليًا وهز رأسه قائلاً فى نفور : "

« يالهولاء الفنانين ؛ ومالديهم أحيانًا من أحوال غريبة ! ولكن إذا كنت حقيقة تعتقدين إنه يولى زيارتك قيمة فإن منزله هو آخر منزل بأعلى الطريق تماماً " .

ثم هوى باب الحديقة وانغلق .

وظهرت على ظهر كاسيوبايا المدرع كتابة سرعان ما انطفأت على الفور مرة أخرى :

" **ياله من قرد لميع** " آخر منزل بأعلى الطريق تمامًا يحيط به سور يزيد عن ارتقاع الإنسان ، وكانت بوابة الحديقة أيضًا مثل البوابة لدى الرجل ذو الصديرى ، مصنوعة من الألواح الحديدية بحيث لا يمكن لأحد النظر إلى الداخل ، ولم يعثر فى أى مكان على زر لجرس أو لافتة باسم صاحب المنزل .

وقالت مومو :" أود أن أعرف إذا كان هذا هو منزل جيجى الجديد ، إن مظهره لا يتناسب معه على الإطلاق .

فظهر على ظهر السلحفاة ":" **ولكنه هو** ".

وسألت مومو :" لماذا كل شىء مغلق هكذا ؟ إننى لن أدخل ".

وظهرت الإجابة التالية :" **انتظرى**!"

فقالت مومو متنهدة :" طيب ، لكن ربما يحتمل أن أنتظر مدة طويلة ، فمن أين يعلم جيجى إننى أقف هنا بالخارج - هذا إذا كان موجوداً بالداخل من أصله " .

وقرأت على الدرع مايلى :" **إنه سيأتى حالاً** ".

وعلى ذلك جلست مومو مباشرة أمام الباب وانتظرت فى صبر ، ولم يحدث شىء على الإطلاق لفترة طويلة ، وبدأت مومو فى التفكير إذا كانت كاسيوبايا ربما قد أخطأت ذات مرة وتساءلت بعد برهة من الزمن : " هل أنت متأكد حقًا تمامًا ؟"

وبدلا من أى إجابة يمكن توقعها ظهر على الظهر المدرع الكلمة التالية :" **وداعًا** !"

وفزعت مومو قائلة :" ماذا تقصدين بذلك ياكاسيوبايا ؟ أتريدين أن تتركينى ثانية ؟ ماذا تنوين ؟"

وكان رد كاسيوبايا أكثر غموضًا :" **إننى ذاهبة لأبحث عنك** !"

وفى هذه الحظة انفتح الباب فجأة على عجل ومرقت سيارة أنيقة بكل سرعتها إلى الخارج .

واستطاعات مومو فى آخر لحظة أن تنقذ نفسها بقفزة إلى الوراء ووقعت على الأرض .

وانطلقت السيارة مسافة قليلة ثم فرملت لدرجة أن الإطارات أحدثت أزيزًا ، وانفتح أحد الأبواب وقفز جيجى خارجا .

وصاح وهو فارد ذراعيه : " مومو ! هذه هى حقًا وفعلاً صغيرتى مومو ! "

وقفزت مومو إلى أعلى وجرت متجهة إليه وأطبق جيجى عليها ورفعها عاليًا وقبلها مئات المرات على خديها ورقص رقصًا دائريًا فى الشارع .

وسأل وهو مقطوع النفس :" هل آلمك شيء ؟" ولكنه لم ينتظر أبداً ما ستقوله ولكنه استمر يتحدث في انفعال :" يؤسفني أنني أفزعتك ولكنني في غاية الاستعجال ، أتفهمين .

إنني تأخرت مرة أخرى ، أين كنت مختبئة طيلة الوقت ؟ لابد أن تحكي لي كل شيء ، إنني لم أكن أعتقد أنك ستعودين ، هل وجدت خطابي ؟ هل كان لا يزال موجوداً ؟ طيب ، وهل ذهبت إلى نينو لتأكلي ؟ وهل راقك الطعام ؟ آخ يا مومو ، لابد أن نحكي لبعضنا الكثير ، فقد حدثت أمور كثيرة جداً في الفترة الماضية ، كيف حالك ؟ تكلمي ! وصديقنا العجوز بيبو ، ماذ يفعل ؟ إنني لم أعد أره منذ أمد بعيد ، والأطفال آخ ، أتعرفين يا مومو إنني أفكر كثيراً في الوقت الذي كنا جميعاً سوياً أحكي لكم فيه القصص ، لقد كانت أزمان جميلة ، لكن الآن كل شيء مختلف تماماً ." وكانت مومو قد حاولت عدة مرات الإجابة على أسئلة جيجي ، ولكن نظراً لأنه لم يوقف تيار حديثه فقد انتظرت وتطلعت إليه ، وكان مختلفاً عما سبق ، جميل الهندام وتنبعث منه العطور ، ولكنها شعرت بأنه غريب عليها بشكل ما .

وفي تلك الأثناء كان أربعة أشخاص آخرون قد نزلوا من السيارة وأتوا مقتربين : رجل في زي سائق جلدي وثلاث سيدات ذوات وجوه صارمة لكن عليها كثير من أصباغ التزين .

وسألت واحدة منهن بنبرة لوم أكثر من الإشفاق :" هل أصيبت الطفلة ؟"

فقال جيجي مؤكداً " كلا ، لا أثر لذلك ، لقد فزعت فقط ."

وقالت السيدة الثانية :" علام كانت تتسكع أمام الباب كذلك !"

فصاح جيجى ضاحكًا :" لكنها مومو ! إنها صديقتى القديمة مومو !"

فسألت السيدة الثالثة فى دهشة :" آخ ، هذه الفتاة موجودة بالفعل ، كنت أعتبرها دائمًا إحدى ابتكاراتك ، لكننا نستطيع على الفور إعطاء الموضوع للصحافة والإذاعة !

(عودة اللقاء مع الأميرة الأسطورية) أو ما شابه ذلك ، سيكون له وقع هائل لدى الناس ! سوف آمر بذلك على الفور ، ستكون قنبلة الموسم !"

فقال جيجى :" كلا ، لا أريد ذلك ".

والتفتت السيدة الأولى الآن إلى مومو مبتسمة :" كذلك أنت أيتها الصغيرة ، من المؤكد أنك تحبين أن ترى نفسك فى الصحيفة أليس كذلك ؟"

فقال جيجى بغضب :" دعى الطفلة فى سلام !"

وألقت السيد الثالثة نظرة على ساعة معصمها وقالت :" إذا لم تتعجل الآن جدًا فإن الطائرة ستطير أمام أعيننا حقًا . وأنت نفسك تعلم ماذا يعنى ذلك ".

فرد جيجى فى عصبية :" يإلهى ، ألا أستطيع أن أتبادل بضع الكلمات مع مومو فى هدوء بعد ذلك الوقت الطويل ! لكنك ترين بنفسك ياطفلتى ، إنهم لا يتركوننى ، هؤلاء النخاسون ، ، إنهم لا يتركوننى ! .

فردت السيدة الثانية فى حدة : " أوه ، الأمر سيان عندنا تمامًا ، إننا نؤدى عملنا فقط ، ونحن نتقاضى منك الأجر على أن ننظم لك مواعيدك أيها المعلم المحترم ".

فقال جيجى مستسلمًا :" أجل ، طبعًا ، طبعًا ، إذن فلنذهب ! أتعرفين يا مومو ؟ أنت تذهبين معنا إلى المطار ، وعندئذ نستطيع أن

نتحدث أثناء الطريق ، وسائقى يأخذك بعد ذلك مباشرة إلى المنزل ، موافقة ؟"

ولم ينتظر تعليق مومو على ذلك ولكنه جذبها من يدها وراءه إلى السيارة ، وجلست السيدات الثلاثة على المقعد الخلفى ، وجلس جيجى جوار السائق وأخذ مومو على حجره ، وبدأت الرحلة . وقال جيجى :" والآن يا مومو احكى لى ! لكن بالترتيب الجميل ، لماذا اختفيت فجأة فى ذلك الوقت هكذا ؟"

وما أن همت مومو بأن تحكى عن المعلم أورا وزهور الساعات ، حتى انحنت إحدى السيدات إلى الأمام ، وقالت :" معذرة ، ولكن وردت إلىّ حالاً فكرة عظيمة ، علينا أن نعرض مومو ضروريًا على شركة بابليك فيلم ، ستكون بالتمام والكمال النجمة الطفلة الجديدة لقصتك عن المتشردين التى يجرى تصويرها عما قريب تخيل وقع ذلك الحدث المثير ! مومو تمثل مومو ! فسأل جيجى فى حدة :" ألم تفهمين ؟ أنا لا أريد بأى حال من الأحوال أن تقحمى الطفلة فى هذا "

فردت السيدة شاعرة بالإهانة :" أنا فى الحقيقة لا أعرف ماذا تريد ، إن كل شخص آخر سوف يلعق أصابعه شوقًا إلى مثل هذه الفرصة ".

فصرخ جيجى فجأة غاضبًا :" أنا لست كل شخص آخر ، " وقال وهو يتجه إلى مومو مستطردًا :" معذرة يا مومو ، ربما لا تستطعين فهم ذلك لكننى لا أريد أن تمسك بك أنت أيضًا هذه الشرذمة " .

وشعرت الثلاث سيدات الآن بالإهانة .

وأمسك جيجى برأسه متأوها ، ثم أخرج من جيب صدريته علبة فضية صغيرة وأخذ منها قرصًا ابتلعه .

ولم يقل أحد شيئًا لبضع دقائق .

وأخيراً التفت جيجى إلى الوراء للثلاث سيدات ، وتمتم فى تعب قائلاً :" معذرة لم أقصدكن أنتن ، أننى فقط فقدت أعصابى".

فردت السيدة الأولى قائلة :" على كل حال لقد عرفنا ذلك بالتدريج ".

واستطرد جيجى وهو يبتسم لمومو بقليل من الريبة قائلاً :" فنتحدث سوياً عن بعض قليلاً " يا مومو ".

عندئذ تدخلت الثانية بينهما قائلة :" سؤال واحد قبل أن يفوت الأوان ، فإننا سنصل عما قريب ألا تستطيع أن تجعلنى أجرى مع الطفلة بسرعة حديثًا صحفيًا على الأقل ، فزأر جيجى وقد أثيرت أعصابه لأقصى درجة وقال :" أنا أريد الآن أن أتحدث مع مومو وفى أمر خاص ! فهذا أمر هام بالنسبة لى ! كم مرة يجب أن أقول لك ذلك ؟"

فردت السيدة وهى غاضبة كذلك :" أنت نفسك تلومنى دائمًا على أننى لا أقوم بالدعاية ذات التأثير الكافى !"

فقال جيجى متأوهًا :" صحيح ولكن ليس الآن ! ليس الآن !"

فقالت السيدة :" ياخسارة إن مثل هذا سوف يثير دموع الناس ، لكن كما تريد ربما يمكننا أن نفعل ذلك فيما بعد أيضًا ، عندما... "

فقاطعها جيجى قائلاً :" كلا ليس الآن وليس فيما بعد ، لكن على الإطلاق ، والآن لو تكرمت اقفلى فمك أثناء حديثى مع مومو ! "

فردت السيدة بنفس الحدة قائلة :" لوتسمح يعنى ! إن الأمر يخص الدعاية لك وليس لى ! وعليك أن تفكر جيداً إذا كان يمكنك تحمل تبعات جعل مثل هذه الفرصة تفوتك !"

فصرخ جيجى فى يأس :" كلا ، لا يمكننى تحمل التبعات ! لكن مومو ستبقى خارج اللعبة ! والآن - أتوسل إليك - دعينا نحن الإثنين نتحدث خمس دقائق فى سلام !" وصمتت السيدات ، ومسح جيجى بيده فى عينيه فى إرهاق .

- " أنت ترين الآن ، لقد وصل حالى إلى هذا الحد " ، وأطلق ضحكة قصيرة مريرة وقال :" لم أعد أستطيع العودة ، حتى وإن أردت ذلك ، لقد انتهى أمرى ، جيجى سيظل جيجى ! ألا زلت تذكرين ؟ لكن جيجى لم يظل جيجى ، أقول لك شيئًا واحدًا ، يامومو ، إن أخطر ما فى الحياة ، هى أحلام الأمانى التى تتحقق ، وعلى كل حال إذا ماسارت الأمور كما سارت معى ، وبالنسبة لى لم يعد لى شىء أحلم به ، وأنا لن أستطيع أن أعود لتعلم ذلك عندكم ، لقد ضقت ذرعًا بكل شىء " .

وحملق فى كدر من خلال نافذة السيارة إلى الخارج .

- " الشىء الوحيد الذى لا يزال فى إمكانى فعله الآنى هو أن أغلق فمى ، لا أحكى شيئًا أن أخرس ، ربما فيما تبقى لى من حياتى ، أو على الأقل إلى أن يغمرنى النسيان ، وإلى أن أعود شخصًا مسكينًا مغمورًا ، لكن مسكين وبلا أحلام - يامومو ، كلا ، إن هذا هو الجحيم ، ولذلك من الأفضل أن أبقى حيثما أكون الآن ، صحيح أن هذا أيضًا جحيم ، ولكنه مريح على الأقل .

- آخ ما هذا الكلام الذى أقوله ؟ إنك لا تستطعين طبعًا فهم كل ذلك " .

ونظرت مومو إليه فقط ، وفهمت بوجه خاص أنه مريض ، مريض مرض الموت .

وأحست أن السادة الرماديين لهم يد فى ذلك ، ولم تعرف كيف يمكنها أن تساعده ، بينما هو نفسه لا يريد ذلك على الإطلاق ، وقال جيجى : " لكنى أتحدث بلا انقطاع عن نفسى فقط والآن احكى أخيراً ما عايشتيه فى تلك الأثناء يا مومو ! "

فى هذه اللحظة توقفت السيارة أمام المطار ، ونزل الجميع وأسرعوا إلى داخل القاعة ، وهنا كان فى انتظار جيجى مضيفات يرتدين زيًا موحداً ، والتقط بعض الصحفيين صوراً له وطرحوا عليه أسئلة ، ولكن المضيفات تعجلوه لأن الطائرة كانت ستقلع بعد دقائق قليلة .

وانحنى جيجى إلى مومو ونظر إليها ، وفجأة طفرت الدموع فى عينيه ، وقال بصوت منخفض بحيث لا يستطيع المحيطين به سماعه :" اسمعى يا مومو ابق معى ! ساخذك معى فى هذه الرحلة وفى كل مكان ، تقيمين معى فى منزلى الجميل وتمشين فى مخمل وحرير كأميرة حقيقية صغيرة ، وعليك فقط ، أن تكونى معى وتسمعين ربما عندئذ تخطر على بالى قصصاً حقيقية ثانية ، مثلما فى ذلك الوقت أتعرفين ؟ ليس عليك سوى أن تقولى نعم يا مومو وكل شىء يصبح على ما يرام ، أرجوك ساعدينى ! "

وكانت مومو تود أن تساعد جيجى ، وآلمها قلبها لذلك ، لكنها شعرت أنه ليس من الصواب إجبار جيجى للعودة إلى شخصيته وأنها لن تكون عونًا له إذا ما أصبحت هى شخصية غير مومو ، وامتلأت عينيها أيضًا بالدموع وهزت رأسها وفهمها جيجى ، وطأطأ رأسه فى

حزن ، وجذبته السيدات اللاتى يتقاضين أجورهن منه لذلك ، ولوح بيده مرة أخرى من بعيد ، وردت عليه مومو ولوحت بيدها ثم اختفى ، ولم تستطيع مومو أثناء لقائها كله مع جيجى أن تقول له كلمة واحدة ، وكان لديها الكثير والكثير مما تريد أن تقوله له ، وشعرت كما لو كانت قد فقدته فعلاً عن طريق عثورها عليه ، واستدارت ببطء ومشت ناحية باب الخروج من القاعة ، وفجأة انتابها فزع شديد : لقد فقدت كاسيوبايا أيضاً !

الفصل السادس عشر

فيض من المحن

– " إلى أين إذن ؟" هكذا سأل السائق عندما جلست مومو إليه ثانية فى سيارة جيجى الفارهة الأنيقة وحملقت الفتاة أمامها فى ذهول ، ماذا تقول له ؟ إلى أين تريد الذهاب فى الحقيقة ؟ لابد لها أن تبحث عن كاسيوبايا ، لكن أين ؟ أين ومتى فقدتها ؟ إنها لم تكن معها طوال الرحلة كلها مع جيجى ، لقد كانت تعرف هذا بكل تأكيد .

إذن أمام بيت جيجى ! وخطر لها أيضًا الآن ما كان مكتوبًا على ظهرها المدرع : " **وداعًا** !" و " **سأذهب للبحث عنك** " ، بالطبع كانت كاسيوبايا تعرف من قبل ، أنهما سيتوهان عن بعضهما عما قريب ، وذهبت بالتالى للبحث عن مومو ، ولكن أين تبحث مومو عن كاسيوبايا ؟ وقال السائق وهو ينقر أصابعه على عجله القيادة : " هل سنعرف عما قريب ؟ أنا عندى شىء آخر أفعله غير التنزه بك ".

فردت مومو :" إلى منزل جيجى من فضلك ".

ونظر السائق بقليل من الدهشة وقال :" أظن أن على أن أذهب بك إلى بيتك ، أم أنك الآن ستقيمين عندنا؟"

فردت مومو قائلة :" لا ، لقد فقدت شيئًا فى الشارع ، ويجب أن أبحث عنه الآن ".

وكـان هذا وفق مـا يرضـاه السـائق ، فـلابد له أن يذهب إلى هناك على كل حال .

عندما وصلا أمام فيلا جيجى ، نزلت مومو وبدأت على الفور تبحث حولها مـن كـل جانـب وكـانـت تصـيح دائمًا وتكرارًا بصوت خافت : " كاسيوبايا ! ، كاسيوبايا !"

وسأل السائق من نافذة السيارة :" عما تبحثين ؟"

فأجاب مومو :" عن سلحفاة المعلم أورا و اسمها كاسيوبايا وهى تعرف المستقبل دائمًا قبله بنصف ساعة ، وهى تكتب حروف على ظهرها المدرع ، ويجب أن أعثر عليها ثانية ، هل تساعدنى من فضلك ؟"

فدمدم قائلاً : ليس عندى وقت للدعابات السخيفة ، وسار عبر البوابة التى اغُلقت من وراء السيارة .

وبحـثت مـومـو وحـدها إذن ، بحـثت فى الشـارع كله ، ولكن كاسيوبايا لم تظـهر للعيان ، وفكرت مومو : "ربما توجهت فى الطريق إلى المسرح الدائرى " .

ولذلك مـشت مـومـو عـائدة ببطء فى نفس الطريق الذى أتت منه ، وكـانت تنظر فى كل ركن من أركـان الحـوائط وفى كل حـفـرة من حـفـر الطريق ، وكانت تصيح باستمرار مكررة اسم السلحفـاة ، ولكن دون جدوى ، ولم تصل مومو إلى المسرح الدائرى القديم إلا فى أواخر الليل، وهناك أيضًا بحثت عنها فى كل مكان على قدر المستطاع فى الظلام ، وكـان بداخلها أمل ضعيف فى أن السلحفـاة قد وصلت للمنزل قبلها بمعجزة من المعجزات ، ولكن هذا كـان بالطبع مسـتحيلاً وهى بهذا

البطء الشديد ، وتسللت مومو إلى فراشها ، والآن أصبحت بالفعل لأول مرة وحيدة تماماً .

وقضت مومو الأسابيع التالية فى السير هائمة على وجهها فى المدينة الكبيرة تبحث عن بيبو الكناس ، ونظراً لعدم استطاعة أحد أن يقول لها شيئًا عن مكانه ، فلم يبق لها سوى الأمل الميئوس منه فى أن تتلاقى سبلهما صدفة ، ولكن فى هذه المدينة الهائلة كان احتمال أن يلتقى شخصان صدفة ، احتمالاً ضئيلاً ومتلاشيًا مثل احتمال أن يلتقط أحد زوارق الصيد على أحد الشطئان البعيدة زجاجة بها رسالة وضعها راكب لسفينة قد غرقت فى مكان ما بالمحيط الواسع ، لكن مومو قالت لنفسها إنهما قريبان جداً من بعض ، من يدرى كم مرة حدث أنها ما إن مرت بمكان كان فيه بيبو منذ ساعة ، أو دقيقة أو ربما منذ لحظة واحدة أو بالعكس كم مرة كان من المرجح أن يأتى بيبو بعدها بوقت قصير أو طويل عبر هذا الميدان أو ذلك الركن من الشارع ، ولذلك كثيراً ما كانت مومو تنتظر ساعات كثيرة فى مكان من الأماكن .

ولكنها فى آخر الأمر اضطرت للاستمرار فى السير فى وقت ما ، وهكذا كان ممكنًا مرة أخرى أنهما أخطآ بعضهما بوقت قليل فقط .

كم كان يمكنها احتياج كاسيوبايا احتياجاً طيبًا الآن ! لو كانت لا تزال معها ، لنصحتها بأن " انتظرى " أو " استمرى فى المسير ! " ولكن مومو لم تعرف أبداً هكذا ما عليها أن تفعله ، لقد كان عليها أن تخاف من عدم الالتقاء ببيبو لأنها انتظرت ، وعليها أن تخاف من عدم الإلتقاء به لعدم فعلها ذلك ، وبحثت أيضًا عن الأطفال الذين كانوا يحضرون إليها دائمًا فى الماضى ، ولم تر أى طفل من الأطفال فى الشوارع

وتذكرت كلمات نينو بأن هناك من يهتم بالأطفال الآن ، وكون أن مومو لم يمسك بها أحد من رجال الشرطة أو من الكبار على الإطلاق وإودعوها فى أحد مستودعات الأطفال ، فإن ذلك يرجع إلى الرقابة السرية الدائبة للسادة الرماديين ، لأن ذلك لم يكن يتفق مع ما كانوا ينوون فعله بمومو ، ولكن مومو لم تكن تعلم من ذلك شيئًا .

وكل يوم كانت تخرج مرة إلى نينو لتناول الطعام ، ولكنها لم تستطع التحدث معه أكثر مما فعلت عند لقائها الأول به فقد كان نينو دائمًا على نفس العجلة ولم يكن عنده وقت أبدًا .

ومن الأسابيع أصبحت الشهور ومومو وحيدة على الدوام ، مرة واحدة عندما كانت تجلس فى ضوء الغسق على درابزين أحد الكبارى ، ورأت على البعد فوق كوبرى آخر شبح شخص منحنى الظهر يهز مقشة جيئة وذهابًا بسرعة كما لو كان الأمر يعنى له حياة أو موت ، وظنت مومو أنها تعرفت على بيبو وصرخت ولوحت بيدها ولكن الشبح لم يوقف عمله لحظة واحدة ، وجرت مومو ، لكنها عندما وصلت إلى الكوبرى الآخر لم تستطيع التعرف على أحد .

فقالت مومو لنفسها مواسية :" لن يكون بيبو ، كلا لا يمكن أن يكون هو أبدًا ، فأنا أعرف كيف يكنس بيبو ".

وفى الأيام التالية بقيت فى بيتها فى المسرح الدائرى القديم لأن أملاً إنتابها فجأة من احتمال مرور بيبو بها ، كى يرى إذا كانت قد رجعت ، فإذا لم تكن موجودة فلابد أن يعتقد طبعًا أنها لا تزال مختفية ، وهنا عاد إليها التصور الآليم أن هذا ربما هو الذى حدث بالضبط منذ

أسبوع أو منذ أمس ! لقد انتظرت ، ولكن انتظارها كان بالطبع بلا جدوى ، وفى آخر الأمر رسمت على جدار حجرتها حروف كبيرة : **لقد** رجعت ثانية ، ولكن لا أحد غيرها هى قرأها .

لكن شيئًا واحدًا لم يغادر فكرها كل هذا الوقت وهو : التذكر الحى لما عايشته لدى الأستاذ أورا ، للزهور والموسيقى ، ما عليها إلا أن تقفل عينيها وتنصت لما بداخلها ، عندئذ شاهدت بهاء الألوان المتوهجة للزهور وسمعت موسيقى الأصوات ، واستطاعت كاليوم الأول أن تردد الكلمات وتشارك فى غناء الألحان رغم أنها كانت تتشكل دائمًا من جديد ولا تظل نفس الألحان أبدًا ، وأحيانًا ما كانت تجلس طوال أيام كاملة على الدرجات الحجرية تتحدث وتغنى لنفسها ، ولم يكن هناك يستمع لها غير الأشجار والطيور والأحجار القديمة .

هناك أنواع كثيرة من الوحدة ، لكن مومو عايشت وحدة ربما لم يعرفها إلا قليل من البشر ، و أقل القليل منهم ما عايشها بمثل هذه القوة .

وأحست كما لو كانت مسجونة فى كهف كنز ملىء بالنفائس التى لا تحصى وتتزايد على الدوام وتهددها بالاختناق ، ولم يكن هناك مخرج ولا يستطيع أحد الدخول إليها ، وهى لا تستطيع أن تلفت نظر أحد إليها ، فقد كانت مدفونة بعمق تحت جبل من الزمن .

بل لقد مرت ساعات تمنت فيها لو أنها لم تستمع للموسيقى أبدًا ولم تر تلك الألوان على الإطلاق ، ورغم ذلك لو كان لها الخيار فإنها لن تتنازل عن تلك الذكرى مرة أخرى فى مقابل أى شىء فى الدنيا ، حتى وإن كانت ستموت بسبب ذلك ، إن ما توصلت إلى معرفته حينئذ كان ما

يلى : توجد نفائس و أوجه للثراء يمكن أن يهلك المرء بها إذا لم يستطع اقتسامها مع الآخرين ، وجرت مومو كل عدة أيام إلى فيلا جيجى وكثيراً ما كانت تنتظر طويلاً أمام باب الحديقة ، وكانت تأمل رؤيته مرة أخرى ، وتقبلت فى تلك الأثناء كل شىء ، و أرادت أن تبقى معه وتستمع إليه وتتحدث معه ، سيان عندها إذا كان الأمر سيكون كسابق العهد ، ولكن الباب لم يفتح أبداً ، وكان الزمن المنقضى بضعة شهور فقط - ومع ذلك فقد كان أطول زمن عاشته مومو من قبل ، لأن الزمن الحقيقى لا يقاس بالساعة ولا بالتقويم .

فى الحقيقة لا يمكن الحديث عن مثل هذا النوع من الوحدة ، وربما يكفى فقط قول ما يلى : لو استطاعت مومو أن تعثر على الطريق إلى الأستاذ أورا وقد حاولت ذلك مراراً وتكراراً - لذهبت إليه ورجته أن يتوقف عن منحها الزمن ، أو أن يسمح لها بالبقاء عنده فى " منزل - اللامكان " .

ولكنها لم تستطع العثور على الطريق بدون كاسيوبايا ، وكانت وظلت مختفية ، ربما قد عادت إلى الأستاذ أورا منذ وقت طويل ، أو أنها ضلت الطريق فى مكان ما من العالم ، وعلى كل حال هى لم ترجع ، وبدلاً من ذلك حدث شىء مختلف تماماً .

ففى يوم من الأيام التقت مومو فى المدينة بثلاثة أطفال كانوا يأتون إليها فى الماضى على الدوام ، وكانوا باولو وفرانكو والفتاة ماريا التى كانت فيما مضى تحمل دائماً أخاها الصغير ديدى فى كل مكان ، وقد اختلفوا كلهم فى مظهرهم اختلافاً تاماً ، كانوا يرتدون نوعاً من الزى الرمادى ، ووجوههم تعطى انطباعاً غريباً جامداً وعديم الحياة ، حتى

عندما حيتهم مومو فى تهليل ، لم يبتسموا تقريباً ، وقالت مومو وهى منقطعة الأنفاس : " لقد بحثت عنكم كثيراً ، أتأتون إلىّ مرة ثانية ؟"

وتبادل الثلاثة النظرات ثم هزوا رؤسهم .

فسألت مومو فى رجاء : " تعالوا مرة أخرى ، لقد كنتم دائمًا تأتون إلىّ فيما مضى ".

فأجاب باولو قائلاً :" فيما مضى ، لكن الآن كل شىء مختلف ، فلم يعد مسموحًا لنا أن نضيع وقتنا بلا فائدة ، " فقالت مومو :" إننا لم نفعل ذلك أبدًا ".

فقالت ماريا :" نعم لقد كان ذلك جميلاً ، لكن الأمر لا يتعلق بذلك ".

واستمر الأطفال الثلاثة فى سيرهم مسرعين ، ومومو تجرى إلى جوارهم ، وقالت وهى راغبة فى المعرفة :" إلى أين أنتم ذاهبون الآن ؟"

فأجاب فرانكو : " إلى حصة الألعاب ، هناك نتعلم اللعب ".

فسألت مومو :" لعب ماذا ؟"

فقال باولو شارحًا :" اليوم نلعب بالبطاقات المثقوبة ، وهذا مفيد جدًا ، لكن لابد من الانتباه الشديد ".

– " وكيف تسير اللعبة ؟"

– " كل واحد منا يصنع بطاقة مثقوبة ، وكل بطاقة تحتوى على كمية من البيانات المختلفة : مثل الحجم والعمر والوزن إلى آخره ، لكن طبعًا ليس أبدًا كما هو فى الحقيقة ، وإلا لكان الأمر غاية فى السهولة ،

وأحيانًا ما تكون أرقامًا طويله فقط ، مثل موكس / ٧٣٦ / ى ، وبعد ذلك يجرى خلطنا ونأتى إلى مجموعة من البطاقات ، وعندئذ يجب على واحد منا استخراج بطاقة معينة ، وعليه أن يطرح أسئلة ، بحيث يفرز جميع البطاقات الأخرى ولا يبقى فى النهاية إلا بطاقة واحدة ، ومن يستطيع أداء ذلك بأسرع وقت يكون هو الكسبان ... "

فتساءلت مومو بقليل من الشك :" وهذا يسبب البهجة ؟"

فقالت ماريا فى خوف :" الأمر لا يرتبط بذلك ، ولا يجوز التحدث بهذا الشكل ".

فسألت مومو راغبة المعرفة :" وبم يرتبط إذن :؟

فأجابت باولو :" بأن ذلك سيكون مفيدًا فى المستقبل ".

وفى تلك الأثناء كانوا قد وصلوا أمام باب أحد البيوت الضخمة رمادية اللون ، وقد كتب على لافتة فوق الباب :" مستودع الأطفال".

وقالت مومو :" لقد كان عندى كثيرًا مما سأحكيه لكم ".

فردت ماريا فى حزن :" ربما نلتقى فى وقت ما سويًا ".

وتكاثر حولهم مزيد من الأطفال الذين يريدون الدخول من الباب ، وكلهم كانوا يشبهون أصدقاء مومو الثلاثة ، وفجأة قال فرانكو : " لقد كان اللعب عندك أجمل بكثير ، فقد كان يخطر على بالنا نحن الكثير دائمًا وهم يقولون أن المرء لا يتعلم من ذلك شيئًا ".

واقترحت مومو قائلة :" ألا تستطيعون الفرار ؟"

وهز الثلاثة رؤسهم ونظروا حولهم ليروا إذا ما كان أحد سمعهم ، وهمس فرانكو قائلاً : ": لقد حاولت ذلك عدة مرات ، لكن بلا جدوى ، فهم يمسكون المرء دائماً مرة أخرى ".

وقالت ماريا :" لا يجوز الحديث هكذا ، فعلى الأقل هناك من يقوم على رعايتنا الآن ".

وصمت الجميع وحملقوا أمامهم ، وأخيراً تشجعت مومو وقالت : ألا يمكنكم أن تأخذوننى معكم ؟ إننى أشعر بالوحدة تماماً الآن ".

لكن شيئًا غريبًا حدث عندئذ : فقبل أن يتمكن أحد من الأطفال من الإجابة شفطتهم قوة مغناطيسية هائلة إلى داخل المنزل ، وأغلق الباب من خلفهم محدثًا دويًا هائلاً ، وشاهدت مومو ذلك فى فزع ، ورغم ذلك تقدمت بعد برهة إلى الباب كى تطرقه أو ترن الجرس وأرادت أن تكرر رجاءها بالسماح لها بالمشاركة فى اللعب سيان عندها أية ألعاب تكون ، ولكن ما أن خطت خطوة ناحية الباب حتى تصلبت من الرعب ، فقد وقف فجأة بينها وبين الباب واحد من السادة الرماديين ، وقال بإبتسامة خفيفة واضعًا سيجاراً فى زاوية فمه :" لا فائدة ! لا تحاولى بالمرة ! فليس من صالحنا أن تدخلى إلى هناك ".

فسألت مومو " لماذا ؟ " وأحست مرة أخرى بالبرودة الثلجية تعلو بداخلها .

وقال الرمادى وهو ينفث حلقة من الدخان إلتفت حول رقبة مومو كالعقدة وتلاشت ببطء فقط :

- " لأننا ننوى أن نفعل بك شيئًا آخر " .

أناس كانوا يمرون بهما ، لكنهم جميعًا كانوا على استعجال شديد .

وأشارت مومو بإصبعها على السيد الرمادى وأرادت أن تصيح طالبة النجدة ولكنها لم تصدر صوتًا ، فقال السيد الرمادى وهو يصدر ضحكة خالية من البهجة " بلون الرماد" : " دعك من ذلك "! ألا زلت تعرفينا بهذا القدر الضئيل ؟ ألا زلت لا تعلمين مقدار قوتنا ؟ لقد أخذنا منك جميع أصدقائك ، لم يعد فى استطاعة أحد مساعدتك ، ونحن نستطيع أن نفعل بك ما نريد لكننا نرحمك كما ترين "، وقالت مومو بصعوبة : " لماذا ؟"

فرد السيد الرمادى : " لأننا نريدك أن تقدمى لنا خدمة صغيرة . وإذا ما تعقلت فيمكنك بذلك أن تكسبى الكثير - لك ولأصدقائك ، أتريدين ذلك ؟"

فقالت مومو هامسة :" نعم " فابتسم السيد الرمادى ابتسامة خفيفة قائلاً - فلنلتق إذن اليوم فى منتصف الليل للتناقش " ، وهزت مومو رأسها فى صمت ، ولكن السيد الرمادى لم يعد موجودًا ، فقط دخان سيجاره كان لا يزال عالقًا فى الهواء ، إنه لم يقل لها أين ستلتقى به .

الفصل السابع عشر

خوف كبير وشجاعة أكبر

كانت مومو خائفة من العودة إلى المسرح الدائرى القديم ، ومن المؤكد أن السيد الرمادى الذى أراد أن يلتقى بها فى منتصف الليل ، سوف يأتى إلى هناك .

وفكرة وجودها هناك وحدها تماماً معه ملأت مومو بالرعب .

كلا ، إنها لم تعد تريد أن تلتقى به على الإطلاق ، لا هناك ولا فى مكان آخر ، فقد كان أكثر من الواضح ما لديه من اقتراحات – فى أنه لن يكون فيه خير لها ولأصدقائها فى الحقيقة ، ولكن أين كان يمكنها الاختباء منه ؟

وبدا لها وجودها وسط الأعداد الكبيرة من الناس أكثر أمناً لها ، وصحيح أنها رأت عدم اهتمام أحد بها وبالسيد الرمادى ، ولكن لو أنه فعل بها شيئاً حقاً ، وهى صرخت طالبة النجدة فإن الناس سوف ينتبهون وينقذوها ، وقالت لنفسها ، فوق ذلك كان من الصعب أيضاً العثور عليها فى الحشد الكثيف من البشر ، هكذا سارت مومو بقية عصر ذلك اليوم ومساءه وحتى ساعة متأخرة من الليل وسط زحام المارة فى أكثر الشوارع والميادين حيوية إلى أن عادت إلى المكان الذى بدأت

فيه هذا الطريق كما لو كانت تسير فى حلقة كبيرة ، وسارت فيه مرة ثانية وثالثة ، وتركت نفسها تنساب فى تيار الكتل البشرية المتسارعة على الدوام .

ولكنها كانت قد سارت طوال اليوم فآلمتها قدماها شيئًا فشيئًا من التعب ، وتأخر الوقت وازداد تأخرًا ومومو استمرت تمشى وتمشى وهى نصف دائمة .

وأخيرًا قالت لنفسها مفكرة : " لحظة واحدة فقط راحة ، لحظة صغيرة واحدة فقط وبعدها أستطيع أن أنتبه بشكل أفضل .."

وفى ذلك الحين وقفت على حافة الطريق سيارة شحن صغيرة ذات ثلاث عجلات وضعت على ظهرها شتى أنواع الصناديق والأجولة . وتسلقت مومو أعلاها واتكأت على جوال كان طريًا ومريحًا ، ورفعت قدميها المتعبتين إلى أعلى وأدخلتهما تحت سترتها ، آه يا له من إحساس مريح ! وتنهدت فى راحة ، وتمسحت بالجوال ، وقبل أن تدرك هى نفسها ، غطت فى النوم من الإرهاق ، وانتابتها أحلام مضطربة ، فشاهدت بيبو العجوز وهو يستخدم مكنسته كعصاه لحفظ التوازن وهو يسير مترنحًا على حبل فوق هوة مظلمة .

وسمعته وهو يصيح مرددًا ومكررًا : " أين الطرف الآخر ؟ إننى لا أستطيع العثور على الطرف الآخر " .

وفعلاً فقد كان الحبل يبدو طويلاً بلا نهاية ، وكان يختفى بطرفيه فى الظلام وأحبت مومو أن تساعد بيبو ، ولكنها لم تستطع حتى أن تلفت إنتباهه ، فقد كان بعيدًا غاية البعد ، وغاية فى الإرتفاع بأعلى ، ثم

رأت جيجى وهو يسحب من فمه شريطًا من الورق لا نهاية له ، وظل يسحب ويسحب ، لكن شريط الورق لا ينتهى ولا يتمزق أيضًا ، وكان جيجى يقف فعلاً فوق جبل من شرائط الورق ، وبدا لمومو كما لو كان ينظر إليها فى إستجداء ، كما لو لم يعد يستطيع التنفس ، لو لم تأت لمساعدته .

وهمت بالجرى إليه ، ولكن قدماها تشابكت فى شرائط الورق وكلما ازدادت حدتها فى محاولة تخليص نفسها ، كلما ازداد تشابكها فيها .

ثم شاهدت الأطفال ، وكانوا جميعًا مفرطحين تمامًا كورق الكوتشينة ، وفى كل ورقة حفرت ثقوب صغيرة فى أشكال سليمة ، وبعثرت هذه الأوراق ثم كان لابد أن يعاد ترتيبها من جديد وتحدث فيها ثقوب جديدة ، وكان الأطفال هؤلاء يبكون بلا صوت ، لكن سرعان ما يعاد خلطها من جديد ، وأثناء ذلك يتساقطون فوق بعضهم محدثين طقطقة وجعجعة .

وأرادت مومو أن تصيح قائلة : " قف ! كفى! "ولكن الطقطقة والجعجعة غطت على صوتها الضعيف ، ثم إزدادت الأصوات علواً وارتفاعًا على الدوام إلى أن استيقظت أخيرًا بسببه .

فى اللحظة الأولى لم تكن تعرف أين هى ، حيث كان الظلام يحيط بها .

لكن بعد ذلك خطر ببالها مرة أخرى أنها كانت قد جلست فى سيارة الشحن ، وهذه السيارة كانت تسير الآن ومحركها يحدث مثل هذا الصوت ، ومسحت مومو بيديها خديها اللذان كانا لا يزالان مبللان بالدموع لكى أين هى ؟

لابد وأن العربة كانت تسير منذ فترة كاملة من الزمن دون أن تلحظ هى ذلك ، لأنها كانت فى ذلك الحين فى جزء من المدينة يعطى انطباعًا فى ذلك الوقت المتأخر من الليل بأنه خال من الحياة ، وكانت الشوارع خالية من البشر والبيوت العالية مظلمة .

ولم تعد العربة تسير بسرعة ، وقفزت مومو منها دون أن تفكر فى ذلك بروية ، فقد كانت تريد العودة إلى الشوارع الحيوية ، حيث تعتقد بأنها فى مأمن من السيد الرمادى ، ولكن خطر ببالها بعد ذلك ما رأته فى الحلم فظلت واقفة .

وتلاشى صوت المحرك شيئًا فشيئًا وسط الشوارع المظلمة ثم عم الصمت .

ولم تعد مومو تريد الهروب ، وكانت تريد الفرار على أمل أن تنقذ نفسها ، وطول الوقت كانت تفكر فى نفسها فقط فى شعورها بالوحدة وفى مخاوفها هى ! بينما كان أصدقاؤها هم الذين كانوا فى محنة فى الواقع ، وإذا كان هناك شخصًا يمكنه تقديم المساعدة لهم فإنها هى ذلك الشخص ، ومهما كانت الفرصة ضئيلة فى دفع السادة الرماديين لتحرير أصدقائها ، فلابد لها من المحاولة على الأقل ، وعندما وصل تفكيرها إلى هذا المدى أحست فجأة بتغير غريب بداخلها ، فقد كان الشعور بالخوف والعجز قد بلغ مقدارًا من الضخامة بحيث أنه انقلب فجأة وتحول إلى العكس ، لقد تم السيطرة عليه وأحست الآن بأنها من الشجاعة وثقة النفس كما لو لن تستطيع أية قوة فى الدنيا أن تنال منها شيئًا ، أو أكثر من هذا : إنها لم تعد تهتم بما سوف يحدث لها على الإطلاق .

إنهـا الآن تريد أن تواجـه السـيـد الرمـادى ، تريد ذلك بأى ثمن ، وقالت لنفسها : " لابد أن أذهب على الفور إلى المسرح الدائرى القديم ، وربما الوقت لم يفت بعد ربما هو ينتظرنى . "

لكن القرار فى ذلك أسهل من فعله ، فهى لم تكن تعلم أين هى ، ولم تكن لديهـا أدنى فكرة على الإطلاق عن الإتجـاه الذى يجب عليـهـا السير فيه ، ورغم ذلك فقد مشت على غير هدى .

واستـمرت تسـير وتسـير عبر الشـوارع المظلمـة السـاكنة بصـمت الأموات ، ولأنها كانت حـافية القدمين ، فلم تسمع حتى وقع أقدامـها ، وكل مرة تنعطف فيها إلى شـارع جديد كانت تـأمل اكتشـاف أى شىء يوضح لها كيف ينبغى عليها مواصلة المسير ، أى علامة تتعرف عليها مرة أخـرى ، ولكنها لم تعـثر على أى منهـا ، وهى لم تسـتطـع أن تسـأل أحداً أيضـاً ، لأن الكائن الحى الوحيد الذى قابها كان كلباً أعجفاً قذراً ، يبحث عن شىء يأكله فى كوم من القمـامة ، هرب فى خـوف عندمـا اقتربت منه ، وأخيراً وصلت مومو إلى ميدان مترامى الأطراف وخـال ، ولم يكن من الميادين الجميلة ذات الأشجـار والنافورات ، لكنه كان مجرد مسـاحة واسع وخالية .. فقط عند أطرافه ارتفعت ملامح شاحبة للمنازل تجاه سماء الليل . وعبرت مومو الميدان ، وعندما وصلت إلى وسطه بدأت سـاعة أحد الأبراج تدق على مقربة منهـا ، ودقت مرات عديدة ، إذن ربما كان الوقت آنذاك فـعلاً منتصف الليل ، وقـالت مـومـو فى سـرهـا : لو كـان السـيـد الرمادى ينتظرهـا الآن فى المسرح الدائرى فمن المستحيل أن تتمكن من الوصول إلى هناك فى الوقت المناسب ، وهو سوف ينصرف عائداً خاوى الوفاض ، وإمكانية مساعدة أصدقائها ستكون قد ضاعت - ربما إلى الأبد !

وعضت مومو على قبضة يدها ، فماذا ينبغى عليها وماذا بيدها أن تفعله الآن؟ ولم تدر ما الحيلة وصاحت فى الظلام بأعلى ما تستطيع : "ها أنا ذا" مع أنها لم يكن لديها أمل فى أن يسمعها السيد الرمادى ، ولكن ظنها خاب فى ذلك .

فما أن كادت أصوات آخر دقة لأجراس الساعة تتلاشى ، حتى أن بزغ فى نفس الوقت شعاع ضوء ضعيف سرعان ما زاد نوره فى جميع الشوارع التى كانت تحيط بالميدان الكبير الخالى وتصب فيه ، وبعد ذلك إتضح لمومو أنه كان من كشافات إضاءة سيارات عديدة ، تتوافد فى بطء شديد من جميع الجهات ناحية وسط الميدان ، حيث كانت تقف .

ومهما انحرفت إلى أى أتجاه ، سطع النور المبهر فى مواجهتها من كل مكان ، واضطرت إلى حماية عينيها بيدها ، إذن لقد جاءوا !

ولكن لم يكن فى حسبان مومو أنهم سوف يأتون بمثل هذا الحشد الهائل ، وتلاشت كل شجاعتها مرة ثانية للحظة من الزمن ، ونظراً لأنها كانت محاصرة ولا تستطيع الفرار ، فقد انكمشت بقدر المستطاع فى سترتها الرجالى الواسعة عليها بشكل زائد عن الحد .

لكنا بعد ذلك فكرت فى الازهار وفى الأصوات بالموسيقى العظيمة ، وفى لمح البصر أحست بالسلوى والقوة .

واقتربت السيارات شيئًا فشيئًا بمحركاتها الهادرة ، وأخيراً وقفت وكل مصد للصدمات جوار الآخر على شكل دائرة مركزها مومو .

ثم نزل السادة . ولم تستطع مومو رؤية كم عددهم ، لأنهم ظلوا خلف الكشافات فى الظلام ، ولكنها شعرت بأن نظرات كثيرة كانت

مركزة عليها - نظرات ليس فيها أى شىء من الود وأحست بالبرودة - ولفترة زمنية كاملة لم يقل أحد أى كلمة ، لا مومو ولا أحد من السادة الرماديين .

وأخيراً سمعت صوتاً بلون الرماد يقول : "إذن هذه هى الفتاة مومو التى ظنت ذات مرة أن فى إمكانها أن تتحدانا ، انظروا إليها الآن ، تلك الكومة من التعاسة! "

وتبعت هذه الكلمات صلصلة سمعت من البعد كضحكات متعددة الأصوات ! .

وقال صوت مكتوم آخر بلون الرماد : " حذار! أنتم تعلمون مدى الخطورة التى يمكن أن تمثلها الصغيرة علينا ، لا فائدة من خداعها . "

وأنصتت مومو .

وقال الصوت الأول من الظلام خلف الكشافات :" حسناً ، فلنجرب الحقيقة " .

ومرة أخرى عم صمت طويل وشعرت مومو أن السادة الرماديين يخشون قول الحقيقة ، ويبدو أن الأمر يكلفهم جهداً لا يمكن تخيله ، وسمعت مومو شيئاً كاللهاث الصادر من حلوق كثيرة ، وأخيراً بدأ الحديث شخص آخر مرة ثانية ، وأتى الصوت من إتجاه آخر ، ولكن له نفس الرنين ذو لون الرماد : -

"فلنتحدث سوياً بصراحة ، أنت وحيدة ، أيتها الطفلة المسكينة ، أصدقاؤك بعيدو المنال عنك ولا يوجد أحد يمكن مشاركته فى وقتك .

كل هذا كان فى خطتنا ، أنت ترين مقدار قوتنا ، ولا جدوى من مقاومتنا ، وساعات الوحدة الكثيرة ، ماذا تعنى الآن بالنسبة لك ؟ لعنة تثقل كاهلك ، عبئًا يخنقك ، بحرًا يغرقك وعذابًا يحرقك أنت منبوذة من جميع البشر ."

وأنصتت مومو وظلت على صمتها .

واستطرد الصوت قائلاً : "سوف تأتى اللحظة ذات مرة عندها لن تتحمليها ، غدًا بعد أسبوع بعد سنة ، الأمر عندنا سيان ، فنحن منتظرون ، لأننا نعلم أنك يومًا ما ستأتين زاحفة وتقولين : إننى مستعدة لكل شىء ، فقط خلصونى من هذا العبء ! - أم أنك وصلت فعلاً إلى هذا الحد ؟ ليس عليك إلا أن تقولى ذلك ."

وهزت مومو رأسها :

وتساءل صوت ببرودة الثلج : "ألا تريدينا أن نساعدك ؟ "

ولفحت مومو موجة من البرد من جميع الجهات ، ولكنها ضغطت على أسنانها وهزت رأسها مرة ثانية ، وهمس صوت آخر قائلاً : " إنها تعلم ما هو الزمن " .

ورد الصوت الأول على نفس النحو : "هذا يدل أنها فعلاً كانت لدى "المدعو" ثم سأل بصوت عال : أتعرفين الأستاذ أورا ؟"

وأومأت مومو برأسها .

"كنت بالفعل لديه ؟ "

وأومأت مومو برأسها مرة أخرى . " إذن أنت تعرفين زهور الساعات ؟ ".

وأومأت مومو برأسها للمرة الثانية ، أجل ونعم المعرفة !

ومرة أخرى عم الصمت لفترة طويلة ، وعندما بدأ الصوت حديثه من جديد ، أتى مرة ثانية من إتجاه آخر .

"أنت تحبين أصدقاءك ، أليس كذلك "

مومو أومأت برأسها .

"وأنت تودين تخليصهم من سلطتنا ؟"

"ومرة أخرى أومأت مومو برأسها .

فى استطاعتك ذلك ، فقط لو أردت " .

وللمت مومو سترتها وشدتها حول جسمها ، لأنها كانت ترتعد بكل أعضائها من البرد ، "إن تخليص أصدقائك لن يكلفك إلا شيء بسيط فى الواقع فنحن نساعدك وأنت تساعدينا ، وهذا عدل لا أكثر ولا أقل . "

ونظرت مومو بانتباه ناحية الإتجاه الذى يأتى منه الصوت آنذاك .

"نحن نود أن نتعرف أيضاً على الأستاذ أورا شخصياً أتفهمين ؟ ولكننا لا نعرف أن يقيم إننا لا نريد أكثر من أنك ترشيدنا إليه ، وهذا كل شيء ، أجل ، انصتى جيداً ، يا مومو ، كى تتأكدى أننا نتحدث معك بكل صراحة ومقصدنا شريف : ففى مقابل ذلك تستعيدين أصدقاءك ويمكنكم أن تمارسوا حياتكم السابقة المرحة مرة أخرى ، إن هذا العرض مجز ! " وعندئذ فتحت مومو فمها لأول مرة ، وكلفها الحديث عناء ، لأن شفتيها كانتا كالمتجمدتين .

وسألت فى إناة : "ماذا تريدون من الأستاذ أورا ؟" .

فرد الصوت بحدة ، وازدادت البرودة : "نريد أن نتعرف عليه ، وعليك أن تكتفى بذلك . "

وظلت مومو صامتة وانتظرت ، ونشأت حركة بين السادة الرماديين ، ويبدو أن الاضطراب قد أصابهم .

وقال الصوت :"إننى لا أفهمك ، فكرى فى نفسك وفى أصدقائك ! علام تشغلين أفكارك بالأستاذ أورا ، دعى هذا واتركى همه ، فهو من الكبر ما يكفى أن يراعى نفسه بنفسه ، وفوق ذلك – لو أنه تعقل ويتحد معنا عن طيب خاطر ، فإننا لن نلحق الضرر بشعرة واحدة منه ، وإلا فنحن لدينا وسائل أخرى لإجباره . "

وتساءلت مومو وقد إزرقت شفتاها : "لماذا ؟ "

وفجأة اتخذ الصوت وقعًا حادًا ويغلب عليه التعب عندما أجاب بقوله : "لقد سئمنا من جمع الساعات والدقائق والثوانى على حده من الناس ، إننا نريد كل الزمن لكل الناس ."

وسألت قائلة : "الناس ؟ ما مصيرهم ؟"

فصاح الصوت وأصبح عاليًا : "الناس أصبحوا لا لزوم لهم منذ وقت طويل ، هم أنفسهم تسببوا فى ألا يكون لأمثالهم مكان فى الدنيا ، ونحن سوف نسيطر على الدنيا ! " .

وأصبح البرد فظيعًا لدرجة أن مومو لم تعد تستطيع تحريك شفتيها إلا بجهد جهيد لكن لا تنطق بأى كلمة ، وعندئذ استطرد الصوت

كلامه فجأة بنبرة منخفضة تكاد تكون متملقة :"لا تقلقى يا صغيرتى مومو ، فأنت وأصدقاؤك مستثنين من ذلك بالطبع ، فسوف تكونوا آخر أناس يلعبون ويحكون لبضعهم الحكايات ، أنتم لا تعودا للتدخل فى شئوننا ، ونحن نترككم فى سلام . "

وسكت الصوت ، ولكنه سرعان ما بدأ الحديث مرة أخرى من إتجاه آخر : "أنت تعلمين أننا قلنا الحقيقة ، وسوف نفى بوعدنا ، والآن أنت ترشدينا إلى أورا ."

وحاولت مومو أن تتكلم ، وكادت البرودة تسلبها الوعى ، وبعد محاولات عديدة نطقت أخيراً بقولها . "حتى وإن كان فى استطاعتى ، فإننى لن أفعل ذلك ."

وصدر الصوت من مكان ما وسأل مهدداً : "ماذا يعنى ، "إذا كان فى استطاعتك؟ أنت تستطيعين ! لقد كنت عند أورا ، إذن فأنت تعرفين الطريق ! "

وهمست مومو : "لن أعثر عليه مرة ثانية ، لقد حاولت ، كاسيوبايا فقط تعرفه ."

- "من هذه ؟ ".

- "سلحفاة الأستاذ أورا" .

- أين هى الآن ؟ .

وقالت مومو متلعثمة وهى تحافظ بالكاد على وعيها : "إنها عادت معى .. ولكننى - فقدت - أثرها ".

وسمعت من حولها أصواتًا متداخلة مضطربة كما لو كانت صادرة من بعد سحيق .

وسمعت صياحًا : "أعلنوا الطوارئ القصوى على الفور! يجب العثور على هذه السلحفاة . يجب فحص كل سلحفاة ! لابد من العثور على هذه الكاسيوبايا ! لابد! لابد!" .

وتلاشت الأصوات ، وعم السكون ، وعادت مومو لوعيها يبطء .

ووقفت وحيدة بالميدان الكبير ، الذى لم يكن يسرى به سوى لفحة رياح باردة تبدو كما لو كانت صادرة من فراغ كبير ، رياح بلون الرماد .

الفصل الثامن عشر

عندما يرى المرء ما سوف يحدث دون أن يرى ما حدث من قبل

لم تدر مومو كم من الوقت انقضى ، وأحيانًا ما دقت ساعة البرج ، لكن مومو لم تكد تسمعها ، وببطء شديد فقط عاد الدفء إلى أوصالها المتصلبة ، وأحست كما لو كانت مشلولة ولا تستطيع إتخاذ أى قرار .

أينبغى عليها أن تذهب إلى البيت إلى المسرح الدائرى القديم وتخلد إلى النوم ؟ بعد أن ضاع إلى الأبد كل الأمل لها ولأصدقائها ؟ ولأنها حينئذ عرفت أن الأمور لن تعود أبدًا إلى طيب الأحوال ، أبدًا لن تعود ..

وفوق ذلك أتى خوف على كاسيوبايا ، ماذا لو عثر عليها السادة الرماديون بالفعل ؟

وراحت مومو تؤنب نفسها تأنيبًا مريرًا لمجرد ذكرها للسلحفاة ولكنها كانت مصابة بدوار حتى أنها لم تستطع أبدًا التفكير فى ذلك .

وحاولت مومو أن تواسى نفسها بقولها : "ربما كاسيوبايا موجودة منذ وقت طويل عند الأستاذ أورا مرة ثانية ، أجل ، أرجو أن تكون قد توقفت عن البحث عنى ، وهذا سيكون من حسن حظها – وحسن حظى .. "

وفى هذه اللحظة لمس قدمها العارى شىء ما لمساً رقيقاً .

وفزعت مومو وانحنت ببطء إلى أسفل .

السلحفاة كانت تجلس أمامها ! وببطء أضاءت فى الظلام الحروف الآتية :

"**ها أنا ذا مرة أخرى** . "

وبدون تفكير التقطتها مومو وأدخلتها أسفل سترتها ، ثم أعتدلت وأنصتت وتلصصت فى الظلام المحيط بها ، لأنها كانت تخشى احتمال وجود السادة الرماديين بالقرب منهما .

لكن كل شىء ظل ساكنًا .

وحركت كاسيوبايا أقدامها بشدة من أسفل السترة و حاولت تخليص نفسها .

وأمسكت مومو بها وضغطتها بشدة على جسمها ، ونظرت إليها بالداخل وهمست قائلة : "أرجوك ، اهدئى ! " .

وأضاء ما يلى على ظهرها المدرع : "**لم هذا العبث ؟** " .

وهمست مومو : "لا يجوز أن يراك أحد ! "

وعندئذ ظهرت الكلمات التالية على ظهر السلحفاة : - " **ألست سعيدة بالمرة** ؟"

فقالت مومو وهى تكاد تبكى : "بلى ، يا كاسيوبايا ، وأى سعادة ! "

وقبلتها عدة مرات فى أنفها .

وعند ردها إحمرت بوضوح الحروف التالية على درعها : "**أرجوك لا داعى لذلك** "

وابتسمت مومو ، قالت : "هل كنت تبحثين عنى طول الوقت ؟ "

"**طبعاً**" .

"ولماذا عثرت على الآن بالذات وهنا بالتخصيص ؟ "

وكان الرد : "**علمت ذلك مسبقًا**" .

إذن فقد كانت السلحفاة على ما يبدو تبحث عن مومو طوال الوقت السابق ، رغم إنها كانت تعلم أنها لن تعثر عليها ، ولم يكن هناك داعياً للبحث بالمرة ، لقد كان هذا مرة أخرى أحد ألغاز كاسيوبايا الذى يتوقف عنده العقل إذاما فكر لوقت طويل ، ولكن على كل حال لم تكن الآن هى اللحظة المناسبة لشغل البال بهذه المسألة .

وأخبرت مومو السلحفاة هامسة بما حدث فى الوقت المنقضى ، وأخيراً تساءلت قائلة :

– " ماذا ينبغى علينا الآن أن نفعله ؟ "

وأنصتت كاسيوبايا بانتباه ، وظهرت الآن الكلمات التالية على درعها .

" **إننا ذاهبون إلى أورا** "

فصاحت مومو بفزع : الآن ؟ يبحثون عنك فى كل مكان ! وهم فقط ليسوا موجودين فى هذه اللحظة هنا ، أليس من الأرجح إن نبقى هنا ؟ .

وكتب على السلحفاة فقط :"**أنا أعلم ، إننا سنذهب** " .

فقالت مومو : :إذن فسوف نقع رأسًا فى أحضانهم " .

وكان رد كاسيوبايا هو : "**لن نلتقى بواحد منهم** " .

حسن ، إذا كانت متأكدة من معلوماتها على هذا النحو فمن الممكن الاعتماد على ذلك .

ووضعت مومو كاسيوبايا على الأرض لكنها بعذ ذلك فكرت فى الطريق الشاق الطويل التى كانت قد قطعتاه فى ذلك الوقت ، وفجأة أحست بأن قواها لن تكفى لذلك.

فقالت بصوت منخفض : "اذهبى أنت وحدك يا كاسيوبايا . فلم أعد أستطيع ، إذهبى وحدك وبلغى تحياتى الطيبة للأستاذ أورا " .

وظهرت الكتابة التالية على ظهر كاسيوبايا : "**إنه قريب جداً**" .

وقرأت مومو ذلك ونظرت حولها فى دهشة ، واتضح لها شيئًا فشيئًا أن هذا هو الحى الفقير من المدينة الذى يعطى انطباعًا كما لو كان خاليًا من الأحياء ، والذى أتيا منه فى ذلك الوقت إلى تلك المنطقة ذات البيوت البيضاء والضوء الغريب ، ولو كان الأمر كذلك فربما ستستطيع فعلاً الوصول إلى "حارة – لم تكن أبدًا و"بيت اللامكان" .

فقالت مومو : "حسن ، سأذهب معك ، لكن ألا يمكننى حملك لكى نكون أسرع ؟" .

وقرئ ما يلى على ظهر كاسيوبايا : "**للأسف لا** " .

فسألت مومو : "لماذا يجب عليك ويتحتم أن تدبى بنفسك على الأرض ؟ " .

ورداً على ذلك ظهرت الإجابة الغامضة : "**الطريق بداخلى** " .

وبذلك بدأت السلحفاة تتحرك ، تتبعها مومو ، ببطء خطوة صغيرة تلو الآخرى .

وما كادت الفتاة والسلحفاة تختفى فى إحدى الأزقة التى ينتهى عندها الشارع ، إلى أن دبت الحياة حول الميدان فى الظلال المظلمة للمنازل ، وسرت خشخشة وطقطقة بالميدان كما لو كانت ضحكات بلا صوت .

لقد كانوا هم السادة الرماديون الذين استرقوا السمع للمشهد كله جزء منهم ظل واقفاً كى يراقب الفتاة فى السر ، وكان عليهم أن ينتظروا وقتاً طويلاً ، لكن لم يكن لديهم أنفسهم أية فكرة من أن هذا الانتظار سوف يثمر هذا النجاح غير المتوقع .

وهمس أحد الأصوات ذو لون الرماد قائلاً : "هاهما يمشيان ! هل ننقض عليهما؟"

وهمهم الصوت الأول : "لماذا ، إننا يجب أن نسأل السلحفاة ، بأى ثمن ، كما قيل".

"صحيح ، ولماذا نحن نحتاج إليها ؟ "

"كى ترشدنا إلى أورا " .

أجل وهذا ما تفعله الآن ، ولسنا فى حاجة إلى أن نجبرها على ذلك بالمرة ، إنها تفعل ذلك طواعية – وإن لم يكن ذلك مقصوداً .

ومرة أخرى سرت ضحكات مكتومة فى الظلال المظلمة حول الميدان .

"أبلغ النبأ على الفور إلى جميع العملاء بالمدينة ، البحث يمكن أن يتوقف ، وعلى الجميع أن يلحقوا بنا ، لكن مع الدرجة القصوى من الحذر ، أيها السادة ! لا يجوز لواحد منا أن يقف فى طريقهما ، لابد أن نفسح لهما الطريق فى كل مكان ، لا يجوز أن يلتقيا بأحد منا ، والآن ، أيها السادة ، دعونا نتبع بهدوء كلا مرشدينا اللذان لا يدريان شيئًا !"

وهكذا حدث أن مومو وكاسيوبايا لم تلتقيا فعلاً بأحد من متعقبيهما ، لأنه أينما وجها خطواتهما ابتعد المتعقبون ، واختفوا فى الوقت المناسب كى يلتحقوا برفقائهم خلف الفتاة والسلحفاة .

وبلا صوت اتبع طريق الهاربتين موكب دائم التزايد من السادة الرماديين الذين كانون يختبئون باستمرار خلال الأسوار وأركان البيوت ، وكانت مومو متعبة بدرجة لم تكن عليها فى حياتها من قبل أبدًا وأحيانًا ما أعتقدت إنها سوف تسقط فى اللحظة التالية وتغط فى النوم ، لكنها بعد ذلك ترغم نفسها على الخطوة التالية ثم إلى خطوة أخرى ، وبعد ذلك تحسن الحال قليلاً مرة أخرى لفترة قصيرة ، لو أن السلحفاة لا تدب بأرجلها فوق الأرض بمثل هذا البطء الشديد ! لكن لم تكن هناك إمكانية لتغيير ذلك ، ولم تعد مومو تنظر إلى اليسار وإلى اليمين ، ولكن فقط إلى أرجلها هى وإلى كاسيوبايا .

وبعد فترة بدت كالأزل ، لاحظت أن الطريق تحت قدميها أصبح أكثر نورًا فجأة .

ورفعت مومو جفونها التى بدت لها ثقيلة مثل الرصاص ، ونظرت حولها .

نعم ، لقد وصلا أخيرًا إلى الجزء من المدينة حيث يسود ذلك الضوء الذى لا هو بنور الفجر ولا بضوء الغسق وحيث تقع الظلال كلها فى شتى الإتجاهات ، والبيوت هناك كانت متباعدة بلون أبيض مبهر ونوافذ سوداء ، وهناك كان أيضًا ذلك النصب الغريب الذى لا يمثل شيئًا سوى بيضة عظيمة الحجم فوق قاعدة حجرية سوداء .

واكتسبت مومو الشجاعة ، لأن الأمر لا يحتمل أن يستغرق وقتًا طويلاً آنذاك حتى يكونا عند الأستاذ أورا .

وقالت لكاسيوبايا : "من فضلك ، ألا يمكننا أن نسير بشكل أسرع قليلاً ؟ "

وكان رد كاسيوبايا : "**كلما زاد البطء كلما زادت السرعة** " .

وواصلت دبيبها ، ربما أبطأ عن ذى قبل ، ولاحظت مومو – كالمرة الأولى– أنهما بهذه الطريقة بالذات يتقدمان بشكل أسرع ، لقد كان الأمر بالضبط كما لو كان الشارع ينزلق تحتهما أسرع دائمًا كلما زاد بطئهما .

لأن هذا هو سر ذلك الحى الأبيض من المدينة : كلما أبطأت خطوات المرء كلما أسرع فى تقدمه للأمام ، وكلما زاد من سرعته ، كلما تباطأ تقدمه ، وهذا لم يكن يعرفه السادة الرماديون فى ذلك الوقت عندما كانوا يتعقبون مومو بالسيارات الثلاثة ، وهكذا أفلتت مومو منهم ، فى ذلك الوقت !

لكن الآن الأمر مختلف ؛ لأنهم الآن لم يكونوا يريدون اللحاق بالفتاة والسلحفاة على الإطلاق إنهم الآن يتعقبونهما بنفس البطء الذى

يسيران عليه ، وهكذا اكتشفوا هم أيضًا هذا السر ، وامتلأت الشوارع ببطء بجيش من السادة الرماديين خلفهما ، والآن هؤلاء عرفوا الكيفية التى يجب أن يكون عليه التحرك هنا ، فقد مشوا حتى أبطأ قليلاً عن السلحفاة ، وبذلك قصرت المسافة بينهم واقتربوا أكثر وأكثر ، لقد كان تسابقًا معكوسًا ، تسابقًا فى البطء .

لقد سلك الطريق عبر شوارع الأحلام هذه شتى الإتجاهات ، إلى أعماق قلب الحى الأبيض للمدينة ، ثم تم الوصول إلى ركن "حارة - لم تكن أبدًا .

وكانت كاسيوبايا قد انعطفت بالفعل داخلها وسارت تجاه "بيت اللامكان " وتذكرت مومو أنها لم تستطع التقدم فى هذه الحارة إلى أن نظرت وراءها ومشيت بظهرها للخلف ، ولذلك فقد فعلت ذلك مرة أخرى الآن .

وحينئذ كاد قلبها أن يقف من الذعر .

وتقدم لصوص الزمن كحائط رمادى متحرك ، واحد جوار الآخر وقد سدوا عرض الشارع بأكمله ، صف وراء ، صف على مدى البصر .

وأطلقت مومو صرخة ، لكنها لم تستطع سماع صوتها ذاته ، ومشت إلى داخل "حارة - لم تكن أبدًا" بظهرها إلى الوراء وحملقت بعينين مشدوهتين فى الجيش المتعاقب للسادة الرماديين .

لكن حينئذ حدث مرة أخرى شىء غريب : فعندما حاول أوائل المتعقبين التوغل داخل " حارة - لم تكن أبداً " تحللوا تماماً أمام أعين مومو إلى لاشئ ، فى البداية اختفت أياديهم الممدودة ، ثم أرجلهم

وأجسامهم وأخيرًا وجوههم أيضًا التى علاها انطباع بالمفاجأة والرعب ، ولكن ليس مومو فقط هى التى شاهدت هذا الحدث ، لكن أيضًا بالطبع السادة الرماديون الآخرون المتدافعون ، أوائلهم ثبتوا أقدامهم بالأرض مقاومين حشد المتعاقبين ، ولحظة من الزمن نشأ نوع من العراك بالأيدى ، ورأت مومو وجوههم الغاضبة وقبضات أيديهم الملوحة المهددة ، ولكن لم يجرؤ واحد منهم مواصلة تعقبها .

وبعد ذلك وصلت مومو أخيرًا إلى "بيت – اللامكان " وانفتح الباب الثقيل الضخم المصنوع من المعدن الأخضر ، واندفعت مومو إلى الداخل ، وجرت عبر الطرقة ذات التماثيل الحجرية وفتحت الباب الصغير جدًا عند الطرف الآخر ، ودلفت من خلاله ، ومشت خلال البهو ذى الساعات التى لا تحصى تجاه الغرفة الصغيرة وسط الساعات القائمة على الأرض ، وارتمت على الأريكة الرشيقة وأخفت وجهها تحت وسادة كيلا تسمع ولا ترى شيئًا .

الفصل التاسع عشر

على المحتجزين أن يتخذوا قرارهم

صوت منخفض تكلم .

وببطء طفت مومو من أعماق نومها الخالى من الأحلام ، وأحست براحة وانتعاش بشكل رائع وسمعت الصوت يقول :"الطفلة ليس لها يد فى ذلك ، لكنك أنت يا كاسيوبايا – لماذا فعلت أنت هذا ؟ " .

وفتحت مومو عينيها ، وعلى المنضدة الصغيرة أمام الأريكة ، كان يجلس الأستاذ أورا ، وكان ينظر بوجه مهموم أمامه إلى أسفل على الأرض حيث كانت تجلس السلحفاة .

"ألم يكن فى استطاعتك التفكير فى أن الرماديين سوف يتعقبوكما ؟ " .

وظهر على ظهر كاسيو بايا : "**إننى أعرف فقط ما يسبق ، ولا أفكر فيما بعد !**".

وهز الأستاذ أورا رأسه متنهداً : "آه ، يا كاسيوبايا ، كاسيوبايا – أنت أحياناً ما تكونى لغزاً بالنسبة لى أنا أيضاً! " .

واعتدلت مومو فى جلستها .

وقال الأستاذ أورا فى ود : " آه ، صغيرتنا مومو استيقظت ، أتشعرين بتحسين مرة أخرى ، كما أرجو ؟ " .

فأجابت مومو : جداً ، شكراً ، أرجو معذرتى ،لأننى نمت هنا . "

فرد أورا : "لا تشغلى بالك بذلك ، لقد كان هذا على ما يرام تماماً ، لا داعى أن تشرحى لى شيئًا ، لقد أخبرتنى كاسيوبايا بكل ما لم أشاهده بنفسى بواسطة نظارة – الرؤية الكلية . " .

وسألت مومو قائلة : " وماذا عن أمر السادة الرماديين ؟ " .

وأخرج الأستاذ أورا من سترته منديلاً كبيراً أزرق اللون ، قال : "إنهم يحاصروننا ، لقد أحاطوا " بيت – اللامكان " من جميع الجهات يعنى ، على ما قدر ما استطاعوا الوصول إليه ، " وسألت مومو : إنهم لا يستطيعون الدخول إلينا ؟ " .

ومسح الأستاذ أورا أنفه فى منديله وقال : " كلا ، لا يستطيعون ذلك ، لقد رأيت بنفسك أنهم يتحللوا إلى لا شىء عندما يطأون : حارة – لم تكن أبداً . "

وأرادت مومو أن تعرف فسألت : " وكيف يحدث هذا ؟ " .

فأجاب الأستاذ أورا : " هذا من فعل " شافط الزمن " ، فأنت تعرفين أن على المرء أن يفعل كل شىء معكوسا ، أليس كذلك ؟ وحول " بيت – اللامكان " يسير الزمن بالعكس ، وخلاف ذلك فإن الزمن يسرى إلى داخلك وبسبب إزدياد مالديك بداخلك من الزمن بإستمرار ، فإنك تزدادين تقدمًا فى العمر ، ولكن فى حارة – لم تكن أبداً ، فإن الزمن يسرى من داخلك إلى الخارج .

ويمكن القول : إنك أصبحت أصغر سنًا أثناء دخولك من خلالها ، ليس كثيراً ، أى فقط مقدار الزمن التى استغرقتيه فى عبورها ".

فقالت مومو متعجبة : "إننى لم ألحظ شيئًا من ذلك مطلقًا . "

فقال الأستاذ أورا مفسراً قوله وهو يبتسم : " بالطبع ، فبالنسبة للإنسان هذا لا يعنى الكثير ، لأنه أكثر بكثير من مجرد الزمن الذى يكمن بداخله ، ولكن الأمر مختلف لدى السادة الرماديين ، فهم يتكونون فقط من الزمن المسروق ، وهذا يخرج منهم فى غمضة عين ، عندما يقعون فى : شافط الزمن " ، كما يخرج من الهواء من بالونة انفجرت ، فقط يبقى من البالونة جسمها ، أما هم فلا يبقى منهم أى شىء على الإطلاق ، وأمعنت مومو فى التفكير .

وبعد برهة من الزمن سألت قائلة : – ألا يمكن أن نجعل كل الزمن يسير بالعكس؟ أقصد لفترة قصيرة فقط ، عندئذ سيصبح جميع الناس أصغر سنًا بقليل ، وهذا لن يتسبب فى حدوث أى شىء ، ولكن لصوص الزمن سوف يتحللون إلى لا شىء.".

وابتسم الأستاذ أورا وقال : " سيكون هذا شيئًا جميلاً لكن للأسف لا يمكن ، فكلا التيارين يحافظان على التوازن بينهما ، وإذا ما ألغينا واحداً فإن الآخر يختفى وعندئذ لن يكون هناك زمن على الإطلاق .. "

وتوقف قليلاً عن الكلام وسحب على جبهته " نظارة الرؤية الكلية " .

وتمتم قائلاً : " هذا يعنى" ..... وهب واقفًا ومشى عدة مرات جيئة وذهاباً فى الغرفة الصغيرة وهو غارق فى أفكاره ، وراقبته بتشوق ، وكذلك كاسيوبايا تابعته بعينيها .

وأخيراً جلس مرة أخرى وتطلع إلى مومو متفحصاً .

وقال "لقد هديتنى إلى فكرة ، لكن تحقيقها لا يرتبط بى وحدى ."

وتوجه إلى السلحفاة عند أقدامه : "كاسيوبايا ، أيتها الغالية ! ما هو رأيك أفضل شىء يمكن عمله أثناء الحصار ؟ .

وظهر على ظهرها ما يلى ردًا على السؤال : "**تناول الإفطار**" .

فقال الأستاذ أورا : نعم ، هذه أيضًا ليست فكرة سيئة ! .

وفى نفس اللحظة كانت المائدة قد أعدت أيضًا ، أم كانت هكذا بالفعل طوال الوقت ومومو لم تكن تلاحظها فقط حتى ذلك الوقت ؟ وعلى كل حال فقد كانت مرة أخرى الفناجيل الذهبية الصغيرة وبقية الإفطار كله ذو البريق الذهبى : - إبريق مشروب الشيكولاته الذى يتصاعد منه البخار ، العسل والزبدة وخبز الكايزر الصغير المقرمش .

وكثيرًا ما كانت مومو فيما بين ذلك الوقت تستعيد فى شوق أفكارها فى تلك الأشياء اللذيذة ، وبدأت على الفور تتمتع بتناول الطعام فى نهم ، وكاد المذاق هذه المرة يكون أفضل من المرة الأولى ، وبالمناسبة لقد شارك الأستاذ أورا أيضًا فى الطعام الأن بقوة .

وبعد برهة قالت مومو وهى تمضغ الطعام بملئ شدقيها : "إنهم يريدون منك أن تعطيهم كل زمن جميع البشر لكنك بالطبع لن تفعل ذلك ؟ " .

فرد الأستاذ أورا قائلاً : " كلا يا طفلتى ، لن أفعل أبدًا ، لقد بدأ الزمن ذات مرة ، وذات مرة سوف ينتهى ، لكن فقط عندما لا يعد للناس حاجة له ، وبالنسبة لى فإن السادة الرماديين لن يحصلوا على أصغر لحظة من الزمن" .

فاستطردت مومو قائلة : "لكنهم يقولون إنهم يستطيعون إجبارك على ذلك " .

فقال فى جدية تامة : قبل أن تستطرد الحديث عن ذلك ، "أود أن تنظرى أنت بنفسك إليهم . "

وخلع نظارته الذهبية ومد يده بها لمومو التى لبستها .

وفي بادئ الأمر كانت مرة أخرى تلك الدوامة من الألوان والأشكال التى أصابتها بالدوار كالمرة الأولى ، لكنها هذه المرة مرت بسرعة ، وبعد برهة صغيرة كانت عيناها قد تعودت على الرؤية الكلية ..

والآن شاهدت جيش المحاصرين !

وكان السادة الرماديون يقفون فى طابور لا يمكن الوصول إلى مداه جوار بعض كتفاً بكتف ، ولم يكونوا يقفون فقط أمام " حارة – لم تكن أبداً" ، بل أيضا أبعد وأبعد فى دائرة ضخمة تمر عبر حى المدينة ذى المنازل البيضاء بياض الثلج والذى فى وسطه "بيت اللامكان " ولم يكن بالحصار أية ثغرة ، ولكن بعد ذلك لاحظت مومو شيئًا آخر، شيئًا مدهشاً .

فى بادئ الأمر اعتقدت فقط أن عدسات نظارة الرؤية الكلية ربما يعلوها البخار ، أو أنها لا تزال لا تستطيع أن ترى بوضوح تام ، لأن ضباباً غريباً جعلها لا تستطيع التعرف على ملامح السادة الرماديين إلا بشكل مبهم .

لكنها أدركت بعد ذلك أن هذا الضباب ليس له علاقة بالنظارة ولا بعينيهما ، لكنه كان يتصاعد من هناك من الخارج فى الشوارع وفى

بعض المواضع أصبح كثيفًا ومعتمًا ، وفى مواضع أخرى بدأ يتكون ، وكان السادة الرماديون يقفون بلا حراك ، كل واحد منهم كان يضع كعهدهم دائمًا قبعة مستديرة صلبة على رأسه وفى يده حافظة للملفات ، وفى فمه سيجار رمادى صغير يتصاعد منه الدخان ، ولكن سحيبات الدخان هذه لم تنتشر كما هو الحال فى الهواء المعتاد ، فهنا حيث لا تتحرك ولا نسمة هواء ، وفى هذا الهواء الزجاجى امتد الدخان فى غلالات متماسكة كنسيج العنكبوت وزحف عبر الشوارع مارًا بواجهات المنازل البيضاء بلون الثلج وامتد فى أفواج طويلة من إفريز حائط إلى آخر وتتجمع فى أسراب مقززة بلون أخضر مائل للزرقة يتزايد تراكمها إلى أعلى على الدوام فوق بعضها الآخر ببطء وتحيط "بيت اللامكان" ، من جميع الجوانب كالسور الذى لا يتوقف عن الارتفاع .

ورأت مومو أنه بين الحين والآخر يصل سادة جدد ويدخلون فى الطابور بدلاً من آخرين حلوا مكانهم لكن لماذا يحدث كل ذلك ؟ أية خطة كان يتبعها لصوص الزمن هؤلاء؟ وخلعت النظارة ونظرت إلى الأستاذ أورا فى تساؤل .

وسأل قائلا : هل شاهدت بما فيه الكفاية ؟ إذن أعيدى لى النظارة ثانية ، " واستطرد قائلاً وهو يعتدل فى جلسته : "لقد سألت إذا كان فى استطاعتهم أن يجبرونى على شىء ما إنهم لا يستطيعون اللحاق بى شخصيًا كما تعلمين الآن ولكنهم يستطيعون أن يلحقوا بالناس ضررًا أفظع بكثير من كل ما فعلوه حتى الآن . وبهذا يحاولون ابتزازى" . فسألت مومو بفزع : "شىء أكثر فظاعة ؟ " .

وأومأ الأستاذ أورا برأسه قائلاً : – إننى أعطى كل إنسان نصيبه من الزمن .

ولا يستطيع السادة الرماديون فعل شيء ضد ذلك ، وهم أيضًا لا يستطيعون إيقاف الزمن الذى أرسله ، لكنهم يستطيعون تسميمه . "

فتساءلت مومو فى ذهول : "يسمون الزمن ؟ "

فقال الاستاذ أورا مفسرًا : بدخان سيجارهم ، هل رأيت واحدًا منهم بدون سيجاره الصغير الرمادى ؟ بالتأكيد لا ، لأنه بدونه لا يستطيع أن يستمر فى الوجود."

فسألت مومو راغبة فى المعرفة : "أية أنواع من السيجار هذه ؟ "

فقال الأستاذ أورا : "أنت تتذكرين زهور - الساعات ، لقد قلت آنذاك أن كل إنسان يمتلك مثل هذا المعبد الذهبى لأن كل واحد لديه قلب ، وإذا ما سمح الناس للسادة الرماديين بالدخول ، فإنهم ينجحون فى انتزاع المزيد من هذه الزهور .

لكى زهور - الساعات التى انتزعت على هذا النحو من قلب الإنسان لا يمكنها أن تموت لأنها لم تذبل فى الحقيقة ، ولكنها أيضًا لا تستطيع الحياة لأنها انفصلت عن صاحبها الحقيقى إنها تموت بكل خلايا كيانها عائدة للإنسان الذى تنتمى إليه .

وأنصتت مومو وهى تكتم أنفاسها : "لابد أن تعلمى يا مومو ، أن الشر أيضًا له سره ، ولست أدرى أين يحتفظ السادة الرماديون بزهور الساعات المسلوبة ، إننى أعرف فقط أنهم يجمدونها ببرودهم حتى تتصلب الزهور مثل الكئوس الزجاجية ، وبذلك تمنع من العودة وفى مكان ما فى أعماق الأرض لابد وأن تكون هناك مخازن هائلة حيث يوضع جميع الزمن المتجمد ، وحتى هنا أيضًا لا تموت زهور الساعات " .

وبدأت خدود مومو تتوهج من الإستياء والغضب .

ومن مخازن المئونة هذه يأخذ السادة الرماديون زادهم على الدوام ، إنهم ينتزعون من زهور الساعات أوراقها ، ويجففونها إلى أن تصبح رمادية اللون وصلبة ومنها يلفون سيجاراتهم الصغيرة ولكن حتى هذه اللحظة تظل هناك بقية من الحياة فى هذه الأوراق .

لكن الزمن الحى لا يناسب صحة السادة الرماديين، ولذلك فهم يشعلون السيجارات ويدخنونها ، لأن فى هذا الدخان فقط يكون الزمن حينئذ قد مات فعلاً عن آخره ، وبمثل هذا الزمن الميت للناس يحافظون بصعوبة على وجودهم ." .

وهبت مومو واقفة وقالت : " آه ، كل هذا وقت ميت ... "

"نعم ، هذا السور من الدخان الذى يرفعونه هناك بالخارج من حول "بيت اللامكان" يتكون من الزمن الميت ، ولا يزال هنالك جزء كاف من السماء الخالية ، ولازلت أستطيع أن أرسل للناس أزمانهم دون نقصان ، لكن إذا ما أحكم مخروط الدخان الكيئب حلقاته من حولنا ومن فوقنا ، فإن كل ساعة ترسل من عندى يختلط بها شىء من زمن السادة الرماديين الشيطانى الميت ، وإذا ما تلقاها الناس فإنهم يصابون لذلك بالمرض ، ومرض الموت .

وحملقت مومو فى الأستاذ أورا فى ذهول وسألت بصوت خافت : "وأى مرض هذا ؟ ." فى البداية لا يلحظ من ذلك كثيراً وفى يوم من الأيام يفقد المرء رغبته فى فعل أى شىء لا شىء يثير اهتمامه ، ويصيبه الملل ، لكن فقدان الرغبة هذا لا يختفى مرة أخرى بل يبقى ويتزايد

باستمرار ببطء ، ويزداد الأمر سوءًا يومًا بعد يوم ، وأسبوعًا بعد أسبوع ، ويزداد الإحساس بالسأم ويزداد الإحساس بالخواء الداخلى وبعدم الرضا عن النفس والعالم .

ثم يختفى حتى هذا الإحساس شيئًا فشيئًا ولا يشعر المرء بأى شىء على الإطلاق ، ويصاب المرء باللامبالاة والكآبة ، وتبدو الدنيا غريبة عليه ، ولا يعبأ بأى شىء ، لا يعد للغضب من وجود ولا تحمس لأى شىء ، ولا يستطيع المرء الإحساس بالبهجة والا الحزن وينس المرء الضحك والبكاء ، ثم يصبح داخله باردًا ، ويفقد المقدرة على حب أى شئ وأى أحد . وإذا ما وصل المرء لهذه المرحلة ، يصبح المرض غير قابل للشفاء ، ولا عودة بعد ذلك ، ويهيم المرء مسرعًا بوجه خاو عبوس ، ويصبح بالضبط كالسادة الرماديين أنفسهم . أجل إنه يصبح بعد ذلك واحدًا منم ، وهذا المرض يسمى : السأم المميت ."

وسرت قشعريرة فى بدن مومو .

وسألت قائلة : وإذا أنت لم تمنحهم زمن كل الناس ، فإنهم يسعون لجعل كل الناس مثلهم ؟ " فرد الأستاذ أورا "نعم ، وهم يريدون ابتزازى بذلك . " .

وهب واقفًا واستدار قائلاً : " لقد انتظرت حتى الآن أن يحرر الناس أنفسهم من هؤلاء المزعجين ، وكانوا يستطيعون ذلك ، لأنهم أنفسهم الذين ساعدوهم أيضًا على الوجود ، لكننى الآن لم أعد أستطيع الانتظار أكثر من ذلك ، يجب أن أفعل شيئًا ، لكننى لا أستطيع فعل ذلك وحدى ".

ونظر إلى مومو قائلاً : أتريدين مساعدتى ؟ " .

فهمست مومو : نعم " .

فقال الأستاذ أورا : " أنا مضطر أن أرسلك إلى خطر لا يمكن معرفة مداه ، وسوف يرتبط بك مصير العالم ، إما أن يتوقف إلى الأبد عن الحياة ، أو يبدأ الحياة من جديد ، فهل تريدين حقًا المخاطرة ؟ ؛ .

فقالت مومو مكررة ، وهذه المرة بصوت ثابت الجأش : "نعم" .

فقال الأستاذ أورا : "إذن إنتبهى بدقة تامة إلى ما سأقوله لك ، لأنك سوف تعتمدين كلية على نفسك ، ولن يكون فى إمكانى مساعدتك ، لا أنا ولا أحد غيرى " .

مومو أومأت برأسها ونظرت إلى الأستاذ أورا بكل الاهتمام .

وبادر بقوله : "يجب أن تعرفى أننى لا أنام أبداً ، ولو أننى نمت لتوقف كل الزمن فى نفس اللحظة ولتوقف العالم .

وإذا لم يعد هناك زمن فلن يستطيع السادة الرماديون سرقة أحد بعد ، وصحيح أنهم سيستطيعون مواصلة البقاء لفترة من الزمن ، حيث أنهم يمتلكون مخزونًا كبيراً من الزمن ، ولكن عندما يتم استهلاكها فلابد من أن يتحللوا إلى لاشىء . "

فقالت مومو : "لكن حينئذ سيكون الأمر غاية فى السهولة ! .

"للأسف الأمر ليس بهذه السهولة ، وإلا لما احتجت إلى مساعدتك يا طفلتى ، فعندما لا يكون هناك زمن عندئذ لن أستطيع أنا أيضًا الاستيقاظ مرة أخرى ، وبالتالى يظل العالم متوقفًا وجامداً إلى الأبد ، ولكن فى سلطتى أن أمنحك أنت ، يا مومو ، أنت وحدك تماماً

زهرة ساعات واحدة ، أجل زهرة واحدة فقط ، لأن واحدة فقط هى التى تزدهر دائماً .

أى أنه إذا ما توقف الزمان كله فى العالم ، فسيكون لديك أنت ساعة واحدة ."

فقالت مومو : "عندئذ سأستطيع أن أوقظك ! " .

فرد الأستاذ أورا : "وبذلك فقط لن نكون قد حققنا شيئًا ، لأن مخزون السادة الرماديين أكبر بكثير جداً ، وما سيستهلكوه فى ساعة واحدة لن يمثل شيئًا يذكر من ذلك فهم سيستمرون فى الوجود بعد ذلك ، والمهام التى سيتحتم عليك الوفاء بها أصعب بكثيرَ! .

وبمجرد أن يلاحظ السادة الرماديون أن الزمن قد توقف – وهذا ما سوف يلحظونه بسرعة جداً ، لأن إمدادهم بالسيجار سيتوقف – فإنهم سوف يكسرون الحصار ويسعون إلى مخزونهم من الزمن ، وعليك أن تتبعيهم إلى هناك يا مومو وعندما تعثرين على مخبئهم ، فيجب عليك أن تمنعيهم من الوصول إلى مخزونهم من الزمن ، فبمجرد أن تنتهى سيجاراتهم فهم سينتهون أيضاً معها ، ولكن بعد ذلك سيبقى أمر يجب عمله ، وربما سيكون هذا أصعب الأمور كلها ، فعندما يختفى آخر لص من لصوص الزمن ، فيجب عليك عندئذ أن تطلقى سراح الزمن المسلوب كله ، لأنه عندئذ فقط عندما يعود الزمن إلى الناس فسوف يكف العالم عن التوقف ، وأنا نفسى سأستطيع ا التيقظ مرة أخرى ومن أجل فعل كل ذلك لن يتبقى لك سوى ساعة واحدة ."
ونظرت مومو للأستاذ أورا فى حيرة ، إنها لم تضع فى حسبانها مثل

هذا الجبل من الصعوبات والمخاطر ، وسأل الأستاذ أورا : "أتريدين رغم ذلك المحاولة؟ إنها الإمكانية الوحيدة والأخيرة ،" وصمتت مومو .

لقد بدا لها مستحيلاً أن تستطيع القيام بذلك .

وفجأة قرأت ما يلى على ظهر كاسيوبايا : "**أنا ذاهبة معك**" .

وماذا كان فى استطاعة السلحفاة المساعدة به فى كل هذا ! وبرغم ذلك فقد كان شعاع أمل ضئيل بالنسبة لمومو فتصورها أنها لن تكون وحيدة تمامًا ، قد منحها الشجاعة ، لقد كانت شجاعة بلا أى سبب معقول ، ولكنه تسبب فى أنها استطاعت أن تقرر مرة واحدة .

فقالت فى حزم : "أريد المحاولة ."

ونظر إليها الأستاذ أورا طويلاً ، وأخذ يبتسم .

"إن الكثير سيكون أسهل مما تعتقدين الآن ، لقد سمعت أصوات النجوم ، وليس عليك أن تخافى " ثم اتجه إلى السلحفاة وسألها : " وأنت يا كاسيوبايا ، أتريدين الذهاب معها ؟" وظهر على درعها : " **طبعاً** ". وأختفت الكتابة ، وظهرت الكلمات التالية :

"**لابد من أحد يراعيها**" .

وابتسم كل من الأستاذ أورا ومومو لبعضهما الآخر .

وسألت مومو : "هل هى أيضًا ستحصل على زهرة ساعات ؟ " .

فقال الأستاذ أورا مفسرًا وهو يداعب السلحفاة برفق عند رقبتهما : "كاسيوبايا لا تحتاج لذلك إنها كائن من خارج الزمن ، إنها تحمل زمنها

الصغير الخاص بها بداخلها هى ، وهى تستطيع مواصلة دبيبها فى الدنيا ، إذا ما توقف كل شىء للأبد . "

وقالت مومو التى استيقظت بداخلها فجأة الهمة والنشاط : "حسن ، وماذا ينبغى علينا الآن أن نفعله ؟ " .

فأجاب الأستاذ أورا : "الآن ، سوف نفترق" .

وبلعت مومو ريقها ، ثم سألت بصوت منخفض : "ألن نرى بعضنا بعد ذلك ؟ "

فرد الأستاذ أورا : "سوف نرى بعضنا مرة أخرى ، يا مومو ، وحتى ذلك الحين فإن كل ساعة من حياتك سوف تجلب لك تحية منى ، لأننا سنظل أصدقاء كذلك ؟ " .

فقالت مومو وهى تومئ برأسها : "أجل"

واستطرد الأستاذ أورا بقوله : "سوف أنصرف الآن ولا يجوز لك أن تتبعينى ، ولا تسألى أيضًا إلى أين أنا ذاهب ، لأن نومى ليس بالنوم المعتاد ، ومن الأفضل ألا تكونى حاضرة عند ذلك ، لا يزال هناك أمر واحد : بمجرد أن أنصرف ، فيجب عليك أن الفور أن تفتحى البابين ، الباب الصغير المكتوب عليه اسمى والباب الكبير المصنوع من المعدن الأخضر الذى يؤدى إلى "حارة" – التى لم تكن أبدًا " ، لأنه فور أن يتوقف الزمن ، فإن كل شىء يبقى ساكنًا بلا حركة وحتى هذان البابان لن يكون بمقدور أية قوة فى العالم على تحريكهما .

هل فهمت كل شىء جيدًا ، واستوعبتيه ، يا طفلتى ؟ " .

فقالت مومو : نعم لكن بأى شىء سأعرف أن الزمن قد توقف ؟ "

"لا تشغلى بالك ، سوف تلاحظين ذلك . "

وهب الأستاذ أورا واقفًا وكذلك مومو نهضت ، ومسح بيده بخفة على شعرها المنفوش .

وقال : وداعًا ، يا صغيرتى مومو ، لقد كانت سعادة كبيرة لى أنك أنت أيضًا استمعت لى ، فردت مومو قائلة : "سوف أحكى لكل الناس عنك فيما بعد . "

وعندئذ بدا الأستاذ أورا فجأة عجوزًا بشكل لا يمكن تفسيره مرة أخرى ، تماماً كما حدث فى ذلك الوقت عندما حملها إلى المعبد الذهبى ، طاعن فى العمر مثل جبل صخرى أو شجرة فى قدم الزمن .

واستدار وانصرف مسرعاً خارج الغرفة الصغيرة المكونة من علب الساعات ، وسمعت مومو خطواته وهى تبتعد باستمرار ، أكثر وأكثر ، ثم لم يعد يمكن تميزها عن دقات الساعات الكثيرة ، وربما أنه أتى إلى داخل تلك الدقات .

ورفعت مومو كاسيوبايا عالياً وضغطتها بشدة على جسدها ، وبدأت مغامرتها العظمى بلا رجعة .

الفصل العشرون

تعقب المتعقبين

أول شيء فعلته مومو أنها ذهبت وفتحت الباب الصغير المكتوب عليه اسم الأستاذ أورا ، ثم مشت بسرعة عبر الطرقة ذات التماثيل الحجرية الضخمة وفتحت أيضًا الباب الخارجى الكبير المصنوع من المعدن الأخضر ، وكان عليها أن تستخدم كل قوتها لأن مصراعى الباب العملاقة كانت ثقيله جداً .

وعندما انتهت من ذلك جرت عائدة إلى القاعة ذات الساعات التى لا تحصى وانتظرت وهى تحمل كاسيوبايا على ذراعها ، ما سوف يحدث ثم حدث ما حدث .

لقد حدث فجأة ما يشبه الهزة ، التى لم تزلزل المكان لكن الزمان ، وإن صح التعبير فهو زلزال الزمن ، ولا توجد كلمات تعبر عن كيفية الإحساس به ، وصاحب هذا الحدث رنين لم يسمعه إنسان من قبل أبداً ، لقد كان كزفير قادم من أغوار مئات السنين ، ثم انتهى كل شيء .

وفى نفس اللحظة توقفت فجأة التكتكة متعددة الأصوات و الصلصله و الرنين و الدقات المنبعثة من الساعات التى لا تحصى عدداً ، البندولات المتأرجحة توقفت عند الموضع الذى كانت عليه، ولم يعد أى

شىء يتحرك على الإطلاق ، وانتشر سكون كامل كما لم يعم فى أى مكان من العالم من قبل ابدًا ، لقد توقف الزمن .

بحرص خطت مومو خطوة ، فعلاً إنها تستطيع أن تتحرك بلا عناء كعهدها دائمًا ، وعلى المنضدة الصغيرة كانت بقايا الافطار لا تزال موجودة ، وجلست مومو فوق أحد الكراسى الصغيرة ذى الحشية المنجدة، لكن الحشية كانت حينئذ صلبة كالحجر الصوان وفقدت مرونتها ، وفى فنجالها كانت لا تزال هناك رشفة من مشروب الشيكولاتة ، ولكن الفنجان لم يعد فى الإمكان تحريكه من مكانه .

وأرادت مومو أن تغمس أصبعها فى ذلك السائل ، ولكنه كان جامدًا كالزجاج ، ونفس الشىء بالنسبة للعسل ، وحتى فتات الخبز فى الطبق لم تكن قابلة للتحريك تمامًا ، لاشىء ، ولا حتى أصغر الأشياء ضآلة لم يكن ممكنًا تعديلها الآن حيث لم يعد للزمن من وجود .

كاسيوبايا كانت ترفص بأرجلها فى الهواء ومومو تنظر إليها ، وكتب على ظهرها المدرع :

" **لكنك تفقدين زمنك !** " يا رب السماوات ، نعم ! واستجمعت مومو قواها ، وجرت خلال القاعة ودلفت من الباب الصغير ، وواصلت العدو عبر الطرقة وجالت ببصرها فى الزاوية عند الباب الكبير، وتراجعت فى نفس اللحظة فى فزع ، وأخذ قلبها يدق بسرعة مذهلة، إن لصوص الزمن لم يسرعوا بالإنصراف ! على العكس ، لقد كانوا يسرعون عبر " حارة لم تكن أبدًا " التى كان الزمان فيها قد توقف أيضًا آنذاك عن السير إلى الوراء ، متجهين إلى " بيت اللامكان " ! وهذا لم يكن مرسومًا فى الخطة !

وجـرت مـومـو عـائدة إلى القـاعـة الكبـرى واختـبـأت وعلى ذراعـهـا كاسيوبايا خلف إحدى الساعات الواقفة الكبيرة .

و تمتمت قائلة : " يا لها من بداية طيبة ! "

وبعـد ذلك سمـعت وقع أقـدام السـادة الرمـاديين يتـردد فـى الطرقـة بالخـارج ، واحد تلو الآخر كان ينحشـر داخلاً عبـر الباب الصـغير ، إلى أن وقـفت فرقة كاملة منهم بالقاعة ، ونظروا حولهم ، وقال واحـد منهم : " هـائل ! هـذا إذن هو منزلنا الجديد " .

وقال صـوت آخر بلون الرماد : " الفـتاة مومـو فتحت لنا البـاب ، لقد راقبت ذلك بدقة ، طفلة متعقلة ! إننى فى اشتـياق لمعـرفة كيف تمكنت مومو من التحايل على العجوز " .

ورد صـوت ثـالث مشـابه تمامًـا : " من رأيى أن المدعـو قد اعـترف بضئالته بنفسه .

لأن توقف شفـاط الزمن فى " حـارة – لم تكن أبدًا " لا يمكـن إلا أن يعنى أنـه هو الذى أبطل مـفعوله إذن لقد أدرك أن عليـه أن يخـضـع لنا، والآن سوف نختصر عملية القضاء عليه،أين هو؟ "

ونظر السـادة الرمـاديون حـولهم باحثين ، ثم قـال واحـد منـهم فجأة بصـوت أكثـر قليلاً فى اللون الرمـادى : " هنـاك شـىء ليس على مـا يرام ، أيها السـادة ! السـاعات ! فلتنظروا إلى السـاعـات ! إنها جميعا متوقفة ، وحتى السـاعة الرملية هنا " .

فقال آخر بعدم ثقة : " إنه أوقفها " .

فصاح الأول قائلاً : " الساعة الرملية لا يمكن إيقافها ! ورغم ذلك ، أنظروا أيها السادة إن الرمل المنساب قد توقف وسط سقوطه ! كما لا يمكن تحريك الساعة ! ما معنى هذا ؟ "

و بينما هو يتحدث وصل إلى مسامعهم وقع أقدام تجرى فى الطرقة ، ثم دلف سيد رمادى آخر إلى الداخل فى اضطراب عبر الباب الصغير وصاح ملوحًا بيديه : " لقد وصل توًا خبر من عملائنا من المدينة ، إن سياراتهم قد توقفت ، كل شىء توقف ، العالم توقف ، ومن المستحيل انتزاع ولو أقل القليل من الزمن ، من أى إنسان ، لقد انهارت إمداداتنا! لم يعد يوجد هناك زمن ! لقد أوقف أورا الزمن ! "

وللحظة من الزمن عم صمت القبور ، ثم سأل واحد قائلاً : " ماذا تقول ؟ إمداداتنا إنهارت ؟ ما هو مصيرنا إذن عندما تستهلك السيجارات التى معنا ؟ "

وصرخ صوت آخر قائلاً : " أنت نفسك تعرف ، ما سوف يكون مصيرنا ! "

" هذه كارثة مخيفة ، أيها السادة ! "

وعندئذ تصايح الجميع فجأة فى هرج ومرج قائلين : " أورا يريد أن يقضى علينا ! -- يجب أن نفك الحصار على الفور ! - لابد أن نحاول الوصول إلى مخازن الزمن الخاصة بنا - بلا سيارات ؟ لا يمكننا تحقيق ذلك فى الوقت المناسب ! سيجاراتى تكفى فقط لمدة سبع وعشرين دقيقة ! - وسيجاراتى تكفى لمدة ثمان وأربعين ! - إذن عليكم بالتسليم ! - هل أنتم مجانين ؟ - فلينجو كل من يستطيع النجاة بنفسه ! "

وانطلق الجميع إلى الباب الصغير وخرجوا منه فى نفس الوقت متزاحمين ، واستطاعت مومو أن تشاهدهم من مخبئها وهم يتبادلون الكلمات متدافعين ، ومن رعبهم يشدون بعضهم ويتجاذبون ويدخلون فى عراك تزداد حدته على الدوام ، كل واحد كان يريد أن يخرج قبل الآخر ويكافح من أجل حياته الرمادية الكئيبة ، وكانوا يضربون قبعات بعض ويسقطونها عن رؤوس بعض ، ويتصارعون وينزعون السيجارات الرمادية الصغيرة من أفواه بعض .

وكل من يحدث له ذلك يبدو كما لو فقد فجأة كل قوته ، يقف ويداه ممدودتان ووجهه عليه تعبير بالخوف و البكاء ، ثم يتحول جسده إلى شفافية متزايدة على الدوام وفى النهاية يختفى ، ولا يتبقى منه شىء ، ولا حتى قبعته .

وأخيراً لم يتبق بالقاعة إلا ثلاثة من السادة الرماديين ، وقد نجح هؤلاء حينئذ فى أن يدلفوا خارجين وراء بعضهم الآخر عبر الباب الصغير ويهربوا .

وجرت مومو وراءهم وهى تحمل تحت ذراعها السلحفاة وفى اليد الأخرى زهرة - الساعات ، والآن أصبح الأمر كله مرتبطاً بعدم ابتعاد السادة الرماديين عن عينيها .

وعندما خرجت من الباب الكبير رأت أن لصوص الزمن قد جروا حتى بداية " حارة - لم تكن أبداً " ، وهناك وسط أسراب الدخان كانت تقف مجموعات أخرى من السادة الرماديين فى اضطراب يلوحون بأيديهم ويتحدثون إلى بعضهم .

وعندما رأوا القادمين وهم يجرون من " بيت - اللامكان " ، أخذوا هم أيضًا يجرون ، وانضم آخرون للهاربين ، وفى فترة وجيزة تواجد الجيش كله فى وضع الإنسحاب السريع .

وجرت ما يقرب من قافلة لا تحصى عددًا من السادة الرماديين إلى داخل المدينة عبر منطقة الأحلام الغريبة ذات البيوت البيضاء كبياض الثلج و الظلال المختلفة ، وباختفاء الزمن فقد توقف بالطبع أيضًا التعاقب الخفى للسرعة و البطء .

ومر موكب السادة الرماديين بالنصب الضخم للبيضة ثم بعد ذلك إلى حيث توجد بوادر المنازل العادية وهى تلك التجمعات المؤجرة السكنية الرمادية المتهالكة التى يقيم فيها أناس يعيشون على حافة الزمن .

لكن آنذاك كان كل شىء جامدًا أيضًا ، وعلى مسافة محسوبة سارت مومو خلف آخر القادمين ، وهكذا بدأت الآن مطاردة عكسية خلال المدينة الكبيرة ، مطاردة يهرب فيها الحشد المهول من السادة الرماديين ، وتتعقبهم فتاة صغيرة بيدها زهرة وتحت إبطها سلحفاة .

لكن ما أغرب ما بدت عليه المدينة حينئذ ! فعلى الطريق كانت السيارات تقف صفًا بجانب صف ، وخلف عجلة القيادة يجلس السائقون بلا حراك وقد وضعوا أيديهم على عصى نقل الحركة أو على آله التنبيه (واحد منهم ينقر الآن بإصبعه على جبهته ويحدق فى غضب ناحية جاره) ، وقادة الدراجات كانوا يمدون أذرعهم كى يظهروا أنهم يريدون الإنحراف بدراجاتهم ، وعلى الأرصفة جميع المشاة ،رجالاً

ونساءًا وأطفالاً وكلاباً وقططًا كانوا جامدين لا يتحركون، وحتى دخان مواسير عادم السيارات .

وفى تقاطعات الشوارع ظل رجال المرور واقفين وسط إعطائهم الإشارات المرورية ، وفى أفواههم الصفارات ، سرب من الحمام كان يحلق بلا حركة فى الهواء فوق الميدان .

وفوق ذلك حلقت طائرة فى الأعالى كما لو كانت مرسومة فى السماء ، ومياه النافورة كانت تبدو مثل الجليد ، الأوراق التى سقطت من الأشجار ، تعلقت بلا حركة وسط الهواء .

كلب صغير كان فى ذلك الحين يرفع إحدى أرجله إلى عامود النور ، وقف كما لو كان محنطًا ، وفى وسط هذه المدينة التى كانت تخلو من الحياة كالصورة الفوتوغرافية ، كان السادة الرماديون يركضون ويجرون ، وموموِ من ورائهم دائمًا ، ولكن دائمًا على حذر وهى حريصة ألا يلاحظها لصوص الزمن ، لكنهم لم يعودوا يلاحظون شيئًا على كل حال لأن هروبهم كان يزداد صعوبة وإرهاقًا على الدوام .

فهم لم يكونوا متعودين على قطع مثل هذه المسافات الكبيرة بالخطوة السريعة ، وكانوا يلهثون ويلهجون ، وهم أثناء ذلك مضطرون للإحتفاظ دائمًا بسيجاراتهم الصغيرة الرمادية فى أفواههم و التى بدونها يفقدون أرواحهم ، وقد إنزلقت من واحد منهم أثناء السير ، فتلاشى قبل أن يتمكن من العثور عليها على الأرض .

ولكن ليست فقط هذه الأمور الخارجية هى التى جعلت من هروبهم شيئًا متزايدًا فى الصعوبة لكن الخطر تزايد على الدوام من جانب

رفاقـهم فى المعاناة ، فالبعض الذين احترقت سيجاراتهم عن آخرها كـانوا من يأسـهم ينتزعون السيجار من فم الشخص الآخر ، وهكذا تناقص عددهم ببطء ولكن باستمرار .

و الذين كانوا يحملون فى حقائبهم مخزونًا صغيرًا من السيجار كان عليهم أن يحرصوا بشدة ألا يلحظ الآخرون شيئًا من ذلك ، وإلا انقض الذين لم يعد لديهم شىء منها على هؤلاء الأكثر ثراء، وحاولوا انتزاع هذه النفائس منهم ، ونشبت معارك ضارية ، وألقت جماعات كاملة منهم بعضها فوق بعض لكى يخطفوا شيئًا من هذه المؤن ، وتدحرجت السيجارات أثناء ذلك فى الشوارع ودهستها الأقدام وسط هذا الشغب ، فخوف السادة الرماديين من زوالهم من الدنيا أطاح بعقلهم تمامًا .

وهناك شىء أخر تسبب لهم فى حدوث صعوبات متزايدة كلما توغلوا داخل المدينة .

ففى بعض مواضع المدينة الكبيرة وقفت حشود البشر بكثافة جعلت السادة الرماديين لا يستطيعون التسلل بين الناس إلا بصعوبة ،كما لو كانوا أشجارًا فى غابة كثيفة ، ومومو الصغيرة النحيلة كان الأمر بالنسبة لها أكثر سهولة طبعًا، ولكن حتى ريشة صغيرة من الزغب العالقة فى الهواء بلا حركة كانت لا تتزحزح من مكانها لدرجة أن السادة الرماديين كادوا يخبطون بها برؤوسهم لو جروا مسرعين تجاهها .

لقد كان طريقًا طويلاً ، و لم يكن لدى مومو أية فكرة عن مدى طوله بعد ذلك ، ونظرت إلى زهرة الساعات لديها فى قلق ، ولكنها فى ذلك الوقت قد اكتملت ازدهارها ، فلم يكن هناك داع بعد للقلق ، وحدث بعد

ذلك أمر آخر جعل مومو لحظتها تنسى كل شيء آخر : لقد شاهدت في أحد الشوارع الجانبية الصغيرة بيبو الكناس !

فصاحت غير متمالكة نفسها من السرور : " بيبو ! " ، وجرت نحوه قائلة : " بيبو ، لقد بحثت عنك في كل مكان ! أين كنت طوال هذا الوقت ؟ لماذا لم تأت مطلقًا ؟ آه يا بيبو ، يا عزيزي بيبو ! "

وأرادت أن تلقي بنفسها في أحضانه ، ولكنها أرتدت عنه كما لو كان من الحديد ، فقد تألمت وطفرت الدموع من عينيها ، فوقفت أمامه منتحبة وهي تتطلع إليه .

جسمه الصغير أعطى إنطباعًا بأنه أكثر إنحناء عن ذي قبل ، ووجهه الطيب كان نحيلاً وهزيلًا وشاحبًا جدًا ، وفي ذقنه نمى شعر أبيض غير حليق لأنه لم يستهلك وقتًا للحلاقة .

وكان ممسكًا في يده مكنسة قديمة مستهلكة تمامًا من كثرة الكنس ، وهكذا كان يقف بلا حراك مثل كل شيء آخر وينظر من نظارته الصغيرة أمامه إلى قذارة الشارع .

لقد عثرت عليه مومو الآن أخيرًا ، الآن ، حيث لم يعد أي شيء يجدي على الإطلاق لأنها لم تعد تستطيع لفت نظره إليها .

وربما ستكون آخر مرة تراه فيها ، فمن يستطيع أن يعرف ما ستنتهي إليه الأمور جميعًا .

ولو انتهى الأمر نهاية سيئة ، فسوف يقف بيبو العجوز هناك هكذا إلى الأبد ، وتململت السلحفاة على ذراع مومو .

وظهر ما يلى على ظهرها المدرع : " **استمرى فى السير !** "

وجرت مومو عائدة إلى الشارع الرئيسى وهى مرعوبة،ولم يعد يشاهد أحد من لصوص الزمن! وسارت مومو مسافة فى الإتجاه الذى هرب منه السادة الرماديون من قبل،لكن بدون جدوى ، لقد فقدت أثرهم ، فوقفت فى حيرة ، ماذا تفعل الآن ؟ ونظرت متسائلة إلى كاسيوبايا .

وكانت نصيحة السلحفاة كما يلى : " **ستعثرى على لصوص الزمن** " ، إذن فسيكون على كل حال الطريق الذى ستسلكه مومو صحيحًا ، سيان تمامًا أيا كان ،وهكذا استمرت فى السير كما خطر ببالها ، تارة إلى اليسار ، وتارة إلى اليمين وتارة إلى الأمام ، وفى ذلك الوقت كانت قد أتت إلى ذلك الجزء عند الطرف الشمالى من المدينة الكبيرة حيث الأحياء الجديدة بالمنازل المتشابهة و الشوارع الممتدة فى خط مستقيم إلى الأفق ، واستمرت مومو تسير وتسير ، ولكن نظرًا لأن البيوت و الشوارع كلها كانت تشبه بعضها تمامًا ، فسرعان ما انتابها الشعور بأنها لم تتحرك على الإطلاق من موضعها وأنها تسير فى نفس المكان .

لقد كانت حديقة تيه بحق ، لكنها حديقة تيه ذات انتظام ومساواة ، وكادت مومو أن تفقد شجاعتها وعزمها عندما رأت فجأة آخر السادة الرماديين وهو ينحرف عند إحدى النواصى .

وكان يعرج فى مشيته وسرواله مهلهل ، وقد ضاعت منه قبعته وحقيبته ، فقط يطبق بفمه بشفتين مزمومتين بعقب سيجار صغير رمادى يتصاعد منه الدخان ، وتبعتة مومو حتى موضع يخلو فجأة من أحد

منازل ذلك الطابور اللانهائى من البيوت، وبدلاً منه كان هناك سور عال مقام من الألواح الخشبية الخشنة والذى يحيط بمساحة مربعة واسعة ، وفى هذا السور باب مفتوح قليلاً وهناك أسرع آخر السادة الرماديين بالدخول ، وفوق الباب كانت لافتة ، وتوقفت مومو كى تفهمها وتحل رموزها !

! إحترس !
أقصى درجات الخطورة على الحياة
ممنوع الدخول بشدة
لغير المصرح لهم

الفصل الحادى والعشرون

النهاية التى يبدأ بها شىء جديد

توقفت مومو وهى تتهجا حروف اللافتة التحذيرية ، وعندما دلفت من خلال الباب لم يعد هناك شىء يمكن رؤيته من آخر السادة الرماديين .

أمامها كانت حفرة بناء هائلة ربما يصل عمقها عشرين أو ثلاثين مترًا ، وقد انتشرت فى المكان حفارات وماكينات بناء أخرى ، وفوق تبة مائلة تؤدى إلى قاع الحفرة توقفت عدة شاحنات وسط سيرها ، ووقف عمال بناء هنا وهناك وقد تجمدوا بلا حراك على أوضاعهم التى كانوا عليها ، لكن إلى أين إذن ! ولم تستطع مومو إكتشاف أى مدخل يحتمل أن يكون السيد الرمادى قد استخدمه ، ونظرت إلى كاسيوبايا ، ولكن يبدو أنها هى أيضًا لم يكن لديها معرفة أكثر ، ولم تظهر أية حروف على ظهرها المدرع .

ونزلت مومو إلى قاع الحفرة ونظرت حولها ، فرأت فجأة وجهًا مألوفًا مرة أخرى ، هناك كان يقف نيقولا عامل البناء الذى كان قد رسم لها صورة الزهور الجميلة على جدار حجرتها ، وطبعًا كان هو أيضا لا يتحرك مثل جميع الآخرين ، ولكن وضعه كان غريبًا ، فقد وقف هناك

واضعًا إحدى يديه عند فمه كما لو كان يصيح بشىء لشخص ما ، وباليد الأخرى كان يشير إلى فتحة ماسورة عملاقة تطل من قاع الحفرة بجواره ، وصادف أنه كان يبدو أثناء ذلك ينظر إلى مومو ، ولم تفكر مومو طويلاً واعتبرت ذلك إشارة لها فنزلت إلى داخل الماسورة ، وما كادت تدخل فيها فإذا هى تنزلق لأن الماسورة كانت منحدرة بشدة إلى أسفل ، وكان بها شتى أنواع الإنحناءات لدرجة أنها ارتمت هنا وهناك كما لو كانت فى زلاقة الملاهى .

وكادت تفقد البصر و السمع أثناء إنطلاقها الجنونى إلى أسفل الأعماق أكثر و أكثر .

أحيانًا ما كانت تلف حول نفسها لدرجة اندفاع رأسها إلى الأمام ، ولكنها لم تترك أثناء ذلك لا السلحفاة ولا الزهرة ، وكلما إزداد تعمقها كلما إزدادت البرودة .

وفكرت للحظة أيضًا فى كيفية إستطاعتها الخروج من هنا مرة ثانية ، ولكن قبل أن تتمكن بالفعل من التفكير انتهت الماسورة فجأة إلى ممر سفلى تحت الأرض .

ولم يعد هناك ظلام ، فقد سرى ضوء خافت رمادى يبدو نابعًا من الحوائط نفسها .

ونهضت مومو وواصلت السير ، ولأنها كانت حافية القدمين ، فلم تحدث خطواطها أى صوت ولكن خطوات ذلك السيد الرمادى التى سمعتها الآن أمامها مرة أخرى ، وتعقبت الصوت ، ومن الممر تشعبت فى جميع الجوانب ممرات أخرى كشبكة من العروق السفلية ، والتى كما يبدو ، كانت تمتد أسفل الحى السكنى الجديد كله ،

بعد ذلك سمعت أصواتًا متداخلة ، فتابعتها ، ونظرت فى حذر حول الزاوية .

أمام عينيها امتدت قاعة هائلة فى وسطها منضدة اجتماعات تكاد لا تنتهى طولاً ، وحول هذه المنضدة جلس صفان من السادة الرماديين أو بمعنى أصح الركام الذى لا يزال باقيًا منهم ، وياله من مظهر مسكين كان عليه لصوص الزمن هؤلاء الباقين الآن ! بدلهم ممزقة ورؤسهم الصلعاء الرمادية بها تورمات وسحجات ، وتقلصت وجوههم من الخوف .

فقط سيجاراتهم كانت لا تزال مشتعلة .

ورأت مومو أن هناك بابًا هائلاً من الحديد المدرع مفتوح قليلاً فى أقصى الوراء عند الجدار الخلفى للقاعة ، وهبت ريح باردة كالثلج من القاعة ، وتكورت مومو إلى أسفل ولفت قدميها العاريين فى سترتها رغم علمها أن ذلك لن يفيد شيئًا .

وسمعت الآن أحد السادة الرماديين الذى كان يجلس فى أقصى الخلف على منضدة المؤتمرات أمام الباب المدرع ، وهو يقول : " لابد أن نقتصد فيما لدينا من المؤن ، لأننا لا نعرف مقدار الوقت الذى يجب أن تكفينا فيه ، لابد أن نقلل من استهلاكنا " .

فصرخ آخر قائلاً : " ما نحن إلا قليلون ، و المؤن تكفى لسنين ! "

فاستطرد المتحدث دون أن يتأثر :" كلما بادرنا فى الاقتصاد ، كلما طال صمودنا أكثر ، وأنتم تعلمون أيها السادة ما أقصده بالإقتصاد والتوفير، ويكفى تمامًا إذا ما اجتاز البعض منا هذه الكارثة ، فيجب

علينا أن ننظر إلى الأمور نظرة موضوعية ! ونحن كما نجلس هنا أيها السادة أكثر من اللازم ! يتحتم علينا أن نقلل من عددنا بشكل كبير ، فهذا هو ما يوصى به العقل ، أتسمحون لى أن أرجوكم أيها السادة ، بالعد الآن ؟ " وأتم السادة الرماديون العد ، وبعد ذلك أخرج رئيس المجلس قطعة نقود من جيبه وصرح بقوله : " سوف نجرى القرعة ، الرقم يعنى أن السادة ذوى الأعداد الزوجية يبقون و الرأس تعنى ذوى الأعداد الفردية " .

و ألقى قطعة النقود فى الهواء وإلتقفها .

وصاح : " الرقم ! السادة ذوى الأعداد الزوجية يبقون ، ويرجى من أصحاب الأرقام الفردية أن يتلاشوا على الفور ! "

وسرت تأوهات بلا صوت بين صفوت الخاسرين ، ولكن لم يقاوم أحد منهم .

وانتزع لصوص الزمن ذوى الأرقام الزوجية السيجارات من الآخرين ، و المحكوم عليهم تحللوا إلى لاشىء .

وقال رئيس المجلس وسط السكون : " والآن ، نعيد نفس الشىء ، لو أذنتم لى " .

وأجريت نفس العملية المخيفة مرة ثانية ، وثالثة وحتى رابعة فى النهاية ، وفى آخر الآمر تبقى ستة فقط من السادة الرماديين ، وجلس ثلاثة أمام ثلاثة على رأس المائدة الهائلة وتبادلوا النظرات الباردة الجامدة ، الفظيعة بشكل ملموس ، وبالمقارنة بما قبل فقد كادت تكون محتملة آنذاك .

وقال واحد من السادة الرماديين : " ستة ، رقم قبيح " .

فرد واحد من الناحية الآخرى من المنضدة : " كفى الآن ، لم يعد هناك معنى من استمرار إنقاص عددنا، وإذا نحن الستة لم نوفق فى اجتياز الكارثة ، فإن ثلاثة لن يوفقوا فى ذلك أيضا " .

فقال آخر : " ليس هذا رأيًا ، لكن إذا لزم الأمر فإننا يمكننا دائمًا أن نتحدث عن ذلك .

أقصد فيما بعد ، " وعم الصمت برهة من الزمن ، ثم صرح آخر قائلاً : " كم كان خيرًا أن الباب المؤدى لمخازن المؤن كان مفتوحًا فى لحظة بداية الكارثة ، ولو كان مغلقًا فى اللحظة الحاسمة لما استطاعت الآن أية قوة بالعالم على تفتحه ، وكنا من الهالكين " .

ورد آخر قائلاً : " للأسف ، ليس معك الحق تمامًا ، يا أفضل الأعزاء ، فبفتح الباب تتسرب البرودة من أقبية التجميد ، وشيئًا فشيئًا سوف ينوب الجليد عن زهور الساعات ، وأنتم تعلمون جميعًا أننا عندئذ لن نستطيع أن نمنع عودتها من حيث أتت ".

فسأل ثالث:"أتقصد أن البرودة لدينا لم تعد تكفى الآن للحفاظ على المؤن لدينا فى حاله التجمد ؟"

فرد السيد الثانى قائلاً : " للأسف نحن ستة فقط ، ويمكنكم بأنفسكم حساب مقدار ما يمكننا تحقيقه ، ويبدو لى أن الأمر كان به قدر من التسرع فى الإقلال من عددنا بهذا الشكل الشديد ، إننا لن نحقق شيئًا من الكسب بذلك " .

فصاح السيد الأول : " لقد كان علينا أن نقرر بين إحدى الإمكانيتين ، ولقد اتخذنا قرارنا ، " وعم الصمت مرة أخرى .

وقال أحدهم: " هكذا سوف نجلس الآن ربما لسنوات ولا نفعل شيئًا سوى مراقبة بعضنا الآخر ، ويجب أن أعترف - بأن هذا تصور كئيب يائس " .

وفكرت مومو فلم يكن له مغزى أن تجلس هنا فقط وتستمر فى الإنتظار ، وعندما يختفى السادة الرماديون من الوجود فإن زهور الساعات سيذوب عنها الجليد تلقائيًا ، لكن السادة الرماديون لا يزالوا موجودين إلى حين ، وسوف يستمر وجودهم لو لم تفعل شيئًا .

لكن ماذا كان فى استطاعتها أن تفعله ، حيث كان الباب المؤدى لمخازن المؤن مفتوحًا .

ولصوص الزمن تمكنوا من جلب المدد حسبما يريدون ؟ وحركت كاسيوبايا أرجلها فى الهواء ونظرت مومو إليها .

وكتب على ظهرها المدرع : " **عليك بغلق الباب** ! "

فهمست مومو : " هذا لا يمكن ! إنه لا يمكن تحريكه " .

وكان ردها : " **المسيه بالزهرة** ! "

فهمست مومو : " أستطيع تحريكه ، إذا ما لمسته بزهرة الساعات ؟ "

وكتب على ظهرها المدرع : " **سوف تفعلين** ! "

إذا كانت كاسيوبايا تعرف المستقبل ، إذن لابد وأن يكون الأمر كذلك أيضًا ، ووضعت مومو السلحفاة على الأرض بحذر ، ثم أدخلت

فى سترتها زهرة الساعات التى ذبلت فى تلك الأثناء ولم يعد بها أوراق كثيرة جداً .

وتمكنت من الزحف أسفل مائدة المؤتمرات الطويلة دون أن يراها السادة الرماديون الستة ، وهناك واصلت السير على أربع إلى أن وصلت إلى الطرف الآخر من المائدة .

وجلست حينئذ بين أقدام لصوص الزمن ، وقلبها يكاد ينفجر من الخفقان ، وببطء شديد أخرجت زهرة الساعات وأخذتها بين أسنانها وزحفت من بين الكراسى دون أن يلاحظها أحد من السادة الرماديين ، ووصلت إلى الباب المفتوح ولمسته بالزهرة وزحزحته بيدها فى نفس الوقت ، ودار الباب بلا صوت حول محوره ، دار فعلاً ، وانغلق محدثًا دويًا ، وأحدث الدوى صدى صوت متعدد فى القاعة وفى آلاف الطرقات تحت الأرض .

وهبت مومو واقفة ، السادة الرماديون الذين لم يتوقعوا على الإطلاق إمكانية وجود أى كائن حى آخر غيرهم وغير السكون التام ، جلسوا جامدين من الرعب فوق مقاعدهم وحملقوا فى الفتاة .

وبدون تفكير جرت مومو مارة بهم متجهة ناحية مخرج القاعة ، عندئذ استجمع السادة الرماديون أيضًا قواهم وجروا خلفها مسرعين .

وسمعت واحد منهم يصيح : " هذه هى الفتاة الصغيرة الفظيعة ، إنها مومو " .

وصرخ آخر بقوله : " غير معقول ! كيف تستطيع أن تتحرك ؟ "

فزمجر ثالث بقوله : " إن معها زهرة ساعات ! "

وسأل الرابع قائلاً : " واستطاعت أن تفتح الباب بها ؟ "

وضرب الخامس على رأسه بشدة وقال : " كان فى استطاعتنا نحن أيضًا أن نفعل ذلك ! فعندنا منها الكفاية ! " فصرخ السادس قائلاً : " كان ، عندنا ! لكن الآن الباب مقفول ! ليس هناك ما ينقذنا إلا شيئًا واحدًا ، يجب أن نحصل على زهرة الساعات من الفتاة ، وإلا ضاع كل شيء !"

وفى تلك الأثناء كانت مومو قد اختفت فى مكان ما بالطرقات التى كانت تتشعب على الدوام .

لكن السادة الرماديون كانوا يعرفون المكان بالطبع أفضل منها ، وكانت مومو تركض هنا وهناك ، وأحيانًا ما كانت تجرى وتكاد تقع بين ذراعى أحد المتعقبين ، لكنها كانت دائمًا تنجح فى الإفلات .

وكذلك كاسيوبايا اشتركت فى هذا الصراع بطريقتها ، صحيح أنها كانت تستطيع فقط السير ببطء ، ولكن لأنها كانت تعرف مقدمًا دائمًا أين سيسير المتعقبون ، فقد كانت تصل فى الوقت المناسب إلى المكان وتقف فى الطريق بحيث يتعثر بها الرماديون ويقعون متكورين فوق الأرض ، والقادمون بعدهم يسقطون فوق الراقدين ، وهكذا أنقذت السلحفاة الفتاة عدة مرات من الإمساك المحقق .

وبالطبع كثيرًا ما تقاذفتها الأقدام أثناء ذلك إلى الحائط ، ولكن ذلك لم يمنعها من الاستمرار فى فعل ما كانت تعرفه مقدمًا .

وأثناء هذه المطاردة فقد بعض السادة الرماديين سيجاراتهم دون وعى بسبب تلهفهم للحصول على زهرة الساعات ، وتحللوا واحداً بعد الآخر إلى لا شىء ، وأخيرا لم يبق منهم سوى إثنين ، وكانت مومو قد عادت هاربة إلى القاعة الكبيرة ذات المائدة الطويلة .

وتعقبها لصوص الزمن حول المائدة لكنهم لم يتمكنوا من اللحاق بها ، ثم قسموا أنفسهم وجروا فى إتجاهين مخالفين ، وعندئذ لم يعد هناك مخرج لمومو ، ووقفت ملتصقة بأحد أركان القاعة تنظر إلى كلا متعقبيها وقد ملأها الخوف ، وكانت تمسك بالزهرة ضاغطة لها على جسدها ، وكان لا يزال عالقًا بها ثلاث أوراق لامعة فقط .

فى اللحظة التى كان ينوى فيها المتعقب الأول مد يده إلى الزهرة ، انتزعها المتعقب الثانى ، وصرخ قائلاً : " لا ، الزهرة لى ! لى أنا ! "

وبدأ الاثنان يتنازعان ، وأثناء ذلك ضرب الأول الثانى فأسقط السيجار من فمه ، وهذا دار حول نفسه وتأوه بصوت كالأشباح وأصبح جسمه شفافًا وتلاشى ، والآن اتجه آخر السادة الرماديين إلى مومو ، وكان الدخان لا يزال يخرج من عقب سيجار صغير من زاوية فمه .

وقال لاهثًا : " أعطنى الزهرة ! " وعند ذلك سقط من فمه العقب الصغير وتدحرج بعيداً ، فألقى الشخص الرمادى بنفسه على الأرض فارداً ذراعه على امتدادها إليه ، لكنه لم يتمكن من الوصول إليه ، وتحول بوجهه الرمادى إلى مومو ، واعتدل بنصف جسده بصعوبة ورفع يده مرتعشاً .

وهمس قائلاً : " أرجوك يا طفلتى العزيزة أعطنى الزهرة ! "

وكانت مومو لا تزال ملتصقة بالركن وهى تضغط الزهرة على جسدها ، وهزت رأسها ولم تعد قادرة على نطق كلمة واحدة .

وأومأ السيد الرمادى الأخير برأسه ببطء وتمتم قائلاً : " من الخير ، من الخير - إن كل شىء - قد انقضى ..."

ثم تلاشىء هو الآخر .

وحملقت مومو فى ذهول فى الموضع الذى كان راقدًا فيه ، لكن هناك كانت كاسيوبايا الآن تدب على الأرض وقد كتب على ظهرها :

" **عليك بفتح الباب** " .

ومشت مومو إلى الباب ، ولمسته مرة أخرى بزهرة الساعات ، التى لم يعد يعلق بها إلا ورقة واحدة أخيرة ، وفتحته على مصراعيه .

وباختفاء آخر لص من لصوص الزمن انقشعت أيضًا البرودة .

ودخلت مومو إلى مخزن المؤن الكبير بعينين مشدوهتين ، وهناك كانت أعداد لا تحصى من زهور الساعات مثل الكئوس الزجاجية مصفوفة على أرفف لا نهائية ، وكل واحدة كانت أكثر روعة من غيرها ، ولم تكن واحدة تشبه الأخرى - مئات الآلاف ، ملايين من ساعات الحياة ، وأصبح الجو حارًا ، وإزداد حرارة كما فى الصوبة ، بيت النباتات .

وعند سقوط آخر ورقة من زهرة ساعات مومو الخاصة ، بدأت فجأة ما يشبه العاصفة ، سحابات من زهور الساعات دارت من حولها ومبتعدة عنها ، لقد كانت مثل عاصفة ربيعية دافئة ، لكنها عاصفة كلها من الزمن المعتوق .

ونظرت مومو حولها كما لو كانت فى حلم ، فرأت كاسيوبايا أمامها على الأرض ، وقد كتب على ظهرها المدرع بحروف مضيئة ما يلى :-

" **طيرى إلى بيتك ، يا مومو الصغيرة طيرى إلى بيتك** ! "

وكان هذا آخر ما رأته مومو من كاسيوبايا ، حيث أن عاصفة الزهور قد ازدادت قوة الآن بشكل يفوق الوصف ، وبشدة لدرجة أن مومو رُفعت إلى أعلى وحُملت بعيداً ، كما لو كانت واحدة من الزهور ، إلى الخارج ، من الطرقات المظلمة إلى أعلى فوق الأرض ، وأعلى فوق المدينة الكبيرة ، وطارت فوق الأسطح و الأبراج سحابة هائلة من الزهور ازدادت فى الحجم أكبر وأكبر ، لقد كان ذلك كالرقص الخفيف المرح على موسيقى رائعة حلقت فيه إلى أعلى وإلى أسفل ودارت فيه حول نفسها .

ثم إنخفضت سحابة الزهور ببطء ونعومة إلى أسفل وسقطت الزهور فوق العالم المتجمد كندف الثلج ، وكمثل ندف الثلج ذابت فى نعومة ولم تعد ترى مرة أخرى ، كى تعود إلى حيثما تنتمى بالفعل : إلى قلوب البشر .

وفى نفس اللحظة بدأ الزمن مرة أخرى ، وكل شىء تنبه وتحرك من جديد ، السيارات سارت رجال المرور أطلقوا صفاراتهم ، الحمامات طارت و الكلب الصغير عند عامود النور أفضى ماءه .

ولم يلحظ الناس أن الدنيا قد توقفت ساكنة لمدة ساعة ، ، لأنه لم يمر بالفعل أى زمن بين التوقف و البداية الجديدة ، لقد مر ذلك بالنسبة لهم كغمضة العين .

وبرغم ذلك فقد أصبح الأمر مختلفًا عن ذى قبل ، فقد أصبح لدى الناس فجأة وقتًا كثيراً لا ينتهى ، وبالطبع فقد كان كل فرد سعيداً بذلك سعادة بالغة ، ولكن لا أحد كان يدرى أنه كان فى الحقيقة وقته الخاص الذى كان مدخراً و الذى عاد إليه الآن بشكل عجيب .

وعندما عادت مومو بحق إلى رشدها ، وجدت نفسها فى أحد الشوارع مرة أخرى .

لقد كان شارعًا جانبيًا الذى عثرت فيه من قبل على بيبو وبالفعل ، لقد كان لا يزال واقفًا هناك! واقفًا وظهره لها ، متكئًا على مقشته ، وينظر أمامه فى تفكير ، تمامًا كما كان فى الماضى ، ولم يعد متعجلاً على الإطلاق فجأة ، ولم يستطع أن يفسر لنفسه لماذا شعر فجأة بالسلوى وكل الأمل .

وفكر فى نفسه قائلاً : " ربما إننى إدخرت الآن مائة ألف ساعة ومومو اشترتها وحررتها " .

وبالضبط فى هذه اللحظة كان هناك شخص يشده من سترته ، واستدار فإذا بمومو الصغيرة تقف أمامه .

ربما لا توجد كلمات تستطيع وصف سعادة اللقاء ، كلاهما كان يضحك ويبكى على التوالى ويتكلمان بلا إنقطاع فى تداخل ، وبالطبع بكلام فارغ تمامًا كما هو الحال عندما يكون المرء منتشيًا من السعادة ، وتعانقا مراراً وتكراراً ، و الناس الذين كانوا يمرون بهما ظلوا واقفين مبتهجين ويضحكون ويبكون معهما ، لأنهم جميعًا كان عندهم الآن ما يكفى من الوقت .

وأخيراً وضع بيبو مقشته على كتفه ، لأنه من البديهى إنه لن يعد يفكر فى العمل فى هذا اليوم وهكذا تجول الاثنان متأبطين ذراع بعضهما فى المدينة متجهين ناحية المسرح الدائرى القديم ، وكل منهما لديه الكثير ليحكيه للآخر .

وفى المدينة الكبيرة شاهد المرء مالم يشاهده منذ وقت طويل : أطفالاً يلعبون وسط الطريق ، ويضطر السائقون للوقوف ، وينظرون مبتسمين إليهم ، وبعضهم نزل من السيارة وشاركهم اللعب ، وفى كل مكان كان يقف أناس ، يتحدثون مع بعض فى ود ويستفسرون بالتفصيل عن صحة بعضهم ، من كان يذهب إلى عمله ، كان لديه وقت لينظر بإعجاب إلى الزهور المطلة من النوافذ ، أو يطعم طائراً من الطيور .

والأطباء لديهم الآن وقت يكرسوه باستفاضة لكل مريض من مرضاهم ، و العمال استطاعوا العمل فى هدوء وبحب فيما يعملون ، لأنه لم يعد الأمر يرتبط بالإنتهاء بأكبر قدر ممكن فى أقصر قدر ممكن ، وكل فرد استطاع أن يأخذ من الوقت فى كل شىء بقدر ما يحتاجه وبقدر ما يريده ، لأنه اعتباراً من الآن كان هناك منه مافيه الكفاية مرة أخرى .

لكن كثير من الناس لم يعرفوا أبداً لمن يرجع الفضل فى كل ذلك ، وماذا حدث فى الحقيقة أثناء تلك اللحظة التى بدت لهم مثل غمضة العين ، و لم يكن معظم الناس سيصدقون أيضاً ، والذين صدقوا وعرفوا كانوا فقط أصدقاء مومو .

لأنه عندما عادت مومو الصغيرة وبيبو العجوز فى ذلك اليوم إلى المسرح الدائرى القديم ، كان الجميع موجودين هناك منتظرين : جيجى

المرشد السياحى ، باولو ، ماسيمو ، فرانكو ، الفتاة ماريا ومعها أختها الصغيرة ديدى ، كلاوديو وجميع الأطفال الآخرين ، تينو ، وصاحب الحانة مع زوجته السمينة ليليانا وطفلهما الرضيع ، نيكولا عامل البناء وجميع الناس من الأماكن المحيطة ، والذين كانوا يحضرون باستمرار وتستمع لهم مومو .

ثم أقيم إحتفال كيفما اعتاد أصدقاء مومو فقط وامتد الاحتفال إلى أن ظهرت النجوم العتيقة فى السماء .

وبعد أن هدأ التهليل و العناق و الضحك و التصافح و التصايح المتداخل ، جلس الجميع فى حلقة مستديرة على الدرجات الحجرية التى كستها الحشائش ، وعم السكون التام .

ووقفت مومو وسط الميدان الخالى المستدير ، وتفكرت فى أصوات النجوم وزهور الساعات .

ثم بدأت تغنى بصوت نقى .

وفى بيت اللامكان جلس الأستاذ أورا ، الذى أيقظه الزمن العائد من نومه الأول و الوحيد ، جلس على كرسيه عند المنضدة الصغيرة الرشيقة وينظر مبتسمًا إلى مومو وأصدقائها من خلال نظارة الرؤية الكلية ، لكنه كان لا يزال فى غاية الشحوب ويبدو كما لو كان قد تماثل للشفاء لتوه من مرض عضال .

لكن عيناه كانت متألقة ،عندئذ أحس بأن شيئًا يلمسه عند قدمه ، فخلع نظارته وانحنى إلى أسفل، فإذا بالسلحفاة تجلس أمامه ،فقال فى رقة وهو يداعبها على رقبتها بأصابعه : " كاسيوبايا ، لقد أنجزتما أنتما

الاثنان عملاً جيداً ، لابد أن تحكى لى كل شىء ، لأننى هذه المرة لم أستطع مشاهدتكما " .

فكتب على ظهرها المدرع : " **فيما بعد** ! " ، ثم عطست كاسيوبايا .

فسأل الأستاذ أورا بقلق : " لعلك لم تصابى بالبرد ؟ "

وكان رد كاسيوبايا : " **وأى إصابة** " .

فقال الأستاذ أورا : " يرجح أن يكون هذا قد حدث بسبب برودة السادة الرماديين .

ويمكننى الإعتقاد أنك فى غاية الإرهاق وأنك تودين أولاً أن تستريحى راحة تامة .

لا عليك إذن من الإعتكاف ، " فكُتب على درعها : " **شكرًا** ، " ثم إنصرفت كاسيوبايا وهى تعرج وبحثت لنفسها عن زاوية هادئة مظلمة ، وسحبت رأسها وأطرافها الأربعة ، وعلى ظهرها ظهرت ببطء الحروف التالية ، التى لم تعد مرئية إلا فقط لمن قرأ هذه القصة .

النهاية

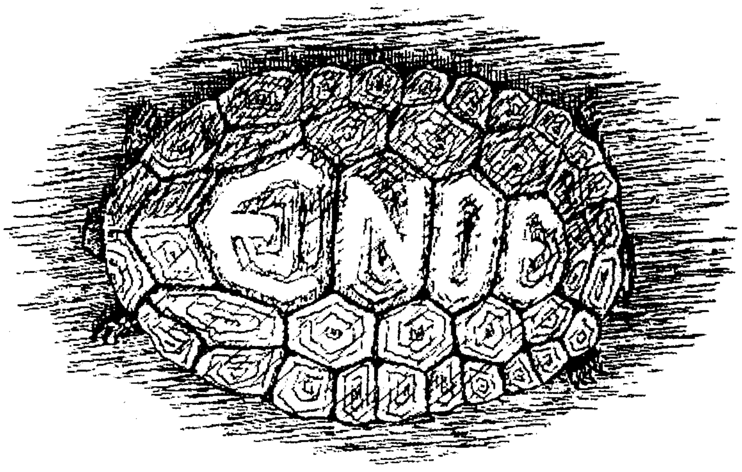

تعقيب موجز للمؤلف

لعل البعض من قرائى تعن له الآن العديد من الأسئلة ، لكننى أخشى عدم استطاعتى مساعدتهم فى ذلك ، ويجب أن أعترف أننى دونت هذه القصة كاملة من الذاكرة كما حكيت لى نفسى ، أنا لم أتعرف شخصياً لا على مومو الصغيرة ولا أحد من أصدقائها ، ولا أعلم كيف سارت إليه أمورهم بعد ذلك ولا كيف تسير إليه أمورهم اليوم ، وفيما يتعلق بالمدينة الكبيرة أيضًا ، فاعتمد أنا نفسى على الترجيحات فقط .

والشىء الوحيد الذى أود قوله كملاحظة ، مايلى :

لقد كنت فى ذلك الوقت فى رحلة طويلة (ولازلت كذلك) ، عندما تقاسمت ديوان القطار فى إحدى الليالى مع راكب عجيب ، عجيب من حيث أنه كان مستحيلاً علىّ تمامًا تحديد عمره ، فى البداية اعتقدت أننى أجلس أمام شيخ عجوز ، لكن سرعان ما رأيت أننى لابد قد أخطأت ، لأن مرافقى فى السفر بدا لى فجأة صغير السن للغاية ، وهذا الإنطباع بسرعان ما اتضح مرة أخرى أنه خطأ .

وعلى كل حال فقد حكى لى أثناء الرحله الليلية الطويلة هذه القصة كلها .

وبعد أن أنتهى منها سكتنا نحن الإثنان برهة من الزمن ، ثم أضاف المسافر الغامض جملة لا يجوز إخفاؤها عن القارئ .

فقد قال : " لقد حكيت لك كل ذلك كما لو كان قد حدث من قبل ، وكان يمكنني أيضًا أن أحكيها بشكل كما لو كانت ستحدث فى المستقبل ، وهذا لا يمثل عندى فارقًا كبيرًا " .

لابد أنه بعد ذلك قد نزل عند المحطة التالية ، لأننى لاحظت بعد برهة من الزمن ، إننى وحدى فى الديوان ، وللأسف لم ألتق منذ ذلك الوقت بالقاص مرة أخرى .

لكن إذا ما التقيت به مرة أخرى مصادفة ، عندئذ ستكون عندى الرغبة فى أن أسأله الكثير .

فهـــــــــرس

الجزء الأول : مومو وأصدقاؤها

الفصل الأول : مـديـنـة كـبـيـرة وفـتـاة صـغـيـرة 25

الفصل الثانى : خاصـيـة غـيـر عـاديـة ونـزاع عادى تماماً 33

الفصل الثالث : عـاصـفة فى تـمـثـيليـة وأنـواء حـقـيـقـيـة 43

الفصل الرابع : عـجـوز صـمـوت وشاب طـليق اللسان 57

الفصل الخامس : حكايات من أجل الكثيرين وحكايات من أجل شخص واحد 67

الجزء الثانى : السادة الرماديون

الفصل السادس : الحسبة خاطئة لكن ناتجها صحيح 85

الفصل السابع : مومو تبحث عن أصدقائها ويزورها أحد الأعداء 105

الفصل الثامن : كمٌّ من الأحلام وقليل مـن التبصر 133

الفصل التاسع : اجتماع جيد لا يتم ، واجتماع سئ يتم 199

الفصل العاشر : مطاردة محمومة وفرار وئيد 161

الفصل الحادى عشر : عندما يجعل الأشرار الشىء السئ أفضل الأشياء 175

الفصل الثانى عشر : مومو تأتى إلى المكان الذى يأتى منه الزمن 185

الجزء الثالث : زهور الساعات

الفصل الثالث عشر : هناك يوم وهنا سنة 217

الفصل الرابع عشر : كثير من الطعام وقليل من الإجابات 243

الفصل الخامس عشر: عثور وفقدان 253

الفصل السادس عشر: فيض من المحن 265

الفصل السابع عشر : خوف كبير وشجاعة أكبر 275

الفصل الثامن عشر : عندما يرى المرء ما سوف يحدث دون أن يـــرى
ما حدث من قبل 287

الفصل التاسع عشر : على المحتجزين أن يتخذوا قرارهم 297

الفصل العشـــرون : تعقب المتعقبين 311

الفصل الحادى و العشرون : النهاية التى يبدأ بها شىء جديد 323

تعقيب موجز للمؤلف 339

المترجم :

الدكتور باهر محمد الجوهري

* الملحق الثقافى الأسبق لسفارة جمهورية مصر العربية فى ألمانيا .
* أستاذ ورئيس قسم اللغة الألمانية ووكيل كلية الألسن جامعة عين شمس السابق .
* عميد كلية اللغات والترجمة جامعة ٦ أكتوبر حالياً .
* أتم دراسته الجامعية بالقاهرة والدراسات العليا فى ميونخ ووالدكتوره فى الأدب الألمانى بجامعة فيينا بالمنسا .
* عمل محاضرا وأستاذ زائرًا فى جامعات زالتسبورج وفيينا بالمنسا ، وجامعات بون والرور بمدينة بوخوم وهايدلبرج ودوسلدورف بألمانيا الاتحادية .
* كمال عمل بالترجمة التحريرية والفورية بالمؤتمرات الدولية داخل مصر وخارجها .

من مؤلفاته باللغة الألمانية :

- يوسف فون همر بورجشتال شاعر وناقل أمين لحضارة وأدب الشرق إلى الغرب ، شتوتجارت ١٩٧٩ .

* مراحل تطور الفن القصصي لدى بربارا فريشموت ، القاهرة ١٩٨٢ .
* فضل همربورجشتال فى استقبال دينا الإسلام فى الغرب و القاهرة ١٩٨٢ .
* ميراث الأساطير الشرقية من " ألف ليلة وليلة " فى الأدب الألمانى ، جوتنجن ، ١٩٨٥ .
● دراسات مقارنة لأدب النازجين وطريدى الأوطان العربى والألمانى فى نموذج دواية الزه تيلش " البحث عن وطن " ورواية غسان كنفانى " رجال فى الشمس " القاهرة ١٩٩٢ .
* إشكالية ترجمة الشعر الألمانى والعربى ، القاهرة ١٩٩٢ .
● راوية ميشائيل إنده " قصة بلا نهاية " فى إطار أدب الفانتاستيك في العصر الحديث . القاهرة ١٩٩٢ .

ومن ترجماته العربية من اللغة الألمانية :

* الجدة الأولى للأديب النمساوي فرانس جريلبارتسر ، الكويت ١٩٨٢ .
* سابفوا للأديب النمساوى فرانس جريلبارتسر ، الكويت ١٩٨٣ .
● قصة بلا نهاية لميشائيل إنده ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٨٨ .
● فرانس كافكا : تقرير من أجل المجمع العلمى - أخبار الأدب العدد ٢٢ القاهرة .
● فرانس كافكا : بنو آوى وعرب - أخبار الأدب العدد ٤٣ القاهرة ١٩٩٤ .

ومن ترجماته العربية إلى الألمانية :

* زائر الفجر لنجيب محفوظ (تحت الطبع)
* علمى الدهر لنجيب محفوظ (تحت الطبع)

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل ، معتمداً المبادئ التالية :

١ - الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية .. والفرنسية .

٢ - التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣ - الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقديم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤ - ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة ، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥ - العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦ - الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المجلس الأعلى للثقافة

MICHAEL ENDE

MOMO
Oder

Die seltsame Geschichte von den
Zeit_Dieben
Und von dem Kind , das den Menschen
Die gestohlene Zeit zurückbrachte

Ein Märchen_Romanm

يحاول الانسان على مر العصور أن يفسر ماهية الزمن ويحددها ، ولأن الإحساس بالزمن يتفاوت من شخص إلى آخر ، فإنه يحاول - دون جدوى - أن يمسك به عن طريق أشكال مختلفة من الأدوات التى تقيسه وتحدده كما يتصور وهو حائر أمامه .

« **مومو** » قصة حدثت فى مملكة الخيال التى تقع فى اللامكان واللازمان ولكنها لا تحكى عن السحرة والجان وإنما تنهل لغتها التعبيرية من حياتنا المعاصرة .

إنها قصة الفتاة التى تبدو غريبة فى مظهرها الخارجى عن عالمها ، والتى سعت ونجحت فى إعادة الزمن المسروق إلى أصحابه بعد أن كادوا يقعوا فريسة فى حبائل « رجال الظلام » الذين يأخذون وقتهم - مدّعين ادخاره لهم - ويعطونهم فى مقابله الهدايا المادية ... وكانت النتيجة أنهم كادوا يفقدون إنسانيتهم وكادت علاقتهم تتحطم وتنعدم وهم يسعون دائما للحصول على المزيد المادى فى مقابل توفير واقتصاد الوقت لدى « بنك الزمن » وأصحابه .

مومو أو القصة العجيبة للصوص الزمن والطفلة التى أعادت للبشر الزمن المسلوب ....

رواية أسطورية